

دراسة في الأساليب النبوية

رسالة مقدمة لنيل درجة ماجستير الآداب

في اللغة العربية

اعداد : عمر محمد أحمد الأمين

اشراف الدكتور :-

الحبر يوسف نور الدائم

أبريل ١٩٨٤م

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء ٤١	١
شكر ورفاق	٢
المقدمة	٣
الباب الأول : مقدمة صلى الله عليه وسلم في التآمل	١١ - ١٠٣
الفصل الأول : اختيار الألفاظ	١١
الفصل الثاني : الأيزاز	٢٤
الفصل الثالث : الحوار	٤٠
الفصل الرابع : التكرار	٤٠
الفصل الخامس : استعمالاته بالإشارة صلى الله عليه	
وسلم	٥٨
الفصل السادس : تأثره صلى الله عليه وسلم بالقرآن	٦٣
الفصل السابع : الحوالة	٧٠
الفصل الثامن : غريب الحديث	٨٠
الباب الثاني : الصور البيانية في الحديث النبوي	١٠٢ - ١٠٨
الفصل الأول : التشبيه	١٠٢
الفصل الثاني : الاستمارة	١٢٣
الفصل الثالث : التثنية	١٢٢
الفصل الرابع : التحريض	١٥٣
الباب الثالث : أثر الحديث النبوي في فنون الأدب	١٥٩ - ٢٠٠
الفصل الأول : موقفه صلى الله عليه وسلم من الشعر	١٥٩
الفصل الثاني : موقفه صلى الله عليه وسلم من السجع	١٨٠
الفصل الثالث : الاستشهاد بالحديث النبوي	١٩٣
الفصل الرابع : الأسلوب القصصي في الحديث النبوي	٢١٥
الفصل الخامس : الخاتمة النبوية	٢٢٣
الفصل السادس : رسائله ومجاهداته صلى الله عليه وسلم	٢٦٠
النتيجة	٢٩١ - ٣١٠
المصادر والمراجع	

الاهل

باني صلوات الله عليهم
عليه الله عليه وسلم

شكر وعرفان

أحمد الله - مدداً كثيراً وأشغى عليه شتاء عاصمياً ،
 ثم أتقدم بهذا الشكر وتقديرى لاستاذى الحليل الدكتور /
 السيد يوسف نور الدائم ، الذى أشرف على كتابة هذا البحث
 لحسن رعايته وتوجيهه ، والذى لم يدخل بوقت أو جهد
 بل نال لمدى عامين كاطلين يرعى هذا البحث ويشجع ويدفع
 اليه ويمدني بالمراجع من مكتبته الخاصة ويزودني بأرائه القيمة
 النيرة ، فكانت ثمرة جهده أن خرج البحث بهذه الصورة
 التى بين أيدينا . فجزاه الله عنا خير الجزاء وأقول له
 الأجر والشكر .

كما أشكر لأشيرة كلية الدراسات العليا بجامعة
 الخرطوم لجهودها وتحويلها للبحث وإتاحتها فرصة السفر
 للقاهرة للوقوف على بعض المصادر الهامة والمخطوطات النادرة .

والشكروصول لأسرة مكتبة جامعة الخرطوم ، لدينا
 بالمصادر والمراجع ، وأشغى بالشكر الأعز / محمد الزاكي أمين
 مكتبة كلية الآداب .

وعائني شكري للاخوات فتحية وانعام وحسان لقيامهن
 بليلة هذا البحث .

والتحية للآلات مفيدة النعيم التى كان لتشغيلها
 وسعيها لتوفير بعض المراجع أثر بالغ في اعداد هذا
 الرسالة .

القدمة

=====

الحمد لله أحفظه وأستعينه وأستغفره والصلاة والسلام على سيدنا
محمد أنصح الخلق وأعزهم بياناً وعلى آله وصحبه وأكرم بهم أنصاراً وأعواناً
أما بعد فإن الداعي الأول الذي دعاني لاختيار هذا البحث هو
قلة اهتمام الباحثين في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم بالدراسات الأدبية
الفنية. وإن أن جلهم انصرف إلى المسائل الفقهية والتشريعية والتاريخية
والاجتماعية والمقائدية. لذلك جاءت رغبتى الأكيدة في إضافة شيء يسير
لخدمة السنة النبوية التي هي الأصل الثاني للأمة الإسلامية بعد القرآن
الكريم فإن وفقت فذلك الفضل من الله، وإن قصرت فاسأله عزي وجل المفور
وحسبى أن أنه المهتمين إلى ضرورة دراسة البيان النبوي والوقوف على
خصائصه ومميزاته.

عرض كثير من المشتغلين بعلم الأدب واللغة والبلاغة إلى تعريف
الفصاحة والبيان. فممنهم من خصها بالألفاظ دون المعاني وممنهم من جمع
بينها ومن ردها إلى الأسلوب وممنهم من فرق بينهما.
جاء في اللسان: الفصاحة واللسان وكلام بين: فصيح. والبيان
الانصاح مع ذكاء. والبيان من الرجال: السمع اللسان. والفصيح
الظريف. والمال الكلام. القليل الرّجح. وفلان أمين من فلان أي
أنصح منه لساناً وأوضح كلاماً. ورجل بين فصيح: قال الشاعر

قد ينطق الشعر الفصيح ويلتصق

على البين السفاك وهو غليب (١)

وفي القرآن الكريم "ورد لفظ بيان ومشتقاته بهذا المعنى . قال تعالى
(الرحمن علم القرآن) خلق الانسان علمه البيان (٢) وقال تعالى
(هذا بيان للناس) (٣) وقال جل شأنه (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل
شيء) (٤)

وفي الحديث الشريف ما رواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
" إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة) ومنه أن الرجل يكون
عليه الحق وهو أقوم بحجته من خصمه فيقلب الحق ببيانه إلى نفسه لأن معنى السحر
قلب الشيء في عین الانسان وليس بقلب الاعيان ، ألا ترى أن البليغ يمدح انسانا
حتى يصرف قلوب السامعين إلى عبده ثم يذمه حتى يصرفها إلى غيره .

وأبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ يعرف البيان قائلاً :-

" البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وعتك الحجاب دون الضمير حتى
يفهم السامع الى حقيقته ويهجم على محضه كائناً ما كان ، ذلك البيان

١- لسان العرب - ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٥ طعة "بين"

٢- الرحمن = ١ -

٣- آل عمران ١٣٨

٤- النحل ٨٩

٥- النساء ١٩

ومن أن جنس كان ذلك الدليل لأن مدار الأمر والشاية التي يجرى القائل
والسامع إنما هو الفهم والافهام نهائى شئ* بلغت الافهام ووضحت المعنى
فذلك هو البيان فى ذلك الموضوع .» (١)

أما ابن رشيق فيسوق له تحريفاً بقوله " هو الكشف عن
المعنى حين تدركه النفس من غير غفلة وإنما قيل ذلك لأنه قد يأتي
التمقيد فى الكلام الذى يدل ولا يستحق اسم البيان " (٢)

والبرجاني جعل الفصاحة والبلاغة والبراعة والبيان تدل على
معنى واحد أو متقارب وهو التعبير عن فضل بعض القائلين على بعض
من حيث نطقوا أو تكلموا أو أخبروا السامعين عن مقاصدهم وأغراضهم
وراموا أن يعلوهم ما فى نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم " (٣)

وإبن الاثير (٤) رأى فى البيان معنى يواسمها يدل مع
البلاغة كلها - فصاحة وبلاغة - فقال موضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة
وصاحبة يسأل عن أحوالها اللفظية والمعنوية وهو النحوى يشتركان فى
أن النحوى ينظر فى دلالة الألفاظ على المعانى من جهة الوضع اللغوى
وتلك دلالة عامة وصاحب البيان ينظر فى فصيحة تلك الدلالة وهى دلالة

١- البيان والتبيين - الجاحظ تحقيق عبد السلام عارون

٢- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٨ الطبعة الاولى - ج ١/ ٦

المقدمة ابن رشيق ٢٥٤/١

٣- دلائل الإعجاز للبرجاني عبد القاهر رضى الله عنه أصله محمد عبده ومحمد محمود
التركزى مطبعة الموسوعات مصر ص ٣٥

٤- المثل السائر ابن الاثير رضى الله عنه تحقيق احمد السنوفى وبدون

مأينة مطبعة نهضة مصر ١٩٥٦ هـ / ٣٩ - ٤٠

خاصة والمراد بها أن تنون على عبئة مخصوصة من الحسن وذلك وراء
النحو والاعراب .

وأبو هلال العسكري (١) يجس بين الفصاحة والبلاغة ثوباً وفي
الأولى يقول : فأما الفصاحة فقد قال قوم إنها من قولهم أفصح فيلان عما
في نفسه وإذا أظهره وأفصح الصبح وإذا أضاء وأفصح اللين وإذا تجلّت
رغوته فظهر وأفصح الأعجمي إذا أبان بعمد أن لم يكن يفصح ويبين وفصح
اللسان إذا عبر عما في نفسه على جهة الصواب دون الخطأ .

وجاء في المزهري (٢) قال الراغب في مفرداته : الفصح خلوص
الشيء مما يشوبه ، وأصله في اللين يقال فصح اللين وأفصح فهو
فصيح وفصح إذا تفرق من الرغبة قال الشاعر :-

وتست الرغبة اللين الفصح

ومنه استمير فصح الرجل : وأفصح تكلم بالعربية وتقول بالعكس
والأول أصح .

فالبيان في معناه اللغوي لا يخرج عن الكشف والإيضاح وعلو
الكلام وإظهار المقصود بأبلغ وجه ، وكذلك الفصاحة . والبيان هو الوسيلة
النبوية التي اعتمد عليها رسولنا صلى الله عليه وسلم في توصيل رسالة ربه

١- الصناعات - أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ط

مطبعة محمود بك سنة ١٣٢٠ هـ ص ٦٠ - ٨٠ .

٢- المزهري ، السيوطي تحقيق محمد أحمد جاد الموالى محمد أبو الفضل
على محمد الباز الطبعة الرابعة مصر ١٩٥٨ - ١ / ١٨٤

إلى النَّاسِ. اشتهر السرب قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم وبجده
 بعلو الكعب في ألوان البيان والفصاحة حتى تان الهيان والفروسية
 من أبرز معالمهم في الجاهلية وقد ذكر الله عز وجل لنبيه صلى الله
 عليه وسلم حالهم في بلاغة المنطق ورباحة الأحلام وصحة القول وما بلغت
 لفتهم في الجاهلية من مرتبة رفيعة من البلاغة والبيان وذكر السرب وما فيها
 من الذكاء والنكراء والمكر ومن بلاغة اللسان واللدد عند الخصومة فقال
 تعالى :-

(فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد) (١) وقال تعالى :-
 (ما ضره لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون) (٢) وقال تعالى :-
 (وتذربهم قوماً لداً) (٣) وقال تعالى :- (وليشهد الله
 على ما فى قلبه وهو ألد الخصام) (٤)

ومن أكبر الدلائل على ما حدقوه من حسن بيان، أن كانت
 معجزة الرسول الكريم وحجته القاطعة الدامغة لهم أن دعا أقصاهم إلى
 معارضة القرآن في بلاغته الباهرة وهى دعوة تدل على ما أوتوه من اللسان
 والفصاحة والقدرة على حوك الكلام كما تدل على بصريهم بتمييز أقدار الألفاظ
 والمعانى وتبين ما يجرى فيها من جودة الافهام وبلاغة التعبير .

ومحمد صلى الله عليه وسلم القرشى الناشئ فى بنى سعد المتين

-
- ١- الاحزاب ١٩
 - ٢- الزخرف ٥٨
 - ٣- مريم ٩٧
 - ٤- البقرة ١٠٤

على القرآن الكريم المتأثر بوضوحه والقائم على نسخة والمترسم لخطاه وهو
المشد لإعداداً الهيئاً خاصاً كان أفصح العرب على الإطلاق .

فقد نشأ الرسول صلى الله عليه وسلم وتنقل بين أفصح
القبائل وأحفاها بياناً واسلسها مطلقاً إذ ولد في بني عاشم ورضع في بني
سعد ونشأ في قريش وتزوج من بني أسد وهاجر إلى بني عمرو - وهم
الآوس والخزرج - فجمع مميزات اللّخوية في قاموسه ونظم كل فصاحتهم إلى
لسانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أفصح العرب - رواه أصحاب
الغريب ورووه أيضاً بلفظ أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أنى من قريش .

فاللغة القريشية باعتراف من جميع القبائل كانت أغزر لهجات
العرب طادة وأرقها أسلها وأغناها ثروة وأقدرها على التعبير الجليل الدقيق
الأنيق في أفانين القول المختلفة فاعطنيت وحدها في الكتابة والتأليف حتى
كان الشاعر يتحاشى خصائص لهجته ويتجنب صفاتها الخاصة في بناء
الكلمة وتركيب الجملة بالأحرف ليتحدث إلى الناس بلسنة أفوها وتواضمو عليها
بعد أن أسهمت عوامل كثيرة من صقلها وتهذيبها .

وكان لقريش في شعر العرب الحكم الذي لا يرد . يقول حماد
الرواية : إن العرب كانت تعرض شعرها على قريش فما قبلوه كان مقبولاً
وما ردوه كان مردوداً فقدم عليهم علاقة بين عبدة فأنشدهم قصيدته التي
يقول فيها :-

هَلْ طَعَلِمْتَ وَمَا اسْتَوْبَعْتَ مَكْتُومٌ

فقالوا غذه سبط الدبر ثم عاد إليهم العام المقبل فأنشد لهم :-

لَحَابِكَ قَلْبٌ فِي الْجَسَانِ عَرُوبُ

يُسَيِّدُ الشَّابَّ عَمَرَ حَانَ شَرِيْبُ

فقالوا هاتان سبطا الدبر :

وفي نصيحة بني أسد قال أبو يقظان قال عمرو بن عبد العزيز ما
كلمني رجل من بني أسد إلا تضييت أن يمدا في حجته حتى يكثر كلامه
فأنشده (١)

ومن أسباب فصاحته صلى الله عليه وسلم تلذذته على القرآن البليغ
الفصيح الذي تحدى معارضيه أن يأتيوا بمثله أولاً ثم تنازل لهم عن التحدى
بجميع القرآن الصادق الذي لا يخالف الواقع في شيء وإلى التحدى بمشر
سوره مثله ولو كانت مخترعات لا أصل لها ولا سند، فلما عجزوا عن السور
المشر المخترعات تنازل إلى تحديهم بسورة من مثله حتى إذا عجزوا عن
معارضته بسورة من سورء وعم أمة الفصاحة والبلاغة؛ جلجل صوته ففى
الآفاق وتحدى أم العالم قائلاً فى ثقة ويقين (قل لئن اجتمعت الإنس
والجن على أن يأتيوا بمثل هذا القرآن لا يأتيون بمثله ولو كان بعضهم
ليعض ظهيرا * (٢)

١- البيان والتبيين ١/ ١٧٤

٢- سورة الاسراء اية ٨٨

كما أن الله سبحانه وتعالى أَعَدَّ رَسُولَهُ الْكَرِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ إِعْدَادًا خَاصًا تَهْيِئًا لِنَفْسِهِ إِلَى أَثْمَةِ الْبَيَانِ وَزَعْمَةِ الْكَلِمَةِ حَتَّى تَكُونَ
لَهُ الزَّعَامَةُ بِدُونِ طَائِفٍ وَتَخْلُصَ لَهُ الْقِيَادَةُ بِدُونِ مُنَازِعٍ وَلَا يَجْرُؤُ أَحَدٌ أَنْ
يَقِفَ فِي وَجْهِهِ وَإِذَا وَقَفَ لَمْ يَسُدَّ مَا دَامَ عَلَى غَيْرِ طَرِيقِهِمُ الَّذِي عَهَدُوا
مِنَ التَّنَافُسِ وَالتَّصَارُعِ وَالتَّسَابُقِ لِأَنَّهُ نَالٌ مِنْ رَبِّهِ . أَمَّا هُمْ فَيَقْصُرُونَ تَارَةً
وَيَتَفَوَّقُونَ أُخْرَى لِأَنَّهُمْ يَخْضَعُونَ لظُرُوفِ الْبَيْئَةِ الْمُتَبَايِنَةِ الْمَطَالِبِ فَمَا تَتَطَلَّبُهُ
الْبَادِيَةُ تَرْفُضُهُ الْبُيُوتَةُ وَمَا يَفْخَرُ بِهِ الْمَرْبِيُّ الْقَحَّ يَنْفِرُ مِنْهُ الْهَاجِمِينَ لِذَا
قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَفْصَحُ الصَّرْبِ . وَمَوْقُولُ أَرْسَلَهُ فِي الصَّرْبِ جِهِيصًا
وَالْفَصَاحَةِ أَكْبَرُ أَمْرِهِمُ وَالْكَلَامِ سَيِّدُ عَمَلِهِمْ فَمَا دَخَلَتْهُمْ لَهُ حِمَاةٌ وَلَا تَعَاظَمُهُمْ
وَلَا رُدُّوا وَلَا غَضَبُوا مِنْهُ وَلَا وَجَدُوا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا . وَلَوْ كَانَ فِيهِمْ أَفْصَحُ
مِنْهُ لِمَارَعَاةِ بِهِ وَلَا قَامُوا فِي وَزْنِهِ ثُمَّ لَجَأُوا مِنْ ذَلِكَ سَبِيلًا لِقَبْضِ دَعْوَتِهِ
وَالْإِنْكَارِ عَلَيْهِ غَيْرَ أَنَّهُمْ عَرَفُوا مِنْهُ الْفَصَاحَةَ عَلَى أَتَمِّ وَجُوعِهَا وَأَشْرَفِ مَذَاهِبِهَا .
وَعَنْهُ السَّوَامِلُ مَجْتَمِعَةٌ كَانَتْ وَرَاءَ تَكْوِينِهِ الْبَيَانِي وَتَقْوَقُهُ اللَّضْوَى وَتَمِيْزُهُ
عَلَى سَائِرِ الصَّرْبِ وَتَقْوَقُهُ عَلَى مُخْتَلَفِ لِهَجَاتِهِمْ وَشَتَّى لِفَاتِهِمْ وَتَكُنُهُ مِنَ الْحَدِيثِ
لِكُلِّ بَطٍّ بِتِلَافٍ مَعَهُ .

وفصاحته قد صرح بها صلى الله عليه وسلم . روى البيهقي في شعب
الايضان عن محمد بن ابراهيم الحارث أن رجلاً قال يا رسول الله ما أفصحك
فقط رأيت الذي هو أعرب منك قال : حق لي فأنط أنزل القرآن على بلسان عرس

بين (١) فشهد له من بعد تصريحه أصحابه رضوان الله عليهم وكذلك يروى عن عمرو بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لما رسل الله ط بالملك أفصحنا قال لأن كلام أسطعيل عليه السلام كان درسا^{أق} به جبريل^{عليه} وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ط سمعت كلمة عربية من العرب إلا وقد سمعتها من رسول الله^{صلى الله عليه وسلم} وسمعتها يقول (ط ت عتف انه) وط سمعتها من عرس قبله .

وكذلك شهد له بالفصاحة النّارسون لأساليبه وأحاديثه :-

فألزحمشري يقول (٢) ثم إن هذا البيان الحري كأن الله عزّت قدرته محص وألقى زيادته على لسان محمد عليه وآله أفضل صلاة وأوقر سلام فط من خطيب يقاومه^{مفكك} إلّا تكص^{الرجل} وط من مصقع يناعزه الا رجع فارغ السجل وط قرن منطقه بمنطق إلا كان كالبرذون مع الحصان الطهم ولا وقع من كلامه شيء في كلام الناس الا أشبه الظم في نقبة الادغم . قال عليه السلام اوبت جوامع الكلم وقال أنا أفصح العرب بيد أني من قريش واسترضيت في بني سعد "

والجاحظ يصف كلامه قائلا :- (٣)

" هذا الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجل عن

١- المزهر - السيوطي ٢٠٩ / ١

٢- الفائق في غريب الحديث ١ / ٢

٣- البيان والتبيين للجاحظ ٢ / ١٢

المنحة ونزه عن التكلف استعمل المصوغ في موضع البسط والمقصود في موضع
القصر وهجر الغريب الحوشي ورغب عن الهجمن السوقي فلم ينطق إلا عن ميراث
كلمة ولم يتكلم إلا بكلام قد حُقِّقَ بالصحة وشدَّ بالتأييد ويسر بالتوفيق وجمع
بين المهابة والخلاوة وبين حسن الافهام وقلة عدد الكلام وهو مع استغناء
من إعادته وقلة السامع الى ماودته لم تسقط له كلمة ولا زلت له قدم ولا باتت
له حجة ولم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب بل يئذ الخطيب الطوال بالكلام
القصير ولا يلتصق إسكات الخصم إلا بط يصرفه الخصم ولا يحتج بالخلاصة
ولا يستعمل المواربة ولا يهيمز ولا يلعز ولا يبطس ولا يجعل ولا
يسهب ولا يحصر ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفماً ولا أجمل طعناً
ولا أكرم مطلباً ولا أحسن موقفاً ولا أسهل مخرجاً ولا أفتح من معناه
ولا أبين من فحواه من كلامه صلى الله عليه وسلم .

وقال الخطابي (١) " أعلم ان الله لطَّ وضع رسوله موضع البلاغة من
وحبه ونصحه ضربه البيان لدينه اختار له من اللغات أعربها من الألسن
أفصحها وأبينها ثم أظنه بجوامع الكلم . قال " ومن قصافته أنه تكلم بالفاظ
اقتضتها لم تسمع من العرب قبله ولم توجد من مقدم كلامها ، لقوله مات
حتف أنفه وحى الوطيس ، ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين . في ألفاظ عديده
تجرى الأمثال وقد يدخل في هذا احداثه الاسماء الشرعية - أ- هـ .

البصائر الأولى

عنه صلى الله عليه وسلم في الكلام
الخصم الأول
اختيار الألفاظ

ذكرنا سابقاً أنه لما كانت فصاحة والبيان وصفاً حسناً فلا يجوز
أن يكون اللفظ قبيحاً ولا مستهجنًا لذا كان النبي صلى الله عليه وسلم
وعو أفصح العرب ويتخير خطابه ويختار لأمره أحسن الألفاظ وأجملها
واللطيفها وأبعد ما عن الألفاظ الجفاء والنلظة والفحش فلم يكن قاحشاً
ولا مفاحشاً ولا مخابياً ولا مفضاً (١)

وعو الذي حدّد أن الكلام الاسلام والجامع لحتماله من لم يؤد
سلماً بقول أو فعل فيقول صلى الله عليه وسلم "السلام من سلم المسلمون
من لسانه ويده" (٢) فببر باللسان دون القول ليدخل فيه من أخرج لسانه
استهزاءً بصاحبه وتقدم على اليد لأن إيداءه أكثر وقبوحاً وأشدّ نكايّةً وإذا
كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لحسان أجمع قريشاً فإنه أشدّ عليهم من رشق
النبل وقال الشاعر :-

جراحات السّنان لها التّسام

ولا يلتام ما جرح اللّسان (٣)

وتروى لنا السيدة عائشة رضي الله عنها بقوله صلى الله عليه وسلم
(إن شرّ الناس منزلة يوم القيامة من ودعه أو تركه الناس اتقاء فحشه) (٤)

١- زاد المعاد . ابن القيم ج ٣ ص ١٩٧٣ ج ١/٢

٢- زاد المعاد ٣/٣٩٤

٣- المرجع السابق نفسه

٤- زاد المعاد ٤/٢٣٢

وسبب هذا الحديث أن رجلاً استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فلبس ابن العشرة أو يمس الرجل فلما دخل عليه ألان له القول وقالت عائمة فقلت له يا رسول الله في قلت له الذي قلت ثم أنت له القول • قال : يا عائمة : إن شر الناس منزلة يسوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه •

وكما كان يكره الفحش والبذاءة ، كان يكره أن يستعمل اللفظ الشريف الصوت من حق من ليس كذلك وأن يستعمل اللفظ المبهين المكروه في حق من ليس من أهله • (١)

فقال صلى الله عليه وسلم " لا يقل أحدكم ربي وليقل سيدي ومولاي ولا يقل أحدكم عبيدي وأمي وليقل فتاى وفتاتى وغلاى " (٢)
وسبب النهي عن ذلك أن حقيقة الربوبية إنما هي لله تعالى لأن الرب هو الطاك القائم بالشئ فلا يليق مشاركة غيره له فيها • قال القرطبي وغيره: إنما فرّق بين الرب والسيد لأن الرب من أسماء الله تعالى فالفرق واضح إذ لا التماس وإن قلنا إنه من أسمائه تعالى فليس في الشهرة والاستعمال كلفظ الرب ويحصل الفرق بذلك أيضاً (٣)

وعند مالك تخصيص الكراعية بالنداء فيكره أن يقول يا سيدي ولا يكره أن يغير النداء وقال الميمني: وقد قيل لمالك هل كره أحد بالمدينة قسوله

١- زاد البيان ٩/٢

٢- زاد الصلح ٢٩٦/٥

٣- المرجع السابق نفسه

لعبيده يا سيدي قال : لا . واحتج بهذه الآية " وألفيا سيدها لسيدي الباب " (٤) وقوله تعالى " وسيدا خصورا " (٥)

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لقوم من الأنصار " قوموا إلى سيديكم " (٦) والسيد سيد بن مازة رئيس الأوس رضي الله عنه وأمرهم عليه الصلاة والسلام بالقيام له حال قدومه عليهم لفصيلته وعلو مكانته وكيف وقد اشتهر المرثي لموته كما في الخير . وسيدكم هنا تعني رئيسكم وزعيمكم . وجاء في سنن أبي (٤) داود قوله صلى الله عليه وسلم : ... " لا يقول أحدكم عبدي وأمتي ولا يقول المملوكون ربّي وربتي وليقل المالك فتاى وفتاى وليقل المملوك سيدي وسيدتي فإنكم المملوكون والرب الله عز وجل .

وجاء في صحيح البخاري (٥) لا يقل أحدكم اعظم ربك وخصي ربك أسق ربك وليقل سيدي ومولاي ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي ولكن فتاى وفتاى وغلاص .

فهو صلى الله عليه وسلم ينهي عن التناول في اللفظ كما ينهي

عن التناول في الفعل وقوله صلى الله عليه وسلم فتاى بمفعول الخ

-
- ١- سورة يوسف (٥)
 - ٢- سورة آل عمران ٣٩
 - ٣- صحيح البخاري كتاب الاستئذان باب قول النبي (ص) قوموا إلى سيديكم
 - ٤- سنن أبي داود ٣١١/٢
 - ٥- صحيح البخاري كتاب الستى باب كرامة التناول

تألفاظ التي اختارها ليست دالة على الملك كدلالة عبيدي وأمتي فقد
أرشد صلى الله عليه وسلم إلى ما يؤدي إلى المصنوع مع السلامة ممن
التساظم مع أنهما تعلق على النعم والمطوب لكن انما تدل على الاختصاص
ومن ذلك قوله تعالى :-

(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَاهُ) (١)

ومن ذلك الباب أيضا أنه صلى الله عليه وسلم ضم أن تسمى شجرة
الجنب كرمًا بقوله (لا تقولن أحدكم الكرم فإن الكرم الرجل الصالح ولكن
قولوا حداث الأصب)

وغر رواية أخرى لا تسموا جنب الكرم لأن الكرم قلب المطمئن (فهو ينهى عن
تسمية جنب بالكرم وتلك النهى كونه يتخذ منه الخمر • وقد قيل أنهم
سموا جنب كرمًا لأن المتخذ منه يحد السقاء ^{على} ويأمر بالكرم فلذا نهى عنه
لأن غير المتألمين إذا سمسوه ربما حاجت نفوسهم إليها فواتموا أو قاربوا •
والمراد من النهى تأكيد تحريم الخمر بمحو أسماها وتقرير أن المستحق لهذا
الاسم المشتق من الكرم هو قلب المؤمن الذي يتقى شربها • ويرى الكرم
كل الكرم من تركها • فهو أحق بهذا الاسم الكريم لكونه المفضل لشجرة الايمان
والمأوى لكلال الثنوى فكره عليه الصلاة والسلام تسميته لأن غيرها شقيراً لما كانوا

١- سنن أبي داود ٣١١/٢

٢- رواه أبو هريرة وذكره البخاري في كتاب الأدب باب قول النبي إنط الكرم
قلب المؤمن •

يتوكلونه من ثريم شاربها قال لقيط بن زرار (١)

شربت الخمر حتى غلبت أنى أبو قابوس أو عهد الممدان
أشقى غم يلى عدس بن زيد رضى البلى ضللى اللسان
وقال الآخر (٢)

إذا صدمتنى الكأس أبدت محاسنى وام يخنى ندانى أذاتى ولا يخلنى
ولست بغفارٍ عليم وإن أسسنا وما ككل من آذى نداماً من شكلى
وقال حسان :ـ (٣)

ونشرها فتركتنا طسوكاً

وأسدا ط ينهننا اللقاء

وقال آخر يرثى بعضهم

لا تنفروا يا نائى ضمه فانه شريب خمر صبر لحروب

ويروى أبو داود فى كتاب الأدب أنه لما وفد إلى الرسول
صلى الله عليه وسلم جطعة منهم؛ يكنون أحدهم بأبى الحكم فدعاه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله هو الحكم فلم تكن بأبى الحكم ؟
فقال : إن قومى إذا اختلفوا فى شىء أتوني فحكمت بينهم، فرضى كل الفريقين .
فقال صلى الله عليه وسلم : ما أحسن عذا فط لك من الولد؟ فقال لى شريح
وسلم وعبد الله قال : فمن أكبرهم؟ قلت شريح قال فأنت أبو شريح (٤) وما

١- الكامل ٧٢/١

٢- الموجع السابق نفسه

٣-

٤- الادب المفرد ٢٨٣/٢

اه ولولده .

وسئل صلى الله عليه وسلم عن العقيقة فقال : لا يجب الله

المقوق . (١)

وهو القائل صلى الله عليه وسلم " لا يقولن أحدكم خبثت نفسى

واكن ليقل لقست نفسى (٢) " فكرة لفظ الخبث لبشاعته وأختار اللفظ

السالم لأنه كان صلى الله عليه وسلم يعجبه الاسم الحسن ويتفأل به

ويكره الاسم القبيح ويغيره وهكذا كانت سنته ، كما يروى عنه أنه قال من

يسوق إبنا هذه أو قال من يبلغ إبنا هذه ؟ فقال رجل : أنا فقال

" ما اسمك ؟ قال فلان . قال : اجلس ثم قام آخر فقال ما اسمك فقال

فلان فقال اجلس . ثم قام آخر فقال ما اسمك ؟ قال : ناجية . قال " أنت

لها " فسقها " (٣) وسمع النبى صلى الله عليه وسلم أنهم يسوون رجلا

منهم عبد الحجر فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما اسمك ؟ فقال عبد الحجر

قال لا . أنت عبد الله . (٤)

كما يروى عنه ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم غيّر اسم عاصية

وقال أنت جميلة (٥) وجاء فى الإصابة جميلة بنت ثابت زوج عمر كان اسمها

١- سنن أبى داود ٩/٢

٢- زاد المسلم ٤٠٠/٥

٣- الادب المفرد ٢٨٤/٢

٤- الادب المفرد ٢٨٣/٢

٥- أخرجه مسلم فى الاستذنان وأبو داود فى الادب والترمذى فى
الاستذنان

عامية فسطاطا رسول الله صلى الله عليه وسلم جميلة. وأخرج ابن أبي شيبة أن أمة لعمري قال لها عامية فسطاطا رسول الله عليه وآله وسلم جميلة. (١)

ويروى أيضا أن محمد بن عمرو بن عطاء دخل على زينب بنت أبي سلمة فضالت عن اسم أخت له عنده قال فقلت اسمها برة . قالت : غير اسمها فإن النبي صلى الله عليه وسلم نكح زينب بنت جحش واسمها برة فغير اسمها زينب ودخل على أم سلمة حين تزوجها واسم برة - فسميها تدعوني برة فقال لا تزكوا أنفسكم فإن الله هو أعلم بالهؤمى والفاجرة . فسميها زينب . فقال فهي زينب (٢) ويقال أن أصل الكلمة (زين أب) فنقلت حركة همزة الأب إلى النون بمد اسقاط الحركة ثم حذفت الهمزة . أى زينة لابيها .

ومن اختياره للاقتضا استعمل الأسما الاتصال عندما يقتضى الحقام وإيحاز اللفظ واختصاره مع وفاء المعنى والجائفة فيه . واسم الفيل اكتسب بالاستعصاء المعنى القديم ميزتين ليستا للفعل الذى بمعناه :-

الأولى : أن اسم الفعل أقوى من الفعل الذى بمعناه فى أداء المعنى وأقدر على إبرازه كاملاً الجائفة فيه فالفعل " بُعِدَ " مثلاً يفيد مجرد

١- الأدب الخرد ١٦٤/٢

٢- الأدب الخرد ١٦٤/٢

المعد ولكن اسم الفعل الذي بمعناه وهو "هيهات" يفيد المعد البعيد أو الشديد لأن معناه الحقيقي هو بعد جدًا والفعل "انترق" يفيد الافتراق المجرد لكن اسم الفعل (مشتان) وهو بمعناه يفيد الافتراق الشديد لأن معناه الحقيقي هو افتراق جدًا .

والثانية : أنه يؤدي الحسنى على الوجه السالف مع إيجاز اللفظ.

واختصاره لالتزامه في الغلب صورة واحدة ولا يتغير مع الفرد أو الشيء أو الجسم أو التعدد كبر أو التانيث (١)

والأشلة على استعمال أسطر الافعال في أحاديث الرسول صلى

الله عليه وسلم كثيرة تقتصر على أشلة منها : -

نسخ ذلك طل رابع، يخ ذلك طل رابع (٢)

وسبب هذا الحديث أن أبا طلحة كان أكثر الأعمار طلاً وكان له بستان فيه نخل وطء طيب يقال له " بيرحاء " فلما نزلت الآية : لمن تنالوا البر حتى تخففتوا مط تحبون " قام أبو طلحة فقال يا رسول الله ان احب أموالى الى بيرحاء وأنها صدقة الله تعالى فضعها حيث شئت فقال عليه الصلاة والسلام يخ ذلك طل رابع ٠٠٠٠٠ الخ وقد سمعت ما قلت وأنى أرى أن تجعلها في الأقربين وقال أبو طلحة أقبل يا رسول الله

١- النحو الوائى - عباس حسن ١١٠/٤

٢- رواه ابنى وأخرجه البخارى في كتاب الزكاة باب على الأقارب

ففسها ابو الملح بين اقاربه وبخ اسم فاعل بمعنى اثنى وأمدح وأبدح
واعظامي في تقديرى وهى كلمة تقال عند الرضا والاعجاب لا ترى أنها
أدت المعنى وزيادة مع إيجاز اللفظ والبالغة فى المعنى .

والمثال الثانى قوله للحسن بن على :-

كخ كخ إرم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة (١) قالها له حين
أخذ ثمرة من تمر الصدقة فجعلها فى فيه وكخ يجعلها ابن مالك
من اسماء الافعال وذلك ان يقول :-

وما به شوطب ما لا يعقل

من شبه اسم الفعل صوتا يجعل

وهى كلمة تقال عند زجر الصبي عن تناول شىء وعند التقدير من شىء .

ومثال ثالث هو قوله لبلال بن رباح

أوه أوه عين الربا عين الربا (٢)

قاله لبلال عندما جاء إلى النبی صلى الله عليه وسلم بتمر برنى فقال
له النبی صلى الله عليه وسلم من أين هذا التمر البرنى وهو ضرب من
التمر أصفر مدور وهو أجود التمر ولما قال له النبی صلى الله عليه وسلم
من أين هذا قال بلال كان عندنا تمر ردى فبعت منه صاعين بصاع ليطعم

١- زاد المسلم ٨٩/١

٢- زاد المسلم ١٨/٢

النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك
أَوْه أَوْه عين الربا عين الربا لا تفعل ولكن اذا أردت أن تشتري فيسبح
التمر يسبح آخر ثم اشتر به . وقوله صلى الله عليه وسلم أوه كلمة حمزن
و شَوَّج وهو اسم فعل كما صرح به ابن مالك في ألفيته بقوله :-

مَا قَابَ عَنْ فَعَلَ كَشَتَانِ وَحَمَ

وهو اسم فعل وكذا أَوْه وَمَسَّ

فَأَوْه اسم فعل مضارع بمعنى أتوسع فالرسول الكريم عندما تألم من فمسيل
بلال بهذا اللفظ ليكون ابلغ من الزجر مع اعتصامه .

والنبي صلى الله عليه وسلم استعمل أيضا بناء المبالغة في كثير
من أحاديثه مثال ذلك قوله :-

ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد ^{الذي} يملك نفسه عند الغضب . (١)

فاستعماله للصرعة ببناء المبالغة التي هي على وزن مُحَمَّرَةٍ وَلَمْزَةٍ وَحَكَاةٍ
والمراد من يصرع الناس كثيرا بقوته فالمعنى المراد إنما الكامل في الشدة
المفيدة الذي يملك نفسه عند الغضب فقد نقل صلى الله عليه وسلم الصرعة من
موضع اللغوي الى الذي يملك نفسه عند الغضب لضرب من التوسع والمجاز
وهو من فصيح الكلام لأنه لما كان الضميران بحالة شديدة من الغيظ وقد
ثارت نفسه بالغضب، فقد قهرها بحلمه وصرعها بشباته كان كالصرعة الذي يصرع

(١) - مقدمة البارى الى أحاديث البخارى - السيد عبد الرحيم عنبر المحرر

الطهطاوى طبعة ثانية ١٣٤٠ هـ مصر ج ٢ / ١٠٧

الغضب كان قد قهر أقور أعدائه ولما كان النبي يختار ألفاظه اختياريًا
لتؤدي المعنى المراد بأقرب السبل وكان يستعمل الألفاظ التي تؤدي
المعنى أكثر من غيرها ، فاسمده يقول " لقد هبت أن آمر بالصلاة
فتقام ثم أخلف منازل قوم لا يشهدون الصلاة فاحرق عليهم بيوتهم (١)
فقوله احرق بالتشديد يؤدي المعنى أكثر مما لو قال أحرق دون تشديد
والتشديد للتكثير فنقول حرقه إذا بالغ في تحريقه .

وابنه جني في خصائمه أفرد باباستاء قوة اللفظ لقوة المعنى (٢)
يقول فيه " هذا فصل في المربية حسن منه قولهم خشن وانشوشن فمعنى
خشن دون معنى انشوشن لما فيه من تكرير السين وزيادة الواو
ومن ذلك أيضا قولهم رجل جميل ووضئ فإذا أرادوا المبالغة
في ذلك قالوا وضأ وجمال قرادوا في اللفظ هذه الزيادة لزيادة في
معناه .

قال الأعرابي (٣)

والهرة يلحقه بقتان الندى

الذي كرم وليس بالوضئ

وكذلك حسن وحسان قال الشاعر في قصيدة يهجو فيها الربيع بن

١- زاد المسلم ٤٥/٢

٢- الخصائص ٢٦٦/٣

٣- المرجع السابق نفسه

دار الفتاة التي كنا نقول لها

يا غيبة عطلا سمانه الجيد

وكان أصل هذا إنما هو لتضميف اليمين في نحو المثال قطع وكسر
وبابهما .

ومن الالفاظ المختارة الدالة على قوة المعنى لفظ الجرجرة والصلصلة
الذي يضعه ابن جني في باب أساس الالفاظ أشباه المعاني والذي
يقول فيه اعلم موضع شريف لطيف وقد نته عليه الخليل وسيبويه وتلقته
الجماعة بالقبول له والاعتراف بمحتسه :-

قال الخليل كأنهم تومعوا في صوت الحنذيب استتالة ومدا

فقالوا كسر وتومعوا في صوت البازي تحقيقا فقالوا كسر كسر

وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفصلان أنها تأتي

للاضطراب في الحركة نحو النقران والفليان والفشيان فقابلوا بتوالي حركات
المثال توالي حركات الإفعال ويقول ابن جني :

وجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حمده

وسنهاب ما مثله (يعني الخليل وسيبويه) ، وذلك أنك تجد المصادر

١- الخصائص ٢٦٦/٢

٢- الخصائص ١٥٢/٢

الرابعة المضممة وتأتي للتكرير نحو الزعزعة والقلقلة والسلسلة والجرجرة والقرقرة .

قال صلى الله عليه وسلم الذي يشرب من آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه

نار جهنم (٢)

وقال عليه السلام يصف طريقة نزول الوحي على قلبه " أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ ، ففصم عني وقد وعيت ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول (٣) وقال أيضاً :-

بينما رجل يمشي في حلة تمحيه نفسه ثمَّ جلَّ جلاله
إن خشف به الله فهو يتلجلجل إلى يوم القيامة" (٣) فلفظ الجرجرة والسلسلة والجلجلة كلها مضممة تعني التكرير والحركة والصوت .

١- الموطأ / ٨

٢- صحيح البخاري بدء الوحي ٦/١

٣- زاد المسلم ١٥٣ / ٢

الإيجاز

الإيجاز سمة بينة غالبية على أحاديثه صلى الله عليه وسلم.

فقد كان شديد الميل إلى إيجاز الحديث وخطم الكلام ورزم الشطبي
وشديد المزوف عن الشرقة في غيره ما حائل والتفريق في غير ما حاجة
والاسترسال من غير سبب قوي داع للاسترسال وبسط الكلام.

ولقد كان ^{معدلاً عليه} صادقاً صادقاً في كلامه ودعائه وإلى المعاني
الواسعة التي تصاغ في ألفاظ قليلة يسيرة وقد أشار صلى الله عليه
وسلم إلى هذه السمة الظاهرة البينة في أحاديثه فقال (أوتيت
حوام الكم واختصر لي الكلام اختصاراً) وفي رواية (بحث بجوامع
الكلم نصرت بالرعي) (١)

وبفضل هذا المضاء الجسم غير المجذوذ استطاع الرسول
صلى الله عليه وسلم أن يدرك باللفظ القليل المحكم من المعاني والمضامين
بلا يتركه غيره بالالفاظ المستثيرة . وإيجاز اللفظ عدّه البلغاء من
البلغة . قيل لأحمد ما البلغة؟ قال: إصابة المعنى وحسن الإيجاز
وقال آخر: البلغة إجابة اللفظ وإشباع المعنى. (٢) وقال معاوية
لعمرو بن العاص من أبلغ الناس فقال: من اقتصر على الإيجاز وتكسب
الفنول، وحضر أعرابي مجلس رجل مكر مسترسل، فسأل الرجل الأعرابي

١- زاد المسام فيما اتفق عليه البخاري ومسلم - الامام الشنقيطي دار

أحياء التراث العربي بيروت لبنان ١٣٨ / ١

٢- المدة - ابن رشيبي ٢٤١ / ١

قائلا ما الحيّ عندكم قال الأعرابي : ما انت فيه منذ اليوم .
وما كان للرسول أن يلجأ إلى الاكثار والاسهاب والتطويل
إذ الاكثار والاسهاب والتطويل كثيرا ما يثّم على قلة الحياء وهو
صلى الله عليه وسلم الحيّ الكريم الذي عدّ الحياء شعبة من شعب
الايمان . ووصفه أبو سعيد الخدري بأنه كان أشدّ حياء من الصنفاء
في خدرها . ولقد أدرك بعض الثمراء صلوة ما بين الاكثار
وسوء الحياء فقال :-

نزر الكلام من الحياء تماثله ضمنا وليس بهضمه سُقم
عقم النساء فما يلدن شيعة إن النساء بثلثه عقيم
والاكثار والاسهاب والتطويل قد ينم على التكلف والتعمّل
والتنطع وهو صلى الله عليه وسلم أبعد الناس عن التكلف والتعمّل
والتنطع قال تعالى (قل ما اسألكم عليه من أجر وما أنا من
المتكلفين) (١) والاكثار والاسهاب يقود صاحبه إلى الهجر . قالوا من
غاق صدره أتسع لسانه ومن أكثر أمجر أي خرج إلى الهجر وهو
القبيح من القول . وقالوا الكثار كحاطب ليل وحاطب الليل ربما نهشته
الحية أو لسمته العقرب في احتطابه .

يقال ان مالك بن عيسى وحارث بن عبد العزيز الماسريان

تمازيا عند علقمة بن علاثة فكره علقمة تفاهم الأمر بينهما، فقال " أول
المسئ الاختلاف وأسوأ القول الإفراط ، فلتكن مازعتكما في رسل
ومشائركما في مهمل " (١) والاختلاف هو الغضب والغضب عسى
عن السيوط .

ولقد أخير وهو الصادق الصدوق على الله عليه وسلم قائلا
" إِنْ أَحْبَبْتُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبْتُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا ،
وإِنْ أَبْغَضْتُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدْتُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ الشَّرَارُونَ وَالْمُتَفَيِّهُونَ
وَالْمُتَفَيِّهُونَ . قالوا يا رسول الله قد علمنا الشرارين ، والمتفهيقين
فما المتفهيقون ؟ قال " المتكبرين " (٢)

والشرار هو كثير الكلام تكلفا وتجاوزا وخروجاً عن الحق
وأصل اللفظ من العين الواصفة من عيون الماء يقال عين شرشارة
وكان يقال لنهر بعينه/ وإنما سمي لكثرة مائه قال الاختلاف :- (٣)
لمصرى لقد لاقت سليم وعامر على جانب الشرشار رغبة البكر
وقوله المتفهيقون إنما هو بمنزلة قوله الشرارون وتوكيد له ومتفهيق متفعل
من قولهم فهن الخديرة يفيهن إذا امتلأ ماء فلم يكن فيه موضع مزيد .

١- العقد الفريد ٨١/٣

٢- إياض المالعين - النووي - مصر ١٩٥٥ ص ٢٨١

٣- الكامل للمبرد ٥/١

كما قال الأعشى (١)

نَفَى الدَّمَ عَنْ رَهْطِ المَدَى جَفَنَهُ

كجافية الشيخ المراقى تَفَهَّقُ

وتأويله أن المراقى إذا تَكَنَّ من الماء مَلَأَ جابيته لأنه مضروباً فلا

يمصرف مواقع الماء ولا محالته .

ووجهاء في سنن أبي داود قوله صلى الله عليه وسلم يَبْيانُ

الله يَغْرِضُ البليغ الذي يتغلل بلسانه تغلل الباقرة بلسانها (٢)

والمشذوق ، المتطاول على الناس بكلامه ويتكلم بملء فيه تفاصحاً

وتعظيماً لكلامه . وفي ذلك يقول الجاحظ " إِنَّمَا عَابَ النَبِيُّ الْمُشَادِقِينَ

وَالثَّرَارِينَ ، وَالَّذِي يَتَغَلَّلُ بِلِسَانِهِ تَغَلَّلَ الْبَاقِرَةُ بِلِسَانِهَا ، وَالْأَعْرَابِيُّ

الْمُشَادِقُ هُوَ الَّذِي يَصْنَعُ بِفَكِّيهِ وَبِشِدْقِهِ مَا لَا يَسْتَجِيزُهُ أَهْلُ

الْأَدَبِ مِنْ خُطْبَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، فَمَنْ تَكَلَّفَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَهُوَ أَعْيَبُ وَالْدَّمَ

لَهُ أَلْزَمُ (٣)

وفي موضع آخر يقول " فَإِذَا كَانَ الْمَعْنَى شَرِيقاً وَاللَّفْظُ بَلِيغاً

وَكَانَ صَحِيحَ الطَّبَعِ بَيِّداً عَنِ الاسْتِكْرَاهِ وَمَنْزَهاً عَنِ الْاِخْتِلَالِ مَصُوناً

١- رِياضُ الصالحين - النووي - صرة ١٦٥ عن (١٨)

٢- سنن أبي داود ٣١٥/٢

٣- البيان والتبيين ١/ ٢٧٠

عن التكلف^(١) ، منع في القلوب صنيح النيث في الثرية الزينة^(٢) (١)

وصاحب العقد الفريد (١) يذكر ما قاله أبريز لكاتبه :-

" اجمع الكثير مما تريد من المعنى في القليل مما تقول " يحضه على

الابهاز وينهاه عن الاسهاب والاكثار .

وما كان الرسول صلى الله عليه وسلم ليأمر أصحابه بالابهاز

وعدم التكلف هم يأتي من هذا شيئا وهو التامع الامين الذي لا يخالفهم

الى ما ينهأهم عنه . من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لجرير بن عبد الله

الهلبي " يا جرير إذا قلت فأوجز وإذا بلغت حاجتك فلا تتكلف . ومنه

أن رجلا تكلم عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله

عليه وسلم " كم دون لسانك من حجاب ؟ فقال شفتان وأسنان فقال

له :- " ان الله يكره المتبعاق في الكلام فنصر الله وجه رجل أوجز

في كلامه واقتصر على حاجته " (٢)

ولقد سمع أصحابه الميامين نصيحتة ، وعملوا بها ، واجتهدوا غاية

الاجتهاد في الاقتداء بهديه واتباع سبيله ، قيل لعبد الله بن عمر (٣)

أدع لنا بدعوات فقال : اللهم ارحمنا وعافينا وارزقنا " فقالوا : لو زدتنا

١- البيان والتبيين ١ / ٧١

٢- العقد الفريد ١٥٦ / ٤

٣- السيرة - ٢٤١ /

٤- البيان والتبيين ١ / ١٤٥

يا أبا عبد الرحمن ؟ قال :- نسوز بالله من الاسباب . وقال : آخر
أعزذ بالله من الاسباب قيل : ما الاسباب :- قال المسبب الذي يتدخل
بلسانه فتدخل الباقى ويحول به شولان الروق * (١)

والاكتثار والاسباب والتحويل قد يتم على قلة الإكثار بالكلمة
وقد يدل على عدم المبالاة بالقول . ولقد كان صلى الله عليه وسلم
أشد الناس إحساسا بقيمة الكلمة فكان يزن الكلام وزناً وهو المدرب على
الشعور بالمسئولية ، والقيام بها . وهو الذى يعلم أن العين تترى
وزناها النظر وأن اللسان يزن وزناه المنطق وهو الذى يعلم
أن الإنسان مسئول عن ألفاظه وكلماته (ما يلفظ من قول إلا لديه
رقيب عتيد) (٢) لذلك كان إذا تكلم بكلمة مفصل يده الممان
ليز بهذر سريع لا يحفظ ولا منقاع ، فتدخله السكات بين أفراد
الكلام ، هل ندية فيه أكمل الهدى ؟ قالت عائشة " ما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسرد سردهم هذا ولكن كان يتكلم بكلام يبينه ،
فصل يحفظه من جملته إليه وكان كثيراً ما يمد الكلام ثلاثاً ليعقـل
عنه وكان إذا سلم سلم ثلاثاً ، وكان أول السكوت لا يتكلم فى غيره حاجة

١- العقد الفريد ١٥٦/٤

٢- سورة قى آية ١٨

يفتح الكلام ويختتمه بها ^{بما ينبغي} ^{بما ينبغي} ويتكلم بمواضع الكلام فصل، لا فضول
ولا تقصير وكان يتكلم فيها بمعنى لا يتكلم إلا فيها يرجو ثوابه
وإذا كره الشيء عرف في وجهه ولم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا مخافاً (١)
ولهذا وغير هذا جاءت أحاديثه غاية في الإيجاز وآية في البلاغة
وقفة في البيان تأخذ بالقلوب وتنبس الأرواح وكانت روضة من رياض
الجنة وثمر من ثمار الخلد وينبوعاً من ينابيع الحكمة قال تعالى " وأنزل
الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك
عظيماً " (٢)

ولهذه الصفة البارزة في أحاديثه صلى الله عليه وسلم نمتد
أن كثيراً منها قد خرج مخرج الأشكال وجرى مجراها ونحن نعلم أن
الإيجاز شرط من الشروط المقدمة في المثل إذ المثل يعتمد على
الصياغة المركزة التي تلخص المعنى تلخيصاً وتدعه مركزاً في الذهن
ثابتاً في الذاكرة ماثلاً في الخيال سهلاً حفظه واسترجاعه والاستشهاد
به في المناسبات المتباينة والمقامات المختلفة . قال صاحب المعية " المثل
السائر في كلام العرب كثير نظماً ونثراً وأفضل منه أوجزه وأحكمه أصدقته

١- زاد المعاد في هدي خير العباد - ابن قيم الجوزية - ١ / ٤٦

٢- سورة النساء آية ١١٣

وَقِيلَ لَهُمْ ^{بِأَنَّهُمْ} مَثَلُ مَسْرُودٍ وَمَسَارِدٍ أَوْ سَائِرٍ لَا يَرْتَدُّ كَالْجَمَلِ الْمَغْبُوبِ
الْمَسَارِدِ الَّذِي لَا يَكَادُ يَخْرُضُ لَهُ وَلَا يَرْتَدُّ" (١)

والأحاديث التي دارت في الآفاق وسارت بها الركبان وصارت
مثلاً سائراً مسروداً كثيرة في أحاديثه صلى الله عليه وسلم نهيتنا
بعضها ما روت كتب الأحاديث والأدب: سمى أعرابي دندنة الرسول
صلى الله عليه وسلم ومعناه بن جيل بالقراءة والدندنة والمهيشة
والترنم كلها بمعنى واحد وهو الصوت الخفى، فقال الأعرابي للرسول
صلى الله عليه وسلم: أما أنى لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، ولكنى
أريد الجنة، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم فى بلاغة ولباقة وإيجاز
مميز: حولها دندن " وأسر الرسول صلى الله عليه وسلم أبناً
عزة الشاعر الجهمى فى غزوة بدر فقال أبو عزة إننى رجل فقير ذو عيال
وحاجة عرفت بها فاستن على ففقا عنه الرسول صلى الله عليه وسلم على
الآ يظاهر عليه أحداً فمأهده فاطمة فقال :-

الْأَبْلَسَا عَنَى النَّبَى مَهْدًا فَإِنَّكَ حَقٌّ وَالطَّرِيقُ حَمِيدٌ
وَأَنْتَ أَعْرُؤٌ تَدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَالْهَدْيِ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ الزَّيْمُ شَهِيدٌ

وَأَنْتَ امْرُؤٌ بَوَّهْتَ فِينَا سِمْاءَ لَيْسَ دَرَجَاتُ سَهْلَةٍ وَمُرْسُودٌ
وَأَنْتَ مِنْ حَارِبِهِ لِحَارِبٍ مَقِيٍّ وَمَنْ سَأَلْتَهُ لِسِيْدُ
وَلَكِنْ إِذَا ذُكِّرْتَ بِدُرٍّ وَأَهْلِيهَا تَأَوُّبٌ مَنِ اسْرَةٍ وَتَمْسُودُ

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أَحَدٍ ، دَعَاهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خُلَافٍ الْجَحْمِيُّ
وَهُوَ سَيِّدُ مِمَّ - إِلَى الْكَرُوحِ ، فَقَالَ : إِنْ مَحَمَّدًا قَدْ مَنَّ عَلَىَّ وَعَاهَدْتَهُ
أَلَّا أُعَيِّنَ عَلَيْهِ . فَلَمْ يَزَلْ بِهِ ، وَكَانَ مُحْتَاجًا ، فَغَاغَمَهُ ، وَالْمُحْتَاجُ
يَطْعُ . فَخَرَجَ وَسَارَ فِي بَنِي كَنَانَةَ يَحْرُسُهُمْ وَيُؤَلِّبُ عَلَى النَّبِيِّ :-

أَيَا عَبْدَ مَنْفِ الرِّزَامِ أَنْتُمْ سِمْاءُ وَأَبَسُكُمْ حِمَامُ
لَا تَعْدُونِي نَصْرَكُمْ بِعَدِّ السَّامِ وَلَا تَسْلَمُونِي لَا يَحِلُّ إِسْلَامُ

فَأَسْرَ يَوْمَ أَحَدٍ ، فَشَكَاَ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ
وَعِيْلَهُ ، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ عَلَىَّ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
(لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جَهْرٍ مَرَّتَيْنِ) (١) وَمِنْ رَوَايَاتِهِ لَا تَسْمَعُ نَارَ ضَبْكَ
بِمَكَّةَ تَقُولُ خِدْعَتُ مُحَمَّدًا مَرَّتَيْنِ " لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جَهْرٍ مَرَّتَيْنِ " فَطَارَتْ
قَوْلَتُهُ الْبَلِيغَةُ فِي الْأَقَانِ يَسْتَشْهِدُ بِهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاقِفِ الَّتِي لَا يَمُحُّ
أَنْ يَمُودَ إِلَيْهَا الْإِنْسَانُ ثَانِيَةً ، إِذَا أَتَتْهُ أَذِيَّةٌ مِنْ جِبَةٍ .

وَالْأَحَادِيثُ الَّتِي تَدْعُو فِيهَا الضُّحَى وَيَسْتَشْهِدُ بِهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاقِفِ
كَخَيْرَةِ أَهْلِهَا الْإِثْلُ مِنْ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ وَالْهَدْيِ وَجَمْعِهَا فَتَجِدُ
ابْنَ عَبْدِ رَبِّهِ ، عِنْدَمَا يَتَحَدَّثُ عَنْ الْأَمْثَالِ ، فِي كِتَابِهِ الْعَقْدُ الْفَرِيدِ ، أَوَّلَ مَا يَبْدَأُ
بِهِ أَمْثَالَ رَسُولِ اللَّهِ (ع) ثُمَّ أَمْثَالَ الْعُلَمَاءِ ، ثُمَّ أَمْثَالَ الْعَرَبِ مِنْ أَمْثَالِ
الْعَامَةِ ثُمَّ الْأَمْثَالَ الَّتِي اسْتَمَطَهَا الشُّعْرَاءُ فِي أَشْعَارِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ .^(٢)

١- جمهرة الأمثال - أبو - علي المسكوك - ١٤٤٤ هـ ، القاهرة ٢٠٢٢/٢٠٢٣
(٢) انظر العقد الفريد ٦٢/٣

كما أن الشماليين

جميعها في باب سماء " حوامح الكلم عن النبي صلى الله عليه وسلم (١)

ومن أمثاله قوله صلى الله عليه وسلم: إن الضيت لا أرضاً قطع

ولا ظهرًا أبقى " قاله حين ذكر الغلو في العبادة بمعنى أن الشد

في السير إذا أفرط في الاغذاء عابت راحلته من قبل أن يبلغ حاجته

أو يقضى سفره فشيء ذلك من أفرط في العبادة حتى يبقى حسيماً

فصارت مثلاً يضرب لكل من أفرط في أي أمر كان . ومنها قوله (العرب

شدة) (٢) يريد أنها المكر والخديعة . وقوله حين ذكر الدنيا وزينتها

فقال (إن ما ينبت الربيع ما يقتل حيطاً أو بدم) (٣) والحيط كما

ذكره أبو عبيد عن الأصمعي أن تأكل الدابة منه حتى تنفخ بطونها

وتمرض منه ، يقال حبطت الدابة تحبط حيطاً . وقوله أو يلّم معناه أو يخرّب

من ذلك . ومنه قوله إذا ذكر أهل الجنة فقال إن أعدم إذا نطس

إلى ما أعد الله له ^{في} الجنة فلو لا أنه شيء قضاء الله له لا لم أن يذهب

بصره . (٤) ومنها قوله لأبي سفيان أنت يا أبا سفيان كما قيل " كل الصيد

في جوف الفراء . ومعناه: إنك في الرجال كالقرا في الحديد ، والمثل قديم

١ - الأبحار والأعجاز دار مطب بيروت ص ١٦

٢ - حدية البار ٢٢٣/١

٣ - حدية البار ١٤١/١

٤ - حبرة الأشكال ج ١/ ص ١٦ .

وأصله أن قوماً نزلوا للسيد فساد أهدم ظبيها وآخراً أرنيساً
 وآخراً غراً وهو الحمار الوحشي فقال لأصحابه "أنا السيد في بيوت
 الفراء" أن جميع ما ردهم يسير في جنب ما ردهم . وتصل به
 الرسول صلى الله عليه وسلم قال أبو ملال العسكري ^(١) أخبرنا أبو
 أحمد ، عن ابن الأنباري عن اسماعيل بن إسحاق عن عليّ المديني
 عن سفيان عن وائل بن داود عن نمر بن عامر قال أخبر أبو سفيان
 في الأذن فقال يا رسول الله كدت تأذن لحجارة الجاهليتين قبلي . فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم انك وذلك يا أبا سفيان كما قيل أو
 كما قال الأول (كَلَّ التَّيْدُ فِي جُوفِ الْفَرَا) . قال الشيخ رحمه الله
 ولم يسمع بحلقة الأثر في هذا الحديث وإنما هو حلقة الوادي يمني
 وسماه * أم (١) فسار مثلاً يضرب لمن يفضل على أقرانه ويقدم على
 نظرائه . إلا أن الحلقة هي ناحية الوادي وطرفة ولو كان وسطه لما
 صح قول السيد
 فَعَلَا فُرُوعُ الْأَيْهَقَانِ وَالْخَلْقُ بِالْجَاهِلِيَّتَيْنِ ظَبَاؤُهَا وَنَعَاؤُهَا (١)
 ومن ذلك قوله * الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما

(١) جملة الأمثال - ١٦/٤
 - ديوان السيد دار صادر ١٩٦٦ بيروت ص ١٦٤

تنافر منها اختلف (١) وقوله ليس الشديد بالصرعة " وقوله ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى النفس) وقوله: لو كان لابن آدم واديان من مال لا يتغنى ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب (٢) وقوله الصمت حكم " وقليل فاعله) وقوله (العبد حر إذا قسح والحر عبد اذا طسح) وقوله (المتشبه بما لم يسط كلاً من ثوبين زور) وقوله (من الوطيس) أن اشتد الامر وقوله (اعقلها وتوكل) وقوله (من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه) الى غير ذلك من الكلام الجامع الطليح الذي تثبت الايام صدقه ونفاذه يوماً بعد يوم وساعة اثر ساعة .

ولقد جاءت أحاديثه على الله عليه وسلم جامعة فائدة مانعة تملج القفايا الكبيرة النخمة في الالفاظ القليلة المشرقة وهذا مما ساعد الفقهاء وساعد العلماء وأعانهم على وضع القواعد الدينية والاسس التشريعية والنظريات الفقهية وكثير من الامور التي تندرج تحتها الفروع فالامام تاج الدين بن عطاء لما تكلم على حديث (اتقوا الله واحفظوا في الطلب) ذكر أن فيه عشرة أوجه ما حاصله أنه ليس القصد الحر بل الامر أوسع من ذلك لأنه كلام صاحب الأنوار المحيطة فلا يأخذ^{بالتأخذ} منه إلا على

١- هداية البارئ ١٨٩/١

٢- هداية البارئ ١٠٢/٢

حسب نوره و لا يحصل من جوامع بحره إلا على قدر غوصه وكلّ يفهم على حسب المتام الذي أقيم فيه بماً واحد ويفضل بعضها على بعض فليس الأكل وما لم يأخذوا أكثر ما أخذوا وقد قال عليه السلام أوتيتم جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً فلو عبر العلماء أبد الآباد عن أسرار الكلمة الواحدة من كلامه لم يحيطوا بها علماء ولم يقدروا لها فيها حتى قال بعضهم عطلت الحديث واحد سبعين عاماً وما فرغت منه وهو قوله صلى الله عليه وسلم (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) وصدق رضى الله عنه ولدو حكت عمر الدنيا أجمع وأبد الأبد لم يفرغ من حقون هذا الحديث وما أودع فيه من غرائب العلوم وأسرار الفهوم * (١) وفى هذا الفن قلنا : ينقل الأستاذ سعيد حوى قسراً

للمعقار بهذا المعنى ونورده هنا لما فيه من التحليل الجيد :-

* ومن أمثلة الكلام الجامع للمعاني الكبار فى الكلمات الثمار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم علم السياسة الذى احتج كله فى قوله (كما تكونوا يولّ عليكم) فأى قاعدة من القواعد الأصلية فى سياسة الأمم لا يتناول بسين هذه الكلمات :-

يتناول فيها أن الاسم مسئولة عن حكوماتها لا يعفيها من ثبته

١. تمنع تلك الحكومات عذر بالجهل أو عذر بالإكراه لأن الجهل جهلا الذي تمنع عليه والإكراه جهلا الذي تُلغى جزاءه .

وينبغي فيها الصبر بأفلاق الأمة لا بالنظم والأشكال التي تمنعها الحكومة . فلا سبيل إلى الاستبداد بأمة تمنع الاستبداد ولم يمتد فيهما الحاكم بقيود القوانين ولا سبيل إلى حرية أمة تمنع الحرية ولو تقيد فيها الحاكم بألف قيد من النظم والأشكال .

وينبغي فيها أن الولاية تبع تابع ، وليست بأصل أصل فلا يغير الله ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأحرى ألا يغير الوالي قوما حتى يغيروا هم قبل ذلك .

وينبغي فيها أن الأمة مصدر السلطات على حدّ تعبير الحديث وينبغي فيها أن الأمة تستحق الحكم الذي تصدر عليه ولو لم يكن حكم صلاح واستقلال وذلك هو الإبلاغ الذي ينفذ في وجهاته كل نفاذ .

ويختتم المقام كلامه في هذا الموضوع بقوله :- وأشكال هذا

الأحاديث في أصول السياسة والأخلاق والاحتجاج ما يتناوله الإحصاء

في هذا المقام . كان محمد فصيح اللفظ ، فصيح اللسان ، فصيح الأداء

وكان بليغا على أساليب ما تكون بلاغة الكرامة والكفاية وكان بلسانه وفؤاده من

المرسلين بل قدوة المرسلين ^(١) وحديثه المختصر الموحز (إنما الأعمال

بالنيات) أجمع المسلمون على عظم موقعه وكثرة فوائده حتى أن بعضهم جعله فاتحة كتابه. قال الشافعي وآخرون: هو ثلث الإسلام وقال الشافعي يدخل في سبعين باباً من الفقه وقال آخرون هو ربح الإسلام . وتساءل عبد الرحمن بن مهدي وغيره ينبغي لمن ينفذ كتاباً أن يبدأ بهذا الحديث تنبيهاً للطالب على تصحيح النية . ونقل الخطابي هذا عن الأئمة علقماً وقد فعل ذلك البخاري وغيره فأبدأوا به قبل كل شيء، وذكره البهاري في ستة مواضع من كتابه فأخرجه في كتاب كيف كان بدء الوحي، وفي كتاب الإيمان، في باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبه ولكل امرئ ما نوى، وفي كتاب الرهن في الحضر، وقوله عز وجل : فمران مقبوضه وفي باب الخطأ والنسيان. في الميثاق والطلاق ونحوه وفي مناقب الأنصار وفي باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، وفي كتاب النكاح، في باب من هاجر أو عمل خيراً لتزويج امرأة لله ما نوى وفي كتاب الإيمان (يفتح الهمزة) في باب النية في الإيمان . وذكره مسلم في كتاب الأمانة في باب قوله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنية وأنه يدخل فيه الفوز وغيره من الأعمال . ولقد شرح الإمام النووي (١) وابن حجر وابن حزم (٢) وغيرهم هذا الحديث شرحاً وافياً .

ومما استنبط من أحكامه قالوا فيه دليل على أن الظهارة ونحو

١- انظر زاد المسلم ٧/١

٢- انظر الباب الثاني والثلاثين من كتابه الأحكام في أصول الأحكام مطبعة الإمام محمد ٧٠٧/٥٠

الوضوء والغسل والتيمم لا تصح إلا بالنية وكذلك الصلاة والزكاة
والصوم والحج والاعتكاف وسائر العبادات . وتدخل النية في الحلال
والحرام والقذف وسبى دخولها إنما إذا قارنت كناية صارت بالصريح
وإن أتى بصريح الحلال ونوى المقتين .

والأشلة على ذلك كثيرة لا تحصى نذكر منها قوله لا ضرر
ولا ضرار ، وقوله كل شراب أسكر فهو حرام^(١) ، وقوله الحلال بئس
والعمرام بين وبينهما أمور متشبهات^(٢) ، وقوله كل عمل ليسر^{عليه} أمرنا
فهو^(٣) ، وقوله شر الأمور سمذاتبا^(٤) وغير ذلك كثير من أحاديث
القواعد الأصولية . وبغلامسة الأمر أن أحاديث الرسول الموجهة
المعجزة كانت موردا عذبا ونبها فياغيا للعلماء والفقهاء نهلوا منها
واسترفوا على قدر طاقتهم فوضعوا لنا الأسس والنظريات في كل علم .

-
- ١- هداية الباري ٧/٢ .
 - ٢- هداية الباري ١/٢٢٤ .
 - ٣- رباغى الصالحين ٦٦ .
 - ٤- رباغى الصالحين ٦٦ .

الْقَسْرُ الثَّالِثُ

الرسول

لقد ذكر القرآن مهمة الرسول (صلى الله عليه وسلم) الأساسية
بصراحة ان يقول (هو الذي يبعث في الامم رسولا منهم يتلوا عليهم
آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة) (١) فقد أجمعت هذه الآية من مهمات
الرسول التربية والتعليم ، تعليم الكتاب والحكمة وتربية النفس عليهما
وكان الجانب الاعظم من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مستغرقا
بهذا الجانب ان أنه الجانب الذي ينبع عنه كل خير ولا يستقيم
أن جانب من جوانب الحياة الا به .

ولتحقيق هذه الغاية اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم أساليب
عدة ، وسلك طرقا شتى . أجاد استعمالها فأنت أكلها بإذن ربها فمن
الأساليب التي اتبعها صلى الله عليه وسلم : أسلوب الحوار والتشاور
والمراجعة والسؤال والجواب والأخذ والرد . فعلمهم صلى الله عليه
وسلم وعودهم أن يسألوا عما يريدون لهم ويستفسروا عما غمض عليهم
وحشهم على طلب العلم حثا وحذرهم من الاستحياء والاستملاء والتكبر
في طلب العلم فكثيرا ما كان يتيح لهم الفرصة ليسألوا ويحجب على أسئلتهم .
فمن ذلك حديث طلحة بن عبد الله قال : جاء رجل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من أهل نجد فاثر الرأس تسمع دوى صوته ولا تفرقه

ما يقول حتى دنا فإذا هو يسأل عن الاسلام فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : خمس صلوات في اليوم والليلة . قال : هل على
غيرها ؟ قال لا إلا أن تأتبع موسم رمضان . قال : هل على
غيره ؟ قال لا إلا أن تطوع وذكر له الزكاة فقال هل على غيره قال
لا إلا أن تأتبع . قال فأدبر الرجل وهو يقول والله لا أزيد على
هذا ولا أنقص . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلح إن
صدق (١)

فهو صلى الله عليه وسلم يصف لأستلهم ويوليها اهتماما
متزايدا ويرد عليها ردًا موحّدًا قائمًا لا يلقى أن ظلال تفتح الباب
لاحتمالات أخرى كما أنه يراعي ظروف السائل فلا يثقل عليه بقبوض مفصل
لواجبات المسلم وأصول الاسلام ولكنه يكتفي بأهمّ الأصول التي من شأنها
إذا ما تمسك بها أن تفتح عليه أبواب الأصول الأخرى ولذلك جاءت
إشارته صلى الله عليه وسلم في خاتمة حديثه بذلك " أفلح إن صدق "
معنى هذا أن الرجل إذا صدق وقام على هذه الأركان لا بد أن
يتشرح صدره لبقية الأركان

وفي أحوال كثيرة لا ينتظرهم الرسول حتى يبادر أحدكم فيسأل
عما يريد أن يسأل ويستوضح ما يؤدّ به يده أهمّ الرسول ويديهم قائلًا :
ألا أخبركم بكذا ، ألا أحدثكم بكذا وكذا فيقولون : بلى فيقول كذا .

حقيقة الحق آية
أخرجه الشيخان في كتاب الايمان . للخوارزمي في باب الزكاة من الايمان
وسلم في باب بيان الصلوات التي أحد أركان الاسلام

وكذا . وألا هذه من أغراضها التي تستعمل فيها ، المرض والتحريض
وسنأخذ طلب الشيء ، لكن العرض طلب بلين والتحريض طلب بدمية
ومن ذلك قوله تعالى (ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم) (١) ومنه
توفي الخليل (٢)

ألا رجلاً جزاء الله خيراً يدل على محملة تبيت

فالحديث والتحريض ظاهر في الآية الكريمة وبيت الخليل .

والأشلة على ذلك من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم
كثيرة فمن ذلك قوله (ألا أحذركم بما أن أخذتم به أدركتم من سيئاتكم
ولم يدرككم أحد بعدكم وكنتم خير من أنتم بين ظهرائهم إلا من عمل
شبهه ، تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين) (٣)
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً :
قلنا بلى يا رسول الله قال : أن تكون متكبراً فيجلس فقال : لا شريك
بالله وعقون الوالدين ، ألا وتقول الزور ألا وتقول الزور وشهادة
الزور فما زال يكررها حتى قلنا لا يستكث (٤)

ومن ذلك قوله لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه :-

١- سورة التوبة آية ١٤

٢- مفتي الديار - ابن هشام - بيروت تحقيق محمد من الدين - ١/ ١٨

٣- زاد المسلم - ١/ ١١٩

٤- أخرجه مسلم عن أبي بكر في باب بيان كون الشرك اقبح الذنوب

(ألا أدرك على كلمة من كنز الجنة ؟ قلت بلى ، قال : لا حول ولا قوة الا بالله) (١)

وقد يعمد الرسول إلى استعمال حمل تستدعي الاستفسار من أصحابه وتحتاج إلى شرح منه وهو أسلوب فني رائع يثير الاهتمام ويستدعي الانتباه ويساعد على رسوخ المعاني واستقرارها في الذهن فمن ذلك ما يروى عنه أنه مرّ عليه بمنزلة فقال (مستريح أو مستراح منه) فأشار بذلك القول فحول أصحابه فقالوا مستفرين يا رسول الله : ما المستريح وما المستراح منه ؟ فقال : العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله عز وجل ، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب (٢)

والإشارة واضحة جلية في قوله (من الكبائر شتم الرجل والديه) (٣) والصحابة رضوان الله عليهم علموا وتعلموا منه حقيقى الوالدين من تعظيم وإحسان إليهما فكانت حملته هذه شئنا ردهشة وموضع تساؤل فقالوا يا رسول الله : هل يشتم الرجل والديه ؟ قال نعم : يسب أباه الرجل فيسب أباه ويسب أم الرجل فيسب أمه .

١- أخرجه البخاري في كتاب الدعوات في باب لا حول ولا قوة الا بالله
كما أخرجه مسلم في كتاب الذكر في باب استحباب خفي الصوت

٢- زاد المسلم ٤/٣
٣- زاد المسلم ٢٠/٣

فهم استبعدوا ذلك لان الطبع المستقيم يأباه فمبين عليه الصلاة والسلام
في الجواب أنه وإن لم يتماط السبب بنفسه في الغالب، لكن قد يقع
فيه .

وسألهم مرة ثانيا (ما تعدون الرقوب فيكم ^{قالوا} الذي لا يولد له . قال
ليس ذاك بالرقوب ولكنه الرجل الذي لم يقدم ^{من} ولده شيئا . قال فما
فما تعدون الصرعة فيكم قالوا الذي لا تصرعه الرجال . قال ليس بذلك و
ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب (١)

وسألهم مرة أخرى (أتدرون من العفلس ؟ فقالوا العفلس
من لا مال عنده ولا متاع فقال الرسول ليس ذلك بالعفلس إنما العفلس
هو من يأتي يوم القيامة وقد شتم هذا وغرب هذا وأكل مال هذا
وسفك دم هذا فيمطش هؤلاء من حسناته حتى إذا نفدت طسرح
عليه من خطاياهم ثم طرح في النار .

عند الرسول إلى ألقاظ تمارف الناس على معانيها وشباعت
عندهم فسألهم عنها وحاء رثم بالمعلوم والمتعارف عليه ولكنه لم
أراد على الله عليه وسلم أن يبين المعنى في الشرع قال : لا . فهذا
النفى فيه تهيئة لمعرفة ذلك . والرقوب . في اللغة هو الرجل أو المرأة
إذا لم يحس لهما ولد لأنه يرقب موته ويرمده فنقله الرسول عن طريق

(١) رواه مسلم في كتاب البر والبنار في الادب والنسائي ومالك في
حسن الخلق

الحوار الى الذي لم يقدم من الولد شيئاً تزييفاً بأن الأجر والشواب
لن تقدم شيئاً من الولد وأن الاعتداد به أكثر والنفع فيه أعظم ، ولم
ينقله إبطالا لتفسيره اللغوي .

كما أن السرعة هو الصالح في الصراع الذي لا يغلب فنقله
على الله عليه وسلم عن طريق الحوار والاشارة الذي يملك نفسه
عند الغضب ويقهرها لانه بذلك يكون قد قهر أقوى أعدائه وشخصه
مخصوصة (١)

والافلاس معناه الشائع وهو ما أجاب به الصحابة ومما
تعارفه الناس في كل مكان . ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء
للمؤمنين بمعنى آخر وهو الافلاس من القيم العليا من الخلق والدين
فالفلس من يخسر نفسه ولو ملأت أمواله خزائن الأرض . وفي هذا
يقول عيسى صلوات الله عليه (ماذا يفيدك أن تريح الدنيا اذا خسرت
نفسك) (٢) ويقول تعالى (قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم
وآلهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين) (٣)

أما خسران المال فهو من أول درجات سلم التيسارات للصحة

والكرامة والحياة والدين .

١- عمدة القارئ - بدر الدين المصنعي ج ٢٢ / ١٦٣

٢- أرباب الحديث النبوي بكرن شيخ أمين ١٩٧

٣- سورة الزمر ١٥

وكان الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام في تحاوره ومخاطبته لأصحابه
 شديد الحرص على الأخذ بأيديهم والرحمة بهم والرفقة عليهم محققاً
 بذلك قوله الله تعالى (لقد بعناكم رسولاً من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم
 حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) (١) فلم يكن قطباً غليظ القلب
 ولم يكن برافياً فحاشاً بل كان رحيماً ودوداً يخفون الدفء والحنان لمباد
 الله المؤمنين وكان من شأنه إذا كره شيئاً من سلوك أصحابه أو أنكر
 بعض ما يأتون، لجأ إلى التلميح ونأس عن التصريح ووجه توجيهها
 عاماً لا يذكر فيه اسماً ولا لقباً ولا كنية خشية أن يشهر
 المسمى بشيء من الضيم والحر أو يناله نصيب من التشهير والتجريح
 روى الشيخان عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال : ما بال أقوم قالوا كذا وكذا، ولكني أصلي وأقام وأصوم
 وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني (٢)
 وكان ذلك رداً على أشخاص قالوا به

وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر الله له ما تقدم من
 ذنبه وما تأخر حيث سألوا عن عبادته صلى الله عليه وسلم فاجسبوا
 بها وكأنهم تقالوما فقال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال
 آخر أنا : أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا

١- سورة التوبة آية ١٢٨
 ٢- زاد المسلم ج ٢ / ٢٢٢

أتزوج أبداً ، وهم على بن أبي طالب وعبد الله بن عمر بن الخطاب
وعثمان بن مظعون ، فلما أنكم الرسول صلى الله عليه وسلم ما ذهبوا
لذكر^ه إليه / كراهيته ولم يمتن فاعله وهذا من عظيم خلقه فإن المقصود بذلك
الشخص وجميع الحاضرين وغيرهم ممن يلبسه ذلك .

وحاء في الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم (ما بال (١)
العامل نيمته فيأتي فيقول هذا لك وهذا لي فهلاً جلس في بيت أبيه
وأمه فينظر أيهم له أم لا . و الذي نفس بيده لا يأتي بشيء
إلا حاء به يوم القيامة يحمله على رقبته وإن كان بميراً له رغائب
أو بقرة لها خوار أو شاه تيغسر ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي
ابطيه وقال : ألا هل بلغت؟

وسبب هذا الحديث كما في الصحيحين عن رواية أبي حميد
الساعدي قال :- استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من بني
أسد يقال له ابن اللثية على صدقة فلما قدم قال هذا لكم وهذا
أحدي لي فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمد الله
وأثنى عليه ثم قال ، ما بال العامل نيمته فيأتي فيقول هذا لك
هذا لي الخ الحديث وقوله ابن اللثية هو يضم الهمزة وفتح التاء
وسكونها وكسر اليا وتشديد اليا قيل هو اسم أمه . وقال النووي
والصواب اللثية نسبة إلى بني لثب قبيلة معروفة واسمها عبد الله

الفصل الرابع التكرار

التكرار أو التثنية دلالة اللفظ على المعنى مردياً لتأكيد معنى
من أغراض الكلام أو للمبالغة فيه ، وهو مما يبين على هذه الفكرة
في النفوس واقرارها في القلوب فإذا ذكر الشيء ، رسخ في الأذهان
رسوخاً ينتهي بقبوله حقيقة ناصعة .

والتأكيد قد يكون بتكرار المسامحة بلفظه اسماً كان أو فعلاً
أو اسم فعل أو حرف أو جملة كما ترد ذلك في قوله تعالى : كَلَّا
إذا دكت الأرض دكاً دكاً (١) وقوله (فَعَمَلِ الْكَافِرِينَ أَطْلَعْتُمْ رُوحَهُ) (٢)
وقوله سبحانه (حَيَّات حَيَّات لِمَا تَعْبُدُونَ) (٣) وقوله (أَيَهْدِيكُمْ
أَنْتُمْ إِذَا مِتُّ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ) (٤) وقوله (فَبِئْسَ
الْمَصِيرُ بَشَرًا إِنْ فِي الْمَصِيرِ بَشَرٌ) (٥) وكثيراً ما تقتن الجملة الثانية
بشتم كما في قوله تعالى :-

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ) (٦) .

ومن أغراض التكرار التنويه بالمعنى والاشهاد به ذكره والتفخيم

-
- ١- النحر ١١
 - ٢- الطارق ١٧
 - ٣- المؤمن ٣٦
 - ٤- البقرة ٢٥
 - ٥- النجم ٦- ٥
 - ٦- الأنعام ١٧- ١٨

في القلوب والاسماع مثال ذلك في القرآن قوله تعالى (والسابقون
السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم) (١) ومثاله من الشعر الشريف
قول الخنساء (٢)

وإن صخرًا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نَسَارُ
وإن صخرًا لمولانا وسيدنا وإن صخرًا إذا نشئتو لنصارُ
وقد يتق التكرار للوعيد والتبديد كقوله تعالى :-

(الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة) (٣)

ومن ذلك قول الأعشى ليزيد بن مسهر الشيباني (٤)

أيا ثابت لا علمنك رماحنا

أيا ثابت أقصر وعرضك سالم

وذرتنا وقومنا إن هم عمدوا لنا

أيا ثابت واقعد فانك طاعم

وفي سورة المرسلات تكررت تلك اللمعة المنذرة وهي قوله

تعالى (ويل يومئذ للمكذبين، والسورة تنبذت عن وقوع اليوم الآخر

وتصنف فجاء الإنذار مكرراً عقب كل وصف له أو فعل يقع فيه أو عمل

من الله يدل على قدرة يمينه بها الناس بعد موتهم ، وفي حسان

١- سورة الواقعة / ١٠

٢- الحمدة ٧٥/٢

٣- سورة الحاقة

٤- الحمدة ٧٥/٢

التكرار ما يوحى بالترتبة ويملاً القلب رعباً عن التكذيب بهذا اليوم
الواقع بلا ريب .

وقد يقع التكرار للتقرير والتوبيخ والقرآن يكرر في سورة الرحمن
ثلاثاً وثلاثين مرة قوله تعالى (فبأنّ آلاء ربكمنا تكذبان) متشاقلاً عما
يستطيع أن يذكره اليقن والانعس ما أولاها من نعم فعمل في هذا
السؤال المتكرر ما يشير في نفس سامعيه اليقين بأنه ليس من الصواب
تكرار نعم تكررت وآلاء توالى (١)

وذلك أنه عدد في هذه السورة نعماءه وأذكر عباده آلاءه
ونبيهم على قدر ما وقدرته عليها وبمليها فاصلة بين كل خمسة
ليمرح موضع ما أسداه اليهم فحسن التكرير للتقرير بالنعم المخلقة
المتعددة فلما ذكر نعمة قرر عليها وويح على التكذيب بها وبكت على
من أنكرها (٢)

وقد يأتي التكرار على وجه التوجع نحو قول متم بن نويرة (٣)
وقالوا أتنبئ كلّ غير رأيته * لتبر شوق بين اللوف فالدشادك
فقلت لهم إنّ الأسى يبعث الأسى * دعوني فهذا كله قسر مالمسك
ويقع التكرار في السجاء على سبيل الشهرة وشدّة التوبيخ

بالمهجو كقول ذي الرمة بهجو المرنى (٤)

١- من بلاغة القرآن - أحمد أحمد بدوي ١٠٥٠ مصر ع ١٥٢
٢- المناعتين / ١٨٥
٣- النعمه ٧٦/٢
٤- المريح السابق نفسه

تسمى امرأة القيصرين سيد إذا اعتزت
وتأبى السبل الصَّهْب والآف الحر
ولكنما أهل امرئ القيصر معشور
يحل لم لحم الخنازير والخمير
نصاب امرئ القيصر المبيد وأرسلهم
مصر الساعى لا فلاة ولا مصر
تدعى إلى الفقراء ~~امرؤ القيصر~~ ، انبسه
سواء على الخيف امرؤ القيصر والفقر
تدعى امرؤ القيصر القرى أن تالسه
وتأبى عاربها إذا ~~يبيع~~ الفجر
هل الناس إلا يا امرأة القيصر غادر
وواف ، وما فيكم وغان ولا غدر ،
ويقع التكرار أيضا على سبيل الازدراء والتهكم والتقصص ،
يقول سعد عيرد لابن نوح وكان يتمرب :- (١)
يا ابن نوح يا أخا الحلس ويا ابن القتب
ومن نشأ والـهـدهـ بين السـرى والكتـب
يا عـريـب يا عـريـب يا عـريـب يا عـريـب

والثرار يمسد ضرباً من غروب التربية والتعليم وليذا كان
من حدية صلى الله عليه وسلم اعادة الحديث ثلاث مرات أحياناً ليفهم
عنه وذلك لاختلاف القرائح وثبات المدارك ، إذ أن قدرة الناس على
الفهم تختلف واستعدادهم للاستيعاب يتباين ، فقد روى أنس أنه
كان صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بكلمة ألقاها ثلاثاً حتى تفهم عنه وإذا
أتى على قوم فسلم عليهم سلم ثلاثاً (١)

فقد يكرر الرسول صلى الله عليه وسلم التلام الميم تأكيداً له
ليحفظ وليكون أبلغ فمن ذلك ما روى أنس أنه صلى الله عليه وسلم
مر بحنازة فأثنى عليها خيراً فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم وجبت
وجبت وجبت ومر بحنازة فأثنى عليها شراً فقال نبي الله صلى الله
عليه وسلم وجبت وجبت وجبت فقال عمر رضي الله عنه غداء أبي وأبي
مرّ بحنازة فأثنى عليها خيراً فقلت وجبت وجبت وجبت ومر بحنازة فأثنى
عليها شراً فقلت وجبت وجبت وجبت فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من أثنىتم عليه خيراً وجبت له الجنة. ومن أثنىتم عليه شراً وجبت
له النار . أنتم شهداء الله في الأرض أنتم شهداء الله في الأرض أنتم
مشهداء الله في الأرض (٢)

١- أخرجه البيهقي في كتابه العلم باب من أفادته الحديث ثلاثاً ليفهم عنه
٢- زاد المسلم ٢٢/٢

وقد يكرر الكلام إنكاراً للشيء وترغيباً عنه ونهيًا عنه وإيعازاً
بأنه ، جاء في الصحيحين عن رواية أسامة بن زيد بن حارثة رضي
الله عنهما قال : بعثنا رسول الله إلى الحرة من حبيبة فصبحنا القوم
فهبناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، قال : فلما
نسيناه ، قال : لا إله إلا الله ، قال فكفنا عنه الانصار فأمسكته
برمحي حتى قتله قال فلما قدسنا بلغ ذلك النبي فقال يا أسامة أقتلته
بعد أن قال لا إله إلا الله ؟ قال : فقلت يا رسول الله انما كان
متمرداً قال : أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله ، فما زال يكررها
حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم (١)

ومن ذلك الباب أن معاذ بن جبل كان يصلي مع النبي ثم
يأتي قومه فيصلي بهم الصلاة فقرأ بهم البقرة فتجوز رجل فغضب فسلط
خفيفه فبلى ذلك معاذ فقال إنه منافق فبلى ذلك الرجل فأتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنا قوم نعمل بأيدينا ونسقي بنواحينا
وإن معاذ صلى بنا البارحة فقرأ البقرة فتجوزت فزعم أني ^{فقال} منافق / النبي صلى
الله عليه وسلم يا معاذ :- أفتان أنت أفتان أنت أفتان أنت ^{اقرأ والشمس} وأفتان

وسبح اسم ربك الأعلى ونحوها .

ومن ذلك أن بلالاً أتى الرسول صلى الله عليه وسلم بتمسير
برنق فقال الرسول صلى الله عليه وسلم من أين هذا قال بلال كان
عند ثمر رداء فبعت منه سمعين بضاع ليأتمم صلى الله عليه وسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك آوّه آوّه عين الربا عين الربا (١)
لا تفعل لكن إذا أردت بيع التمر ببيع آخر ثم أشير به . فجاء التكرار
استنكاراً وتوبيخاً ونهيًا .

ويروى أبو بكره رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم
قال (ألا انبئكم بأكبر الكبائر ؟ وتكرر السؤال ثلاثاً . قالوا بلى
يا رسول الله ، قال : الإشراف بالله وعقوق الوالدين قال وحلوس
وكان متكئاً فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يرددها
حتى قلنا لبيته يسكت (٢) فحلوسه بعد أن كان متكئاً وتكراره
يشعر بالاهتمام بالزور وتأكيده حرمة وتعظيم شأنه وذلك لسهولة
وقوعه والتهاون بأمره وتعمد ضرره وتطاول ضرره .

ومن باب التكرار أيضاً ما يرويه أبو ذر أن الرسول صلى الله عليه
وسلم قال (ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل
الجنة قال فقلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق

١- انظر هذا البحث ص ٢٠
٢- أخرجه البخاري في كتاب الشهادات باب ما قيل في شهادة
الزور

قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق على رغم أنفائى ذر) (١)
فتكرير أبى ذر كان استعظاماً لشأن دخول الجنة مع اقتراف الكبائر وتكبره على الله عليه وسلم ذلك لانكاره واستعظامه وتحجيره رحمة الله تعالى التى وسعت كل شئ .

وقد تكرر الرسول الكلام إعجاباً بالشئ وترغيباً فيه وشأناً عليه جاء فى الصحيحين أن أبا ماجة الأنصارى روى الله عنه كان أكثر الأنصار مالا وكان له بستان فيه نخل وعاء يقال له بيرحاء فطمسا نزلت آية (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) قام أبو طلحة فقال يا رسول الله ان أحب أموالى بيرحاء وهى صدقة لله تعالى فضعبها حيث مضت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كسبح ذلك مال رايح/ ذلك مال رايح (٢) وذلك التكرار إعجاباً منه بما فعل أبو ماجة .

ومن ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وسلم للأنصار (اللهم انتم من أحب الناس الى) ، اللهم انتم من أحب الناس الى ، اللهم

١- هداية البشار ١١٩/٢

٢- انظر هذا البحث ص ١٩

٣- روى البخارى فى كتاب المناقب باب قول النبى صلى الله عليه وسلم للأنصار انتم أحب الناس الى

انتم من أحب الناس إليّ

وسنه قوله صلى الله عليه وسلم " ربح البيع يا محبيب رسول الله
البيع يا محبيب" (١) وقصة الحديث أنه لما هاجر محبيب بن سنان
تبعه نفر من المشركين فسئل فقال يا معشر قريش إني ممن
أرماكم ولا تصلون إليّ حتى أرسبكم بكل سهم مني ثم أخرجكم
بسيوفكم تريدون مالي دلتكم عليه. فرموا فراحدهم ودلّهم
فرحموا فأخذوا ماله فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم
وآله وسلم قال له ربح البيع الخ فانزل الله عز
وجل (ومن الناس من يشترى نفسه ابتغاء مرضاة الله) (٣)

ويقال أن من تبع محبيها وأدركه هو عنقه بن عمر بن الخطاب

بجدة (٤)

١- رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ السَّاقِبِ بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِلْأَنْصَارِ أَنْتُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ

٢- الْأَعْيَابُ ج ٢ / ١٨٨ تَرْجُومَةُ مُحَبِّبِ

٣- سُورَةُ الْبَقَرَةِ آيَةُ ٢٠٧

٤- تَفْسِيرُ الْأَجْرَيْنِ جُمُعَةٌ ١، ٥٤ ص ٢٠ / ٣٢١

الفصل الخامس

استعمانه بالإشارة :-

ما استعان به الرسول صلى الله عليه وسلم في تثبيت
المعاني وتوضيح الحديث الحركة والفعل أو الإشارة . وقد جعلها
الحافظ من أئمة الدلالات على المعاني وإن جعلها خمسة أشياء
لا تنفى ولا تزيد أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد () ويقصد به
ترب من الحساب يكون بأصابع اليدين () ثم الحال التي تسمى نصبه
ومن الدال الدالة التي تقوم مقام تلك الاصناف ولا تقتصر عن تلك
الدلالات (١)

فإن الدال يمنع الإشارة بمع اللفظ مباشرة ويقول
(الإشارة واللفظ شريكان ونعم المعون من له ونعم الترجمان من
عنه) وقد تنوب عن اللفظ وتنفي عن الخط (٢)
فالإشارة تساعد المتحدث لتوضيح حديثه مع اللفظ وقد
يكتفى بها للأفهام دون اللفظ وقد تكون أبلغ في توضيح ما يقصد وقدماً
قالوا " رب إشارة أبلغ من عبارة " وقالوا أيضاً (رب دلوك أفصح من
لسان) (٣)

نظن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى دور الإشارة في

١- البيان والتبيين ٢٦/١

٢- المصدر السابق نفسه

٣- معجم الأمثال - الميداني ١: ١١١ بيروت ١٩٧٧

تقريب المعاني فحملها من أساليب بيانه فلما أراد أن يعلم أصحابه
التيمم ويوضح لهم أنه يستدّ السدّ الوضوء ويقوم مقامه في حالات غائبة
قال لعمّار بن ياسر فيما رواه الشيخان (إنما يكفيك هذا وضرب
بكفيه ونذح فيها ثم مسح بيما وجهه وكفيه) (١) فاختفى بالامارة
دون اللفظ في الاغهام فكانت التحرية خيرا من ألف خير وكانت الامارة
أبلغ من العبارة .

ويروى عنه علي الله عليه وسلم أنه قال (ان الله لا
يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا - وأشارة
إلى لسانه - أو يرمم . وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه .

وفي مواضع أخرى كثيرة استعان بها و حملها عوضا
للفظ فكان يؤكد المعاني ويوثقها ويقويها بالحركة والفعل فـسـو
يقول (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا) ^{ثم} يشهد بين
أصحابه (فكان ذلك بيانا منه بالفعل بعد بيان القول لان تشبيك الأصابع
مع الشدّ يمثل صفة البنيان التي شبه بها أولا فكأنه قال يشدّ بعضهم
بعضا مثل هذا الشدّ . فسو عندما أراد المبالغة في أقواله مثلها بحركاته
لتكون أوقع في نفس السامع .

١ - رواه البخاري في كتاب التيمم باب التيمم ضربه ومسلم في كتاب
الحج في باب التيمم
٢ - هداية البارئ ١٠٥

ولمّا أراد أن يصف أصحابه على كثرة الانقائ على عباد الله في الدنيا أتى باللفظ مصحوباً بالحركة مقررناً بالإشارة تأكيداً للمعنى وذلك في حديثه (ما أحبّ أن أحداً من دمي تأتى علىّ فيه أو ثلاث عندي منه دينار لا أرى له إلا أن أقول به في عباد الله مكذاً و مكذاً و مكذاً مع الإشارة بيده الشريفة يمينا وشمالاً وغداً (١) ومن ذلك الباب قوله صلى الله عليه وسلم بمثل أنما والساعة كهاتين (٢) وأشار بالسبابة والوسطى (وبإشارته تلك يرمى إلى تأريب أمر الساعة) بسرعة مبدئها .

ومن الأحاديث التي أكّد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم المعنى بالقفل والحركة الحديث الذي يرويه عنه رافع بن خديج رضى الله عنه (إنّ لهذه الأبل أوايد كأوايد الوحش فإذا غلبكم عنها شيء فافعلوا به مكذاً . (٣) والأوايد جمع أيدة وهي التي قد تأبّدت أن توحشت ونفرت من الأنس وقوله مكذاً هو إشارة بيده الشريفة إلى مفة الرى كما شرد من البهائم المتوحشة .

وإذا أراد صلوات الله وسلامه عليه تصوير حول يوم القيامة وما يصيب الناس فيه قال (وعندهم من يلحمه المرن الحاماً وضع

١- زاد المسلم ٢ / ٢٧
٢- زاد المسلم ١ / ١٢٨
٣- زاد المسلم ١ / ٨٣

بيده على غيبه .

وإذا أراد صلى الله عليه وسلم تصوير خفة الذنب على قلبه الفاجر قال (كذباً طار بأنفه فقال به مكذا) مع إشارة بيده الشريفه . وكان صلوات الله وسلامه عليه إذا تعجب قلبه كفيه .

ويقول الجاحظ. وفي الإشارة بالطرب والحجاب وسير

ذلك من الجوارح مرفى كبير ومبوءة حاضرة . (١)

وإشارته صلى الله عليه وسلم قد تكون بتثيير وجهه فيبدل ذلك على غيبه أو خوفه أو سروره وكان أصحابه يعرفون ذلك ومن ذلك ما رواه المصنفان عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى منبيلة في السماء أثقل وأدبر وخرج وتثيّر وجهه فإذا أسطرت سرت عنه فترفته عائشة ذلك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أدبر لي لعله كما قال قوم فلما رأوه عارضوا مستقبل أوديتهم (٢)

والمنبيلة هي السحابة يخال بها المأثر وتثيّر وجهه

لما خوّفاً أن يحصل منها ما فيه ضرر بأمته .

١- البيان والتبيين ٧٨/١٠

٢- رواه البخاري في كتاب بدء الخلق باب قوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وسلم في كتاب صلاة الميدين باب التحوذ عند رؤية الريح والقم

وقريب من ذلك ما رواه الشيخان عن حميد بن مالك رضي الله
عنه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سرّ استنار وجهه
حتى كأنه قد أضاء من نور وكنا نعرف منه ذلك) (١)
وعنه ما حكاه أبو سعيد الأنصاري (أن صلى الله عليه وسلم
إذا أمرهم من الأعمال ما يطيقون قالوا إنا لسنا كهيئتك يا رسول
الله أن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فينصب حتى يمتد
الندب في وجهه ثم يقول أن أتقاكم وأعطيكم بالله أنا) (٢)

القرآن هو دستور الرسالة المحمدية الذي سار هو صلى الله عليه وسلم على هداه ووجه أتباعه للاقتداء بهديه والاستمسك به والعص عليه بالنواحي . وكان طبيعياً أن يتأثر به قبل غيره وأن يلتزم بسببه قبل أن يدعو غيره لذلك .

وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يحال من التنزيل مدة وكان من شدة حرمة على ذلك ما ينزل عليه يحرك شفثه أثناء نزول آية أو سورة حتى أن ابن عباس (١) قال " أنا أحركهما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما وقال سعيد بن جبور أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما . فأنزل الله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به وإن علينا جملة وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه) (٢) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق بجبريل قراءة النبي صلى الله عليه وسلم أنا قرأه .

والنبي الكريم يرسم لما طريقة نزول الوحي على قلبه فيقول :-

(أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد

١- زاد المسلم ٦٨/٥

٢- سورة القيامة ١٦ - ١٧

وعيت ما قال ، وأحياناً يتشكّل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعني ما
يقول (١)

الرسول عليه صلوات الله وسلامه ، كان سيّد المسفاظ وأول
البصاع ، فكان ربيعاً على حفلة واستظهاه كما كان يحدّ أصحابه
على تلاوته وحفظه والمداومة عليه فهو القائل :- (لا حسد إلا
في اثنين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار
ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار) (٢)

وفي الحديث ترغيب في التمسك بالمال وترغيب في تمكّم
المعلم والاعتناء بكتاب الله وكثيره تلاوته آناء الليل وأطراف النهار
وفي حديث آخر (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل
الترجّة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن
كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن
كمثل الريحانة ^{ريحها} طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن
كمثل الحنظل ليس لها ريح وطعمها مر) (٣)

(١) صحيح البخاري ٦/١

(٢) زاد المسلم ٢٨٣/٥

(٣) زاد المسلم ٣٨٦/١

فالحديث على تلاوة القرآن بين والترغيب فيه ^{ونزلة} واضح / المؤمن المداوم
على تلاوته وفعله على غيره صريح إن مبهمة الرسول صلى الله عليه وسلم
بالأثرجة التي من غرب من الناكهة طيب الطعم والرائحة وحسن المنظر
وليّن الطعم تتوق إليه النفس قبل تناول ويفيد أكله بعد الالتذاد بدوقه
قال علقمة :-

يسطن أترجة نضج العبير بها

كأن تطايبها في الأنف مشوم

• كان عليه الصلاة والسلام يحب لأصحابه تحسين الصوت بقراءة
القرآن وذلك لكونه أوقع في القلب وأمد تأثيراً وأرق لسامعه وإن لم يكن
القارئ حسن الصوت فليحسنه ما استطاع دون تكلف ودون خروج عن التبريد
المعتبر . وقد ورد في حديث له صلى الله عليه وسلم :-

(يا أذن الله لشئ ما أذن لنبي - يتغصنى بالقرآن) . وكان

أصحابه رسول الله عليهم بحسنون أصواتهم بتجويد القرآن ومرة سمع النبي
صلى الله عليه وسلم أبا موسى الأشعري يتلو القرآن فخاطبه قائلاً (يا أبا
موسى لقد أوتيت عزماراً من مزمار داود . فقال : أما إني لو علمت بمكانك
لهبرته / تحبيراً) (١) أي حسنته وزينته لك بصوتي تزييناً .

وفي الحديث على تعهد القرآن بالتلاوة ما يقول عليه أفضل الصلاة
والسلام: (إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الأبل المسقولة إن عاهد
عليها أسكنها وإن أطلقها ذهبت) والمسقولة من المدودة بالعقل
والتشديد فيه للتكثير فهو يشبه حافظ القرآن على دراسته ودأبه
على تلاوته بصاحب الأبل المدودة بالعقل خيفة الشراد فمن استنكره
وتعاهده دام له الحفظ وإن لم يتعاهده ولم يداوم على تلاوته
نسبة ونسب منه

وكما حثنا على الله عليه وسلم على التلاوة والحفظ والمداومة
سنا أيضا على الحذف والجودة فقال (السامر بالقرآن مع السسفرة
الكرام والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شار له أجران) (١)
والسامر هو الحاذق فيه والمراد به جودة الحفظ مع جود
التلاوة من غير تردد، والسفرة جمع سافر فكاتب وكتبه، فهو كاتب وزنا
ومنى. فالسفرة الكتب الذين يكتبون عن اللوح المحفوظ وسمى الكاتب
سافرا لأنه يمين الشيء ويوضعه، والأسفار الكتب، ومع السفر له معاني
الاول :- أن تكون له منازل فيكون فيها رفيقا للملائكة كتصافه بصفاتهم
من حمل كتاب الله تعالى والثاني :- أن يكون المراد أنه عامل بمحمل

السفرة وسالك مسلّمهم .

فالرسول صلى الله عليه وسلم جعل القرآن ماديه ونبراسه في
حلّه وترجّاله في برّلاته ونوّهه وحمّوه ، وفي حياته كلّها . سئلت السيدة
عائشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت :- " كان خلقه القرآن " .
ومن تأثّره به كان صلى الله عليه وسلم يستشهد به في أحاديثه بل
ويجعل تارة مدر حديثه آية أو آيات من كتاب الله ومرة يجعلها
آخرة .

روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (١) : (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
لَيَبْلُغُ لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ) ثم قرأ (وَكَذَلِكَ أَخْذُ
رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) (٢)
وهو القائل (٣) : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا نَحْشُرُونَ إِلَى اللَّهِ
خَفَاءَ عَمَاءَ نَمْرًا كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) (٤) فتلى
الآية الكريمة يستدل بها على ما تقدم من الحديث فسياق الآية دالٌّ على
البحث على الهيئة التي كان بها بدء الخلق بأن يجمع الله تعالى أجزائه
المتبددة ويحيدها مثل ما بدأ خلقها أولاً .

١- زاد المسلم ١٠/١
٢- سورة الأنبياء / ١٠٤
٣- زاد المسلم ١٧٧/١
٤- سورة الأنبياء / ١٠٤

وفي صدر حديث له يقول صلى الله عليه وسلم :-

" يوم يقوم الناس لرب العالمين " يقوم أحدهم في رحمه إلى أنصاف
أذنيه . (١)

فصدر هذا الحديث آية من كتاب الله لها وقع في القلوب

وقد روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قرأ سورة التلخيص حتى بلغ
هذه الآية فبكى بكاءً مديداً ولم يقرأ بعدها لأنَّ القيام لربِّ العالمين
أمر هائل تدوب منه القلوب كما دلَّ عليها بتفسيره صلى الله عليه
وسلم لهذا القيام ، قال فسأله :- يقوم أحدهم في رحمه - أ
عرقه إلى أنصاف أذنيه .

كما أن الدعاء عنده صلى الله عليه وسلم كان أغلبه من

القرآن . ورد في كتاب الأدب المفرد (١) من جملة قال : جديداً

ثابت عن أنس أن النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كان يكثر أن يدعو بهذا

الدعاء " ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتلنا عذاب النار " (٢)
وهذه آية من آيات الله البينات .

وإن تدخل خطبه صلى الله عليه وسلم من القرآن فقد كان صلى الله

١- زاد المسلم ٤/ ٤٠٦

٢- الأدب المفرد ١٠/ ١٠٠

٣- سورة البقرة / ٢٠١

عليه وسلم يوضح خطبة آيات القرآن الكريم مستشهداً، ومذكراً، بل كان في بعض الأحيان يخطب بسورة كاملة . فقد روى عنه أنه قرأ يوم الجمعة براءة وهو قائم يذكر بآيات الله وأبو سعيد الخدري يقول " خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقرأ صلى الله عليه وسلم فلما مر بالسجدة نزل فسجد وسجدنا / مرة أخرى فلما بلغ السجدة ثلثنا للسهود فلما رأنا قال : (إنما من نوبة نبي ولكني أراكم قد استعددت للسهود فنزل وسجد وسجدنا) (١)

وعن أم حسان بنت حارثة بن النعمان أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بسورة (ق) وهو يخطب على المنبر يوم الجمعة وأنها لم تحفظها إلا من النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو على المنبر لكثرة ما كان صلى الله عليه وسلم يقرأ بها يوم الجمعة على المنبر . (١)

١- الدار قاسم / ١٥٦

٢- سند الشافعي / ٢٢

الفصل السابع

الموعظة

=====

قال تعالى :-

(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) (١) أنسر

لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ رَبِّهِ يَوْعِظُ النَّاسَ وَأَرْشَادُهُمْ لِلتَّحْسِينِ

وَضَرْبِهِمْ مِنَ الشَّرِّ وَأَمَّا كَيْفَ عَنِ التَّهَافُتِ فِي النَّارِ وَفِي سُورَةِ النَّسَاءِ

(أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَاعْلَمْهُمْ وَتَقَبَّلْ

لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ غَوْلًا بَلِيغًا) (٢)

فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم مأمورا بوعظ المنافقين وهم

المشار إليهم في هذه الآية كما تدل على ذلك الآيات التي قبلها

إذا يقول الله تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى

الرسول رأييت المنافقين يصدّون عنك صدودا ، فكيف إذا أصابته مصيبة

بما قدّمت أيديهم ثم حاولوا يحلفون بالله أن أردنا إلا أحسانا وتوفيقا (٣)

فأولئك هم المنافقون

إذا كان صلى الله عليه وسلم مأمورا بوعظ المنافقين/دعما لايمانهم وثبتا

لعتيدتهم وحرصا على نفعهم ، وقد فعل ذلك إلا أنه لم يكن يحظرهم

في كل وقت بل كان يتخير الأوقات المناسبة والظروف الملائمة فان لاحظ

١- سورة النحل آية ٦٦

٢- سورة النساء آية ٦٣

٣- سورة النساء آية ٦١

فرصة طيبة لتعليم الناصر و تكريمهم تعيينها و اختتمها ، فمن ذلك ما رواه أبو واقد ان يقول: أقبل ثلاثة نفر فرأى أحدهم فرجة في الناقة فجلس فيها وأما الآخر فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر فقال عليه الصلاة والسلام :- ألا أَدَّشِكُم عن النفر الثلاثة ، أما أحدهم فأَوَّاه الى الله فأَوَّاه الله اليه وأما الآخر فاستدبى فاستدبى الله منه وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه (١) فكانت الفرصة طيبة سانحة لم يهدرها الرسول صلى الله عليه و سلم بل اغتنمها صلى الله عليه وسلم و دعا أصحابه وحثهم على حضور مجالس العلم و بين فضيلة الحضور لسماعها .

تسمى اذا وجدت مرييا
ومن ذلك أنه رأى امرأة من السبي فألزقته/بياتها فأرضعتته
فقال صلى الله عليه وسلم :- أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار قالوا لا والله فقال : (لله أرجع بعباده عنها بولدها) فحاث الموعظه بالذمة مؤثرة اختار لها الرسول صلى الله عليه وسلم وقتا ملائما وطرفا مناسباً .

كما أنه صلى الله عليه وسلم ما كان يجعل وعظه سريداً نادراً دائماً لأنه وهو العالم بأدواء القلوب والخبائر بأسقام النفوس ، البصير

١- زاد المسلم ١١٠/١

٢- زاد المسلم ١١١/١

بما يحيى الارواح و يبعثها . كان يعلم أن الأذن حياضة وللنفس
حمضه و لم يكن يثقل على اصحابه بالوعظ و لم يكن يبهطهم بالتأخير
وانما هو الوعد المرة بعد المرة والتذكير تارة بعد أخرى ، يغسل
ذلك راحة بهم و رافة عليهم و تعميلا للفائدة المرجوة والشمرة
المأمولة لان الوعد والتذكير اذا اُعِدَّدا وداما ولم يبرحا توفعا الى
السآمة توفعا والجا الى الغبر والجاؤ ، وهذا لما كان يخشاه الرسول
صلى الله عليه وسلم . و يدافه و هذا لما كان يحترز عنه احترازا .

جاء في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قوله
(كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخو لنا بالوعظة في الايام كراحية
السآمة علينا) (١)

فهذا التغرل وهذا التعهد وهذا الترويح شأن من نال في
تربية النفوس و تقويم القلوب و تمذيب الارواح حثا عليها و نصيبا وافيا
وفصلا غير غفوس .

و تخير الالفاظ والشروف المناسبة مع تخير الكلمات المؤثرة والمباركات
المفجرة بصيرة بالايان الصادق والحساسة الدافقة والعقيدة الصلته

لَا يَدَّ أَنْ يُؤْتَى أَكْلُهُ بَازِنٌ رَبُّهُ كَرِيمًا طَيِّبًا بَهِيمًا وَ لِذَلِكَ كَانَ لِمَوَاعِدِ
الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَثَرُهَا الْبَيِّنُ وَ قِيَمَتُهَا الْعَالِيَةُ وَ عَزَلَتِهَا
الرَّفِيعَةُ فِي نَفْسٍ سَامِيَةٍ ، فَذَمَّ مِنْ قَلْبٍ خَفَى وَاضْطَرَبَ وَ تَحَسَّرَكَ
لِذَلِكَ كَلِمَةُ طَيِّبَةٍ مِنْ فَمِهِ وَ كَمَّ مِنْ عَيْنٍ بِمَرْنٍ مَاؤُهَا لِكَلِمَةِ بَلِيغَةٍ مِنْ فَمِهِ
قَالَ الْمَرْبَاضُ بْنُ سَارِبَةَ (صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
صَلَاةَ الصُّبْحِ فَوَعَضْنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً نَزَعَتْ مِنْهَا الْعَمِيُونَ وَوَحَلَتْ مِنْهَا
الْقُلُوبُ ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةٌ عَوَّدَ فَأَوْصَانَا ، قَالَ (عَلَيْكُمْ
بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبِشِيًّا فَإِنَّهُ مِنْ يَحْيَى مِنْكُمْ فَسَمِعُوا
اخْتِلَافًا كَبِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسَمْعِي وَأَيَّامِي وَ صَحَابَاتِ الْأُمُور فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ
بِدْعَةٍ وَ كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَ كُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ) (١)

وَ عِنْدَمَا أَقَارَ بَعْضُ الْأَنْصَارِ مِنَ الْأَوْسِ وَ الْخَزْرَجِ فِي الْأَمْوَالِ الَّتِي
أَعْطَاهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِبَعْضِ الْقُرَشِيِّينَ يَتَأَلَّفُ قُلُوبَهُمْ ، خَافَهُمُ
الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَ قَدْ طَلَبَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَجْتَمِعُوا لَهُ مُتَفَرِّدِينَ ، قَالَ
" مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ - أَيُّ مَا شَأْنُهُ وَ حَقِيقَتُهُ " - فَقَالَ فَقِيهُ الْأَنْصَارِ
أَمَّا رُؤَسَاؤُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَلَمَ يَقُولُوا شَيْئًا وَأَمَّا نَاسٌ مِنْهُمْ هَدَيْنَاهُمْ
أَسْنَانَهُمْ فَقَالُوا يَغْفِرُ اللَّهُ لِلرَّسُولِ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْطُشُ
قُرَيْشًا وَيَتْرَكُنَا وَيُؤَفِّقُنَا تَقْطُرُ مِنْ دَعَائِهِمْ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

فَأَنِّي أُعْطِيتُ رَجُلًا حَدِيثٌ عِنْدَ بَكْرِ أَتَأْتِيهِمْ ، أَمَا تَرَوْنِ أُنْ يَذْهَبُ
النَّارَ بِالْأَمْوَالِ وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقْوَدُونَ النَّبِيَّ
رَجُلًا ، فَوَاللَّهِ مَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرَ مَا يَنْقَلِبُونَ بِهِ . فَقُلْتُ مِمَّنْ
الْكَلِمَاتِ النَّاصِحَةِ الْمَخْلُصَةِ فَعَلِمَهَا فِي قُلُوبِ الْأَنْصَارِ الْمُؤْمِنَةِ الصَادِقَةِ الْعَامِرَةِ
فَقَالُوا وَ قَدْ أَهْمَشُوا بِالْإِكْرَامِ رَسِيلًا بِرَسُولِ اللَّهِ . فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَتَحْدُونَ أَثَرَهُ زَيْدُهُ قَاصِرُوا حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنِّي عَلَى الْخَوْضِ (١)

كَانَتْ الْكَلِمَاتُ تَخْرُجُ مِنْ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيَّةً مُؤَثِّرَةً فَمَالَهُ فَذَلِكَ
التَّوَلَّى وَالْحَمَلُ

بِالْإِزْمَانِ فِي سِيرَتِهِ فَمَنْ لَمْ يَأْمُرْ بِمَعْرُوفٍ الْآثَاءِ وَ لَمْ يَنْهَ عَنْ مَنكَرٍ إِلَّا
انْتَهَى عَنْهُ . فَقَالَ بَدِيدُ لِمَاءِ رَسِيلِ اللَّهِ عَنْهَا (أَنَّهُ كَانَ يَتَوَلَّى لِلَّهِ
حَتَّى تَتَذَكَّرَ قَدَمَاهُ . فَقُلْتُ لَهُ : تَصْنَعُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ وَ قَدْ غَفَرَ
اللَّهُ لَكَ مَا تَقْدُمُ مِنْ ذُنُوبِكَ تَأْخُرُ . فَقَالَ : أَعْلَا أَمِنْ عِبَادِ مَكُورٍ) (٢)
وَرَوَى عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ ذَلِكَ (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَدَّ

الرَّجُلَ الْأَوَّلَ مِنْ رَسَائِلِ أُمِّيَا لَيْلَةً وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ وَ شَدَّ مِئْزِرَهُ) (٣)
قَالَ
وَعَنْ أَبِي سَمُودَ رَأَى اللَّهَ عَنْهُ قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

١- زاد الصليح ١٦٠/٢

٢- ريان الصالحين ١٦١ /

٣- المرحح السابق نفسه

عليك وعليين أنزل؟ قال إن أحب أن أسمع
من غيري

" اقرأ على القرآن " فقلت :- يا رسول الله أقرأ فقرأت عليه سورة

النساء حتى روت الى هذه الآية :- (وكيف اذا حننا من كل أمة

بشهيده وحنا به على هؤلاء شهيدا) قال : (حسبك الآن) فالتفت

اليه فاذا عيناه تفرغان (١)

وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال : أتيت رسول

الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولهوفه أزير كأزير المرحل من

الركاء (٢)

وهو صلى الله عليه وسلم اذا أمر أصحابه بالزهد والانفاق وتكمل

شبهه الى بابه والاقبال على الله والبالا لمراته وحرما على نيل شوائبه

في العوا الآر ندده صلى الله عليه وسلم يقوم بذلك من القيام بحيث

لا يسير ولا يلحق منقادا لا سر الله تعالى ونحو ذلك وانما في

رواية أم رابعة عنه . روى مسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه

قال ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أمراب ~~الأنبياء~~ النبيينا

فقال وأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال يلتوب ما يبدع من

الدقل ما يبدأ به بانه . والدقل هو رد التمر (٣)

١- ريان الصالحين / ٢٠٨

٢- ريان الصالحين / ٢١٠

٣- الصريح السابق نفسه / ١١٨

وروي البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قولها (توفي رسول
(ر) وما من بيت من بيوت بني كند الأشطر شريف في رفاقي (١)
وروي البخاري عن عمر بن الخطاب أن في يثيرة بنت الحارث أم المؤمنين
رضي الله عنها ، قال : ما ترك رسول الله عند موته دنيارا ولا درهما
ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا إلا غلبته البغاة التي كان يركبها و سلامته
وأرضاه بمثلها لابن السبيل مودة (٢)

وهو الأمر لهم بالتواضع وخض النواحي وتواضع الاكتاف نراه في قوله
مثلا وقدة ، في لآثرنا انسانا يبلغ عشر ما بلغه صلى الله عليه وسلم من
الصبر .

روي ابن ماجه والترمذي عن أنس رضي الله عنه قال (كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم إذا صافح الرجل لا ينزع يده وإن استقله
بوجه لا صرفه منه ، حتى يكون الرجل ينصرف عنه ولا يرى مقدما ركبته
بين يديه ، فيمض له

كان عليه الصلاة والسلام متواضعا في ملبسه ومسكنه يلبس كمامة
من حوله ويسكن في وقعة ، وأتته الدولة والسلطان في صدق من حجرات
واضة صنية باللين وبين كل حجرة وأخرى حائط من حديد النخل طير

١ - رياض الصالحين / ٢١٨

٢ - رياض الصالحين / ٢١٩

بالظن ومفطر بجنب أو كساء أسود من السدير وكان يهيب دعوة
الذر والعبد والامة والكساش ويقبل عذر المعتذر وكان يرفع شويه
و يهبط دعواه بيده ، و يهدم نفسه ويعقل بمسيرة و يأكل مع الدمام
ويقتض ^{الضيف} البائس (١)

كل هذا التواضع والتهاسر الصادق من نفسه الشاعر والذمر
هو صورة صادقة له لم ينقص من سميته ولا سميته و قد قيل في وصفه :-
من رآه بداعة مائة ومن عاشره ألبه فكانت علاقة أحماسه والناس به
علاقة أدب حم وحب ووقار كامل ، لم يتكبر و لكنه لم يرض سوء الادب
وكثيرا ما بين لأحماسه كيف يتصرفون في حضرته وفي خطابه .
فلقد كان صلى الله عليه وسلم قدوة عليا و مثالا أعلى في الصبر
والدلم والتم والحياء والشجاعة والتواضع والتهاسر وخشية الله .

فمن كانت هذه صفاته وتلف عبارته جاءت مواعظه هيبة مؤثرة
فقاله صادق . وقد مدحه ربه فقال (وَأَنَّا لَمِلَى خُلُقٍ حَمِيدٍ) (٢)

١- الرسول صلى الله عليه وسلم سمع حوف ١٥٩/١
٢- سورة التلم آية ٤

و بعد ان نفسه فقال : أنا سيد الناس يوم القيامة (١) وقال أنا سيد
البشر ولا غنى و أنا أنسى الحرب و أنا أول من يقرع باب الجنة
و أنا أول من ينسى عنه القربى ، دعا لى ابراهيم و بشر بن عيسى
رأت أمي/ و سمعتي نورا أثناء لها ما بين المشرق والمغرب (٢)

وسمعه أصحابه فقال أبو سعيد الخدرى :-

(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذاراء فى
خدرها فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه فى وجهه) (٣) وقال أنس بن
مالك :- " كان صلى الله عليه وسلم أسكن الناس وأهدى الناس وأشجع
الناس وإذا فرغ أهل المدينة ذات ليلة قال للناس قبل الصوت
فأقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم قد سبر الناس الى الصوت وهو
يقول :- لن تراعوا ، لن تراعوا وهو على فرس لا بين الدابة عرق ما عليه
سرج وفى عنقه سيد فقال وجدت محرا أو انه لدمر) (٤)

و قال فيه حسان (٥) :-

وأحسن منك لم تَرَ قط عيني

وأجمل منك لم تلمس النساء

١- زاد المسلم ١١٠/١

٢- الزهد الفريد ١٥١/٤

٣- رياض الصالحين ٢٠١/١

٤- انزهه ايشان فى كتاب الادب باب حسن الخلق والسخاء

٥- ديوان حسان ، تحقيق سيد حنفى ١٩٧٤ القاهرة ٢٧١

خلقت مبراً من كل عيب

فإنه قد خلقت كما شاء

و قال الآخر :-

وما خلقت من ناقة فوق ظهرها

أبرو أوفى ذمة من محمد

وقال سنان يريه صلوات الله وسلامه عليه :- (١)

وما فقد الناصون مثل محمد

ولا ضلته حتى القيامة يفقد

و إن أمانيه رضوان الله عليهم إذا سمعوا صفه مدح في بعضهم

أقول الآخر

سني تأتت مشرو إلى سوء نياره

محمد خيرناز عندنا خير موقد

قالوا ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١- شعر الدعوة الإسلامية - عبد الله بن محمد الحامد الرياض ١٤٧١

الفصل الثاني عشر غريب الحديث

=====

تحدثنا فيما سبق عن الأسلوب النبوي و قلنا أنه اتسم بوضوح
اللفظ و قرب المأخذ و سهولة التناول لفظاً و تركيباً و نفوذ الآن فصلاً
عن غريب الحديث و هنا يطرح سؤال وهو كيف و بعد هذا الضرب من
الغريب في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان أخص السرب
لساناً و أوضحهم بياناً و أعذبهم نطقاً و أسداهم لفظاً و أبينهم لهجته
و أقومهم حجة و أعرف بمواقع الخطاب و أهداهم إلى طريق الصواب و كان
أبعد ما يكون عن الغريب و الصعب و أبعد ما يكون عن التكلف ؟
وفي الرد على هذا السؤال نقول " من السليم به أن اللفظة
كائن متى ينمو و يتجدد بتطور الزمان و تراسيه فقد يستعمل كلمات دائمة
في عصر متقدم ثم تنسى الأيما عليها دون أن تجد لها ذيوفاً في عصر
تالي فيخيل لمن يقرأها في العصر الأخير أنها عربية ثم يثقلها القائل
ولو تأمل لعرف أنها غمضت بتغير العصر فاندطأت بعد اشراق ولو كانت
لدينا معاجم تتبع تطور الكلمات من زمان الى زمان لعرفنا كيف ماتت مئات
الكلمات في عصر واستحدثت مئات أخرى في عصر آخر .

و أكثر ما نشاهد من الغريب في حديث الرسول كان مأثوساً
في عصره لأنه لا يتكلف و لا يتمل و قد نفى عنه القرآن ذلك ، كما
نفى صلى الله عليه وسلم عن التمسك بالآثار و التخاصخ فأحرى به ، ألا يأت

بالنماض العربي ، وفي ذلك يقول ابن الاثير (١) : «وكان أصحابه رضي
الله عنهم و من يفقد عليه من العرب يعرفون أكثر ما يقوله و ما جهلوه
سألوه عنه فيومئذ لهم واستمر عصره صلى الله عليه وسلم الى حين
وفاته على هذا السنن المستقيم وجاء العصر الثاني وهو عصر الصحابة
جاريًا على هذا النمط ، سالكًا هذا المنهج و كان اللسان العربي
عندهم صحيحًا محروسًا لا يتداخله الخلل و لا يتطرق إليه الزلل ، السر
أن فتحت الأنصار وغالط العرب غير جنسهم من الروم و الفرس والحيش
والنبيسط وغيرهم من أنواع الأمم ، الذين فتح الله على المسلمين بلادهم
وأفاء عليهم أموالهم ، و رقابهم ، فاختلطت الفرق واعتزجت الألسن وتداخلت
اللغات ونشأ بينهم الأولاد فتعلموا من اللسان العربي ما لا بد لهم
في المجاورة عنه وتركوا ما عداء لعدم الحاجة إليه وأعملوه لقلّة الرغبة
في الباعث عليه فصار بعد كونه من أهم المعارف مطرحًا مهجورًا وبمسند
فرضيته اللازمة كأن لم يكن شيئًا مذكورًا . وتعاادت الأيام والحالة هذه
على ما فيها من الماسك والتماسك واستمرت على سنن من الاستقامة والصّلاح
الى أن انقرض عصر الصحابة ، والشأن قريب والقائم بواجب هذا الأمر
لقلته غريب وجاء التابعون لهم بلا حسان فسلكوا سبيلهم لكنهم قلّوا فسر
للاتقان عددًا واقفتموا حديقهم وإن كانوا مدّوا في البيان يدًا فمسا

انتهى زمانهم على احسانهم الا واللسان العربي قد استحال أعجمياً
أو كاد فلا ترى المستقل به والمحافظة عليه إلا الآحاد هذا والمصر
ذلك/ القديم والعهد/ الكريم فجهل الناس من هذا السهم ما كان يلزمهم
معرفة، وأخروا منه ما كان يجب عليهم تقدمه واتذروه وراءهم ظهرياً
فصار نسياً منسياً والمشتغل به عندهم بعيداً قصياً *

وظاهر من كلام ابن الأثير أنه كلما بعد العهد بـمصر
المصابة جهل الناس كثيراً من لغتهم، أي أن كثيراً من الألفاظ التي كانت
متداولة مستعملة في ذلك العصر يقل استعمالها، والدليل على ذلك أننا
في عصرنا هذا نحتاج إلى جهد كبير ووقت أكبر، لتفهم أرقام الإحصاء
وسرفة لغة الجاهليين، وأن الألفاظ التي كانت مأثورة مأثوفة في عهدهم
والتي لا يحتاجون في فهمها إلى قواميس وشرح تصعب علينا
نحن.

وهذا ما جعل العلماء يهتمون اهتماماً شديداً بما ورد من
الغريب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ما أصبح غريباً وكان
من قبل مأثورة مأثورة، فافردوا له المصاحم وسرعوا فيه للناس موارد،
وحفظوا فيه لهم مفاهيم، حراسة لهذا العلم الشريف من الضياع
ونقص هذا المهم العزيز من الاختلال فكانت حركة التأليف في غريب

الحديث ولفته حركة دائبة متصلة تمثل حلقة من الحلقات العلمية
الجادة المتواكبة، التي لم تنقطع تتبعاً لهذه اللغة العربية مأخوذة
من منابعها الأصلية وعن آنذاك أخذت تحتاج الحزيرة الى الصين
والهند شرقاً واسيانيا غرباً .

وعلى ذلك فقد ربطت بين الدين والعلم بأسس سبيل
التفكير العلمي، فالدراسة فيها مستقاة من نصوص الحديث الشريف في
تربية . ولقد حرص أسلافنا على لغتهم متعلمين من كوننا لغة
الدين الحنيف ، الصبرة عن قوميتهم فكانوا يحفظون كل ما يتصل بها
ويوضح النصوص القرآنية فاهتموا بالحديث النبوي الشريف وثبتوها
في نصوصه وسنده أيما ثبت ، واجتهدوا في ذلك واستقصوا
ما استلزموا الى ذلك من سبيل .

ولا يخفى على المختص أن العناية بالقرآن الكريم والحديث
الشريف وتدوينهما والشرح التي جرت حولهما انبثقت عنها علوم
العربية ، وما تزال الدراسات فيها تتطور ويكثر فيها الباحثون من
عرب ومشرقين .

وعن العناية بتربية الحديث ولفته وتدرج ذلك العلم فليس
سبيل الكمال منذ القرن الثاني للهجرة ، يحدثنا ابن الاثير فليس

بقدمه كتابه النهاية فيقول " ان أول من جمع في هذا الفن شيئاً
والثاني أبو عبيدة معمر بن النخعي التميمي المتوفى سنة ١٢٠ هـ فجمع بين
الفاظ غريب الحديث والآثر كتاباً صغيراً ذا أوراق محدودات ولم
تكن قلته لجملة بغيره من غريب الحديث وإنما كان ذلك لأمرين
أحدهما أن كل مبتدئ لشيء لم يسهل إليه ويستدع لا مر لـ
يتقدم فيه عليه فانه يأن قليلاً ثم ينثر وصغيراً ثم يفر . والثاني
أن الناس يؤخذون فيهم بقية وعندهم معرفة فلم يكن الجاهل قد
عم ولا الخطب قد طم .

ثم جاء أبو الحسن النضر بن شميل المازني وعبد الملك بن
قريب الأحمسي ومحمد بن المستنير المعروف بقطرب فجمعوا أحاديث
تكلّموا على لغتهما ومبناها في أوراق معدودة ولم يكد أحدهم ينثر
عن غيره . ينثر حديث لم يذكره الآخرون .

واستمرت الحال الى زمن أبي عبيد القاسم بن سلام بعد
المائتين فجمع كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار فصار القدوة
في هذا الشأن ، سلك في تأليفه أربعين سنة فكان مرجع الناس
وعمدتهم الى عصر أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
فصنّف رحمه الله كتاباً هذا فيه حذو أبي عبيدة ولم يودعه شيئاً حسن

الأحاديث المودعة في كتاب أبي عبيدة، إلا ما دعت الضرورة إليه .

وفي زمانه ألف الاسام إبراهيم بن اسحاق الحريشي

المتوفى ٢٨٥ هـ كتابة غريب الحديث في مجلدات عدة ولكنه استقصى

الأسانيد وأطال ذكر المتنون فترك وحججه الناس وإن كان كثير

القوائد .

ثم ألف جماعة منهم أبو العباس المعروف بـ شملب المتوفى

سنة ٢٩١ هـ و شمر بن حمدوية والمبرد المتوفى ٢٨٥ هـ ومحمد بن

القاسم الأنباري أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد شيئا . واستمرت

الحال على ذلك حتى عبد الامام أبي سليمان أحمد بن محمد بن أحمد

الخطابي الملقب بـ بدد سنة ٢٦٠ هـ فآلف كتابا نهج فيه نهج أبي

عبيدة وابن قتيبة وذكر ما لم يذكره فكان كتابه متما لكتابيهما

وظلّت هذه الكتب مرجع العلماء حيناً .

ثم قال أبو عبد أحمد بن محمد البروني المتوفى سنة ٤١٠ هـ

و صنف كتاباً جمع فيه ما بين غريب القرآن والحديث ورتبه مقفى على

حسب حروف المصوم وعنى بالكلمات اللثوية فاستخرجها من أماكنها وأثبتها

في حروفها وذكر معانيها واستوعب فيه ما تقدمه من الكتب وكان ما صنعه

من ترتيب الكلمات النبرية ترتيباً حسناً ما جعل ذكره يسير وأمره

ينتشر .

وما زال الناس بعده يقتفون حذية ويتنبصون أثره
ويشكرون له سميّه ويستذكرون ما فاتهم من غريب الحديث والآثار
ويحتمسون فيه مجاميع ، والاباء تنقضي والاعمار تفتنى ولا تنقضي
الآن تصنيف في هذا الشأن إلى عهد الإمام أبي القاسم محمود بن
عمر الزمخشري الخوارزمي رحمة الله ، فصنّف كتابه المشهور في
غريب الحديث وسمّاه (الفائق) ولقد صادفني هذا الاسم مسمّى
وكشف عن غريب الحديث نل مسمى ورثته على وجه اختاره متقن
على حروف المعجم ولكن في الشهور على طلب الحديث منه كلفه
وعشقة وإن كانت دون غيره من متقدم الكتب لأنه جمع في التفقيه
بين إيراد الحديث سروداً جميعه أو أكثره أو أقله ثم شرح ما فيه
من غريب فيجىء شرح كل كلمة غريبة يشتعل عليها ذلك الحديث في
حرف واحد من حروف المعجم فتزد الكلمة في غير حروفها وإذا تطلّبها
الإنسان تعب حتى يجدها فكان كتاب الهرون أقرب تناولاً وأسهل مأخذاً
وإن كانت كلماته متفرقة في حروفها وكان النفع به أتم والفائدة منه
أعم .

وجاء بعده أبو موسى محمد بن أبي بكر المديني الأصفهاني
المتوفى سنة ٥٨١ هـ فصنّف كتاباً جمع فيه ما فات الهرون من غريب القرآن

والحديث (سماه الغث) ومن عاصريه ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن
ابن علي المتوفى ٦٧٠ هـ الذي صنف كتاباً في غريب الحديث نهج فيه
طريق الهروي وكان فاضلاً ولكنه يغلب عليه الوعظ . وفي القرن السابع
ألف ابن الأثير كتابه (النهاية في غريب الحديث والأثر) في وقت تطور
وتكامل هذا العلم وقد رتب ابن الأثير الكتاب دون إطالة في الاسانيد
وذكر الاحاديث الغريبة / أجزاء مفرسة على موادها اللغوية فجائياً
ويذكر المواد الغريبة بلغات مختلفة موهبة في أبوابها بطريقة بحيث
يوفر على المراجع مشقة الرجوع إلى الأجزاء الأخرى في المواد التي
النص كاملاً على منهج ابن قتيبة والزمخشري ليبحث في أجزائه
من المراد وذلك يتطلب جهداً ووقتاً . وقد جمع ابن الأثير كل
ما فات السابقين في غريب الحديث فقد استقصى كتبهم .

ولقد استفاد ابن الأثير من سابقه بنظر ثاقب بصير
وقد شغل هذا الكتاب من جاء بعده وذليل عليه الارموي صفي
الدين محمود بن أبي بكر الارموي . (١)

ثم اختصرت النهاية على يد الشيخ علي بن حسام

الدين الهندي وعيسى بن محمد الصفوي وجلال الدين السيوطي

و قد سمي مختصره (الدر النثير) وكان الدار يهاشش النهاية
ثم أفرد السيوطن وسماه التذييل والتذييب على نهاية الغريب
وتقول الأستاذة فاطمة حمزة الراشدي: وهو موجود في آخر إحدى نسخ
النهاية بدار الكتب المصرية برقم (٢٠٩٤ حديث) وهو في سبع
ورقات ومن التذييل نسخة ببرلين (١٦٦٠) (١) وقد نظمت
النهاية شعرا على يد أبي الفدا اسماعيل بن محمد بن بدر
اليعلى الحنيلي (٧٨٥)^٢ ومنه نسخة ببرلين (١٦٥٤) باسم
الكفاية في نظم النهاية . (٢)

ومن المؤلفات التي لم نشر اليها المراجع عدا حاجي
خليفة في حديثه عن علوم غريب الحديث والقرآن كتاب عبد اللطيف البغدادي
موفق الدين (تفسير غريب الحديث) الذي اعتمد فيه على أمهات
كتب الغريب في الحديث الثلاثة ، لابن عبيد القاسم والحارثي وأبو
سليمان (٢)

والباحث في حركة التأليف في غريب الحديث يجد حركة
دائبة متصلة جمت فيها مادة الغريب وشرحت ورتبت فكانت منها

١- مجلة المورد المجلد التاسع العدد الرابع - دار الحرية بغداد

١٨٠٠ م - المراجع السابق نفسه

٢- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون حاجي خليفة ط أولى

١٢١٠ م - ١٥٥/٢

مؤلفات كثيرة ضاع معظمها واندثر ووصل إلينا بعضها الآخر ، وإن
 كان ثمة ما يدعو للدهشة في تلك التصانيف إنما هو ضخامتها
 التي تشير إليها المراجع والفهارس وما تظهره الجهود القائمة على
 تحقيق نسخها الخطية حتى اليوم ، وتلك الضخامة في التأليف
 تدعونا إلى إكبار السلف أيما إكبار لمادة المماناة والصبر الطويل
 والأناة في العمل دون كلل أو ملل وذلك حين لهم علينا يجب أن
 نسير إليه فالدارس أو المؤلف منهم ما إن ينتهي يأتي مؤلف آخر
 من المعاصرين أو من المؤلف فيذيل عليه بما يستحق أن يكون كتاباً
 آخر ، ليقول ما يجدر أن يقال لمسند مادة أو يزيد ما بيانا وقد
 يستند نفعاً أو سهواً فاتا المؤلف لسبب أو لآخر وغير هذا مما
 يقع في المختصرات وعن دليل على بذل الجهود لتيسير التناول
 والمراجعة أو الحفظ .

وبملاحظة عامة أن جمهرة العاملين في هذا الفن أوتوا
 من كل علم بأحرف وقد احتوت تراجمهم وأخبارهم على أكثر من مؤلف
 في أكثر من موضوع وقد أولعوا بالحديث والفقهاء بالشريعة والدين
 وتعلموا بها حتى امتلأوا ناصية التصنيف والتأليف في التريب من الحديث

وذاكر و... الاستعمال في لغاتها كل ذلك يحتاج الى حلول مماناة
وأثناء ودراية بالحديث والرواية و ما يتضمن بهما، فهؤلاء إذن نخبة
من بلة أهباء عصرهم وهم إلى جانب ذلك من المبرزين في علمي
النحو واللغة .

والنحويين شمساً، جاء ذكره في النحويين البصريين عند
الزبيدي في الطبقة السادسة (١) وقال عنه السيوطي أنه أخذ عن
الخليل اللثة والنحو وهو ثقة ثبت صاحب غريب وشيخ ونحو وحديث
وفقه ومعرفة بأيام الناس (٢)

ومحمد بن المستنير ذكره ابن قاضي شهبة (٣) وقال
عنه (أنه صاحب سيوطي وطريقه اللغوي النحوي و قال عنه السيوطي
كان حافظاً للغة كثير النوادر والغرائب . (٤)

وجاء ذكر أبو عبدة حمير بن المثنى في الطبقة الثالثة
بن اللغويين البصريين عند الزبيدي (٥) وقال عنه السيوطي (٦) وأما
أبو عبدة فإنه كان أعلم الثلاثة (أبو زيد الأنصاري وأبو عبدة الأصمعي)

-
- ١- طبقات النحويين واللغويين ، لابن بكر الزبيدي تحقيق محمد أبو
الفضل مصر ص ٥٣ - ٦٧
 - ٢- المظهر في علوم اللغة وأنواعها - للسيوطي ج ٤ مطبعة عيسى
البياتي الحلبي ١٦٥٨ ٤٠٥/٢
 - ٣- طبقات النحاة واللغويين تحقيق محسن تياض طبعة الشوف ١٩٧٣ بغداد
ص ٢٢٢
 - ٤- المزمع ٤٠٥/٢
 - ٥- الزبيدي ١٦٢ - ١٦٥
 - ٦- المزمع ٤٠٢ / ٢

بأيام العرب و أيارهم وأيامهم لميلهم وكان أكمل القوم . قال
عمر بن شبة كان أبو عبيدة يقول ما التقى فرسان نى جاعلية
ولا إسم إلا عرفت بها وعرفت فارسيتها وهو أول من ألد غريب الحديث .
حدثنا علي بن إبراهيم البغدادي يقول سمعت ابن سليمان يقول :
سمعت أبا حاتم المجستاق يقول جاء رجل الى أبي عبيدة يسأله
كتاباً ، وسيلة الى بعض الملوك فقال لى : يا أبا حاتم اكتب على
والعن فى الكتاب فان النصوص محدودة (أن مضموم) صاحبة .
كما أورد الزبيدي ابن سلاّم فى البابقة الثالثة من اللغويين
الكوفيين (١) وابن قتيبة كان من بين من ذكروا فى البابقة السادسة
من اللغويين البصريين (٢)
ومن بين اللغويين الكوفيين من ذكرهم الزبيدي شعيب أحمد
ابن بشار (٣) فى البابقة الخامسة من النعمانيين الكوفيين والزمخشري
محمود بن عمر ترجم له القفاص صاحب انباء الرواء على أنباء النماه
و قال عنه أنه ممن يضرب به المثل فى علم الأدب والنحو واللغة . (٤)

١- الزبيدي ٢١٧-٢١١ .
٢- " ٢٠٠ .
٣- " ١٦٧-١٥٤ .
٤- ٢٦٥ / ١ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٥

ومن ابن الأثير قال ابن مالك (١) (كان فقيهاً محدثاً

أديباً تحموا)

ولغة الغريب من الحديث اشتملت تاليفها وإضافة

إلى الحديث الشريف أحاديث الصّحابة والتابعين وبعض القسود

والولة كالنجاج بن يوسف الثقفي وأمثاله وقد بحث غير واحد من

المؤلفين مفهوم الغريب من اللغة فما كان من الألفاظ الغامضة وكان

قليل الاستعمال ندته محناه وبعبارة عن الفهم هو عند الغالب (٢)

وهو أحد الساطعين في هذا الفن - من الألفاظ الغريبة التي تحتاج

إلى بيان نقوله (الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد عن الفهم

لما أن الغريب من الناس إنما هو البعيد عن اللسان المنقطع عن الأدب

والغريب من الكلام يقال به على وجهين أحدهما أن يراد به أنه بعيد

المعنى غامض لا يتناول الفهم إلا عن بعد ومعاناة فكر والوجه

الأخر أن يراد به الكلام ما بعدت به الدار من شوائب قبائل العرب

فأما و ثبت البنا الكلمة من كلامهم استغريتها)

١- وفيات الأعيان دار الثقافة بيروت ترجمة ابن الأثير

٢- كتاب المتنون ١٥٥/٢

على أن ممّا نفع الله به الناس في بيان رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن الكلمة الغريبة في الحديث الشريف كثيراً ما تفهم
من السياق بحيث يستطيع قارئه الحصول المتأخرة أن يصل إلى
مدلولها بجهد قريب (٢) فمن ذلك ما أورده الزمخشري في شرح
اللفظ (أَبْنَى) في حديثه صلى الله عليه وسلم، بمعنى تذف أو أصاب
فيقول أبنته أبنته وأبنته وهو من الأبْن وهو المقدر في القصبان
لأنها تحبها ومنه قوله عليه السلام في حديث الألفك * أشيروا
عليّ في أناس أبناهم أهلي، ومن حديث أبي الدرداء رضي الله
عنه (أن نؤمن بما ليس فينا فرما زكينا بما ليس فينا فظاهر من سياق
حديث الألفك وحديث أبي الدرداء أن اللفظ (أَبْنَى) بمعنى
تذغوا وأعابوا ونؤن بمعنى تذف ونعاب) (٣)

و ليس معنى ذلك أن كل ما ورد من الغريب في حديث
رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم كان مأثوساً في عصره لدى جميع
الناس إذ أن الأديب المكين قد يضطر إلى استعمال لفظ خاص مهما

١- البيان النبوي ص ٢٠٥ - دكتور محمد رجب بيومي مصر ١٩٨٠
٢- الفائق من غريب الحديث والأثر - الطبعة الأولى القاهرة ١٩٤٥

عنى لدلالته وبعده على ما يريد من معنى ومن تمرس البيان يحلم
أن لكل لفظ من معجم الكاتب مكانة خاصة في نفسه ودلالة خاصة
توجب عليه أن يلتزمه في وضع معين ليحمل إلى الناس ما يريد أن
يقول وذلك حقيقة أشار إليها جهابذة النقد الحديث وينقل الدكتور
محمد رجب بيومي (١) ما قاله تشارلستون في كتابه فنون الأدب
الذي ترجمته: "ركن نجيب محمود في هذا الصدد "اذ يقول"
يلجأ الشعراء أحياناً إلى اللفظ الغريب للزيادة من قوة التأثير
و لا سيما إذا كانت الصورة المرسومة ما لا يألفه الناس في الحياة
الحارة فإذا رأيتهم يخلقون على الأشياء غير أسمائها فاعلم أنهم
لا يمتنعون ذلك عبثاً ولو أرادوا الأسماء المعروفة للأشياء أطلقوها
إذ يجب أن يكون الشاعر صادقاً في التعبير عن شعور أما إذا أراد
صورة فيها شيء من الغرابة لأنه أحسن في نفسه أنها غريبة فيبرز
أن يلجأ إلى اللفظ الغريب الصميم)

والناثر محافل للشاعر في هذا الوضع لا سيما إذا كان الناثر
يمتدح دأبا من الجديد غير المألوف وقد كانت أفكار محمد صلى الله
عليه وسلم من الجودة والطراوة والابتكار بحيث كان كل حديث من

كلامه صلى الله عليه وسلم فتبعاً لائق جديد من التفكير ، فإنا
نجد لفظ غريب يكمل به المعنى في رأيه فقد جاء في موضعه وهو
في مكانة أصيل دقيق .

كل هذا يقال عن الغريب الذي يتناثر في قوله صلى الله عليه
وسلم على ألسان تطول إن أن مثل هذه الالفاظ الغريبة لا تخرج
عن حالتين إما أنها كانت مأثومة مفهومة في العصر النبوي ثم غضت
من بعد فلا مجال للحكم عليها بالغرابة من غير المناصرين وأما أنها
كانت غريبة وجاء بها القائل لتست مسداً لا تنفي به الكلمة المأثومة
وحما تكون الغرابة على ندرتها القليلة ما يحدد ، لأنها فتصبح
جديد للفظ جديد يأخذ طريقه كي يسير وكل ذلك نادر إذا قيس
بما نتداوله من أدب محمد صلى الله عليه وسلم وجله مشرق أنير .

و ضرب ثالث من ضروب الغرابة غير هذا وذاتنا سمعنا اليه
الرسول صلى الله عليه وسلم سوقاً واضطر اليه اضطراراً وهو مما
يحدث به صلى الله عليه وسلم أو كتب به رسائله وعهوده الى القبائل
النائية في بطن الجزيرة من لا ينطقون بلغة قريش وإن أن لهم
معجمهم الخاص مؤلفاً من كلمات لا يتداولها أهل مكة والمدينة ومن
ولهم من الاعراب

وإنما تظهر القدرة القائمة في بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يحيا علما بالسنة أناس لم يكثر له عليه السلام أن يشافهم أو يشافهه يشافهم بديونهم ولا يعدو ألفاظهم وعباراتهم فيما يريد أن يلتقي اليهم وفي ألفاظه غاية بهم ومن يداينهم يقاربهم ولا يوزن في غير أرضهم ولا تسير عنهم فيما يسير من أخبارهم ،
و لا تأتله مع أوضاع اللغة الترشيحية فما تدرى أي ذلك أصعب : أن يفرد النبي صلى الله عليه وسلم بمحنة هذا الغريب من السنة الدار ، من قوة وغير قوة ممن ليس ذلك في لسانهم عن غير تعليم و لا تليين و لا رواية ، أو أن يكون قومه من قريش قد ضربوا فأسس الأرض للتجارة حتى اشتد استعصم منها ، و خالوا العرب وسحقوا ما ألقيهم في أرضهم ومن يتوادلون اليهم في موسم الحج و هم مع ذلك لا يعلمون من هذا الغريب بعض ما يعلمه و لا يدبرونه في المستقيم و لا يورثونه أعقابهم فيما ينشئون عليه من السماع والمحاكاة ، حتى كان هذا الباب فيه صلى الله عليه وسلم بابا على سده ، كما يؤيد كل ذلك من قول علي " نسو بنو أب واحد وراثتكم وقوة العرب بما لا تفهم أكثر و (١)

ومن ذلك كتابه على الله عليه وسلم الو. وائل بن حجر
 وأهل حرموت الذي يقول فيه (من صعد رسول الله إلى الأقيان
 الحباله من أهل حرموت بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة على الشجة الشاه
 والتمية لمأجها وفي السرب الخمسة ، لا خلط ولا وارط ولا شارة
 ولا مسنار ومن أخص فقد أرى وكل مسكر حرام) ، وفق رواية
 أخرى أن كتابه لهم (إلى الأتيان الحباله الارواح المشايبة من
 التمية مائة لا مفسر الأليان. و لا ضناك وأنطاو الشبة ، من
 السرب الخمس ، و من زنى م بكر تامتموه مائة واستونضوه عاما
 ومن زنى م نيتب فضرجوه بالاشافيم ، و لا تزيم في الدين و الغمة
 في قرائن الله تعالى وكل مسكر حرام وائل بن حجر يترقى على
 الأقيان (١)

فقد خالهم بلذتهم دون تلك أو توفر أو تعبر واستهلاك
 للمعاني فلم يكن يقصد التريب نفسه وإنما قصد منالبتهم بما
 يفهمون فيه أن اليمين لذتهم غير أهل المجاز فانطوا في اعادوا
 بلذتهم كما جرى في لغة أهل اليمين أنهم يبدلون لام التعريف فيما
 وفي ذلك يقول ابن الأثير (٢) " وعلى هذا فتكون راء بكر مفسور
 من غير تنوين لأن أصله من البكر فلما أبدلت الالف واللام بقيت

١- جملة رسائل الحرب ٥٨/١ ، الفائق ٢/١
 ٢- جملة رسائل الحرب ٦٠/١

الحركة بحالها و يكون قد استعمل البكر موضع الابدان . فقال
والأشبه أنه تكون بكر متونة و قد أبدلت نون من ميما لان النون
الساكنة اذا كان بعدها يا قلبت في اللفظ ميما نحو غير وغير
و يكون التقدير ومن زنى من بكر*

وياء بهاء حمزة رسائل (١) العرب شرح لألفاظ الكتاب
ياء فيه التهمة اسم لادنى ما تحب فيه الزكاة من الحيوان كالنفس
من الأبل والأربعين من الضم والتهمة في الشاة الزائدة على الأربعين
حتى يبلغ الفريضة الأخرى وقيل من الشاة التي تكون لصاحبها في
منزلة يحبها وليست بسائه وفي بمعنى الداجن . والسيوب جمع
سيب (كشمس) وهي الرزاز (كتاب) ويشمل المعدن والكسيز
فالمعدن ما خلقه الله تحت الأرض والكسز ما دفنه العباد ، وسب
سميّا لأنه من سيب الله أي من عطائه وفضله لمن أصابه . والخلال :
صدر خال كالمخالطة ، والعراد أن يخلط الرجل ابله غيره أو بقرة
أو غنمه لينحى حتى الله تعالى . والوارد : أن تجعل الغنم في وحدة
من الارض لتخفى على المصدق ، مأخوذ من الورطة (كوردة) وهي
الهوة من الارض والشقاق : المشاركة في الشئ بالتحرّك وهو ما بين

الغريبتين من كل ما يجب فيه الزكاة ففي الزكاة الغنم مثلاً ثلثي أربعين شاه شاه واحد وفي مائة وأحدى وعشرين شاةً ثلثان ولا بينهما غلبو أي لا زكاة فيما بين النصابين ولا تؤخذ من الثلث حتى يتم والشغار نكاح مسروق في الحاحلية وهو أن يزوج الرجل ابنته أو أخته على أن يزوجه ابنته أو أخته بغير مهر .

والأجباء : بيع الزرع قبل بدو صلاحه والأرواح : أرواح وهو من يحدك بحسن نظرة أو بشجاعته كالرائع وقيل هم الذين يروعون الناس أن يفزعونهم بشدة الهيبة والشباب حسن مشبوب وهو الجميل الزاهر اللون ومقورة الالبان أي مسترخية الحلد والضال الكثير اللحم والشحمة الوسط من المال التي ليست من خياره ولا رذالته أخذ من شحمة الناقة وهو ما بين الكاهل إلى الظهر . والرمع والضرب وأصله الضرب على الرأس واستوفضوه : أي أنفضوه وغربضوه أخذ من قولهم : استوفضت الإبل إذا تفرقت في رعيها وضربوه بلاغانيم : أي أدموه بالضرب واللاغانيم من الحجارة أن أدموه بالحجارة والتوصيم : الفترة والتواني أي لا تفتروا في إقامة الحدود و تتوانوا فيها . والقمة : السستر أي لا تستروا فرائض الله ولا تخفوها بل اجهروا بها وأعلنوها وبترقل : أن يسود وبتراش ومن استماره

من ترفيل الشوب وموإسبافه وإرساله . والاقبال : جمع قيل ومو
الملك من ملوك حمير وحرموت . والعباهلة المقرون على ملوكهم فلم
يزالوا عنه .

وفي هذا الضرب يقول القاسم عياض (١) : أما فصاحة اللسان
وبلاغة القول فقد كان رسول اللع صلى الله عليه وسلم من ذلك المحل
الافضل والصومع الذي لا يجهل سلاسة دابع وبراعة منزع وإيجاز منطبع
ونصاعة لفظ وبزالة قول وصحة معان وقلة تكلف ، أوتي بمواع الكلم
وغص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب بمخاطب كل أمة بلسانها
ويحاولها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من الصحابة
يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله ، من تأمل حديثه
وسيره علم ذلك تحفته وليس كلامه مع قرين والأنصار وأهل الحجاز
ونجد كلامه مع ذي الشمار السهماني وعلقة النبدى وقطن بن
هارثة العنسي والاشعث بن قيس ووائل بن حيدر الكندي وغيرهم
من أقبال حرموت وملوك اليمن *

فهو بمخاطب كل أمة بلسانها فاللفاظ التي استعملها في
كتابه إلى حدان وفي كتابة لوائل بن حيدر الذين هم على قدر كبير

(١) الشنك بتصرف حقون المصنف في اللقائى عياض عن ٢١

من البلاغة ، كانت قمة من البلاغة والفصاحة استعمالها معهم لبيان
للناس وما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعملون . وقوله في حديث
عذبة السعدون فان السيد العملي من الضعيفة واليد السفلى من
المنانة : قال فكلنا رسول الله (ص) بلغتنا وقوله في حديث
العامر بن حمير سأله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك
أَنْ سل عمّ شئت وهي لغة بني عامر .

أما كلامه المختار وفصاحته المملوكة ويواجه كلمة وخمسة
المأثورة عنها ما لا يوازن فصاحة ولا يباري بلاغة أما ما نحا سنحى
الغرابه فقد وافق مقتضى الحال في اغرابه .

الباب الثاني

السر البيانية في الحديث النبوي

الفصل الأول

التشبيه

التشبيه سر صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة ، لا من جميع جهاته لأنه لو ناسبه كلية لكان آياه ، ألا ترى أن قولهم "نبت كالورد" إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتهما ، لا ما سوى ذلك ، من مضرة وسطه وخضرة كعظمه . وكذلك قولهم "خلال كالبحر والليث" ، إنما يريدون كالبحر سماحية ونمما ، والليث شجاعة وإقداما ، وليس يريدون طروحة البحر ونعوقته ولا استقامة الليث وضيقته (١) . وهو قريب من غروب البيان عرفه القدماء صورا توضح فكرتهم وتحسن معانيهم وشاع في أقوالهم وأخبارهم ، فهو عقد ماثلة بين شيئين أو أشياء لا اشتراكها في معنى واحد ، بأداة ملحوظة أو ملحوظة كالکاف ونحوها لخرق مقصود ، ومن هنا نرى أن التشبيه أركان أربعة هي :-

المشبه والمشبه به ، وأداة التشبيه ووجه التشبيه

(١) الحمدة ، ابن رشيد ٢٨١ / ١ .

والشمس والشمس به يسميان (لغرض التسمية) فلا بد لكل تشبيها
من وجودهما سرية ، وقد بحثنا الشمس للعلم به نقوله تعالى :-
(ثم بأنهم هم لا يرجعون) (١) فالشمس مذكورة بمود علمي
النافقين الوارث لهم في الآيات السابقة والتقدير : نعم كالم
والهكم والشمس .

أما أداة التسمية فهي لفظ يدل على المشابهة وقد تكون
حرفاً أو اسماً أو فعلاً . فالحرف كالكاء كما في قوله تعالى
والنمر قاتلناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم (٢) . وكان ، كما
في قوله تعالى :-

ثم قاتلنا الطرف لم يطعنهم أنهم قتلهم ولا جان ... كائنات الياقوت
والعرجان (٣) . والاسم مثل :- شبه مثل وممثل ومضارع ومماك وكل

(١) سورة البقرة / ١٠٧

(٢) سورة يس / ١٠

(٣) سورة الرحمن / ١٠

والل ما حو ومناها أو مشتقا منها كقوله تعالى (وحور عين كأشبال
الليل المانيون) (١).

والفعل مثل :- مثل شابه وحاكى وجعل وحسب وحبال
وغير ذلك ما كان بمعناها كقوله تعالى (وجعلنا الليل لباسا) (٢)
وقوله قالوا يا موسى أما أن تلقى وأما أن تكون أول من ألقى ، قال بل
التوا فإذا جالهم وميهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعون (٣) .
وقد تحذف الأداة أو وجه التشبه أوهما معاً في اللفظ فقط
لأن التقدير كقوله تعالى (فساؤكم حسرت لكم فأتوا صرعى
شعثا) (٤) . نحو يسه النساء بالأرض التي تهرت وتززع لأن رحم المرأة
فيه ينبت الولد كما ينبت البذر في الأرض ونحو كليهما تكثير وصران وصاح
تحذفت أداة التشبيه ووجه التشبه أيضاً .

والحذف بعد أتوا نحو باب الباذخة من حيث جعل صفحة

(١) سورة الواقعة ٣٥ - ٣٣

(٢) سورة النبأ / ١٠

(٣) سورة الحديد ١٥ - ١٤

(٤) سورة البقرة / ٢٣٠

المشبه بغير المشبه به وما يشارك فيه الوجه والأداة بها يستدل
بالتجانس الأسمي بين أنواع التثنية ويستدل بالبلغ لأن المشبه بغير معين
المشبه به بلا تأنياد وإذا أُلغى للمبالغة والتوكيد ومثاله قوله تعالى
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِتِفَاقٌ ﴾ (٩).

والتشبيه من وسائل التفسير التوضيحية يستدل بوجه من التبيان
بزيادة المعنى وضوحاً وينسبه تأكيداً وفي هذا المعنى يقول أبو سلال
الحبيش (١٠).

"التشبيه يزيد المعنى وضوحاً وينسبه تأكيداً ولهذا أُضيف
جميع المتكلمين من العرب والعجم ولم يستغن أحد منهم عنه وقد جاء
من القدماء وأهل الرأى ما يستدل به على مشرقه وموقعه حسن
البيان".

والمؤرخ شري (١١) يقول عند قوله تعالى (مثلهم كمثل النور
استوفد نارا) ولما جاء بحقيقة التثنية عقبها بنسبة النحل زيادة ثمر

(٩) سورة المبررات / ١٠

(١٠) الخليل / ١٧٧

(١١) التمام / ١ / ٣٧٠

الكشف وتبييناً للبيان والضرب العرب الأمثال واستحصار العلماء المشايخ
والنظائر شأن ليس بالدقيق في إبراز خبيات المبادئ ورفع الأستار
عن الحقائق التي تريك التخيل في صورة المصطفى والعتوه في معرض
المتين والناصب وكأنه مشاهد وفيه تبييت للخصم الألد .

ودفع لسورة الدخان الأبي وأمر ماء أكثر الله في كتابه
المبين وفي سائر كتبه أمثاله وقضت في كلام رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكلام الأنبياء والصلحاء وقال تعالى (وتلك الأمثال نضربها
للناس وما يمتثل إلا الالمون) (١٦).

والجرجاني يقول فيه (١٧) «فالتمثيل يكرر المعاني أبهى
ويكسبها منقبة ويراع من أتمادها وشي من نازها ويستثير لها من
أفاسي الأفئدة صابرة ومعنى . فان كان المعنى المثل مدحاً كان
أشهر وأجمل وأبهر في النشور وأعظم وأمر للمطالع وأسرع للإلتفات
وأجمل للفرح وأسير على الألسن وأذكى وأولى بأن تعلقه القلوب

(١٦) سورة النجم / ٤٠ .

(١٧) أسرار البصافة / ٤٢ .

وأجدر كقرله تعالى في وصف البحابة (ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كنز أعين شطأه فآذره فاستغلظ فاستعوى على سوته بحسب الزمان ليغيظ بهم القصار) (١٤).

وإن كان وعظاً كان أشقى للمدر وأدعى للتفكر وأبلغ في التنبية والزجر كقوله تعالى في وصف نصيم الدنيا (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد) مثل حيث أعجب القصار نباته ثم يهيج فتراه مضطرباً ثم يكون عظاماً (١٥).

ويتوزع ابن الأثير (١٦) (وأما فائدة التشبيه من الكلام فهو أنك إذا ساءت النفس بالمرئ فأنما تقع به اثبات الخيال في النفس بصورة التشبيه به أو بضمائه وذلك أؤكد في طرنو الترفيف فيه والتنفير عنه . ألا ترى أنك إذا شجبت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبثاً في النفس خيلاً حسناً يدعو إلى الترفيف فيها) .

(١٤) سورة الشرح / ٢٤

(١٥) سورة الحديد / ٢٠

(١٦) المثل السائر ج ١ ص ١٥٨ .

ومن ذلك فإن بآفة التشبيه تكمن فيما يرموه من عوائد
تعود على الأسلوب من وضوح النكرة والمبالغة فيها والإيجاز للوصف
الذي تفرضه .

والرسول الكريم صلوات الله وسآله عليه من تليده لوسالته
ربه وبنائه لأصحابه ضروري لهم كثيرا من الأمثال لعليم يعقلون
وماءهم بكثير من التشبيهات التربوية المحكمة وكان من هديده أن
يخبره الأمثال بما كان لاصقا بحياتهم موصولا قديم ليكون أبدا
تأثيرا وأبدا نشادا وأكبر جدوى .

فلما أراد أن يوصيهم بمعامدة القرآن وما لازمة تلاوته
أخبرهم أن الآيات القرآنية أشد نصيا من الأهل في عقلمها
فلا بد من القيام عليها حتى تحفظ ولا تنسى فقد جاء في الصحيحين (١)
(إنما مثل صاحب القرآن كمثل الأبل المعلقة وإن عاهد عليها أسكتها
وإن ألقها ذعبت) والمعلقة هي المشدودة بالعقل والتشديد فيه
التكثير فهو يحميه حافظ القرآن الذي حافظ على دراسته ودأبه على

تلاوته بصاحب الابل المعقلة المشدودة بالعقل، غيبة الشراء فمن
استأجره وتعاهد به دام له الحفظ وان لم يتعاهده ولم يتأوا به
تلاوته نسيه وذهب منه .

وانا أرا ان يوضح عن حقيقة يدركها كل متأمن رشيد
من أن الصالحين من الناس الذين يمكن أن يعتمد عليهم قليل
نادر، ضرب المشق بالابل أيضا والعرب أكثر ما يكونون ألفة للابل
ومسرة بها وإدراكا لأحوالها ، فاني وهو المصدر الذي لا يخرج من
فيه الا حق :- (إنما النار كابل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة) (١)
والراحلة البعير القوي على الأسفار والأحمال والذكر والأنثى فيه
سواء . وهذا ما أسماه أهل البلاغة بتدبيره المحسوس بالمحسوس
وقد شاع هذا كثيرا في القرآن ان يقول الله تعالى (والذين قتلوا
يحتسبون رباً ولكن لما تأكل الأنعام والنار مشوى لهم) (٢) فقد
سوّى القرآن النار بأنهم يأكلون ويحتسبون فافلمين عن الجزاء المذموم

(١) زاد المسلك ٥ / ١٠

(٢) سورة مائدة / ١٧ .

ينتصرهم كما تأكل الأنعام وتمر فائقة من سكن الذابح .

ولمّا كان دأبه ودينته على الله عليه وسلم أن يخاطبهم
ثوبه بما يحرّون ويحدثهم بما يحفلون ضررهم الأمثال بما يبيط
بهم من نبات الأرض ففسان :-

(مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأتربة ريحها طيب
وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل العسرة لا ريح لها
وطعمها حلو ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس
لها ريح وطعمها مر) (٢٠) .

فجعل الذي يقرأ القرآن كمثل الأتربة ريحها طيب وطعمها
طيب ومنظرها حسن وطعمها لين ، صفراء فاتح لونها تشرق الناظرين
تشرق إليها الشمس قبل التناول وفيد أكلها بعد الالتذاذ بذوقها
وطيب نكهتها ، أنهم يحرّون كل ذلك فيها كما أنهم يعرفون التمسر
ويحفلون بصائغ وكذلك الریحان والحنظلة وهو تشبيه وتمثيل قسري
الدقيقة وصفه الموصوف استعمل على معنى معقول صرفاً لا يبرزه عن

(٢٠) زاد المسام ٢ / ١٠١ .

كأنونه إلا تصويره بالمحسوس المشاهد . وكلام الله المجيد له تأثير
في باطن القلب وظاهرة ، وأن الحيات متفكرون في ذلك فمفهم من
له النصيب أن يفي من ذلك التأثير وضيق من لا نصيب له . وإبراز هذه
الخصائص وتصورها في المحسوسات ما هو مذكور في الحديث ولا يوجد
ما يوافقها ويتفقها أترب ولا أحسن ولا أجمع من ذلك لأن التشبيهات
والشبه بها واردة على التاميم الحاصر لأن الناس إما مؤمن أو غير
مؤمن والثاني إما منافق صرف أو ملحق به والأول إما مواظب على
التقاة أو غير مواظب عليها فعلى هذا قسم الأشرار المشبه بها
ورجحه الشبه المراتب المقتزى من أصغر محسوسين ، هما الطعام والرائحة .

ومن هذا الباب أن الحرب تأنوا يعرفون مواقع القطر ويتنبهون
مواضع الكد ويميزون الخبيث والطيب من الأرض والتريم والتفود من الثروة
والجيد والبرء من البذل فمن الأرض ما يهتز ويرى وينبت من كل زوج
يرىح ومنها ما يمس الماء ومنها ما لا ينبت ولا يمس الماء ، وكذلك
الناس منهم من يتفح بالعلم والهدى وينشره بين الناس ويذيعه فيهم
ناذا هو يشر شامراً طيبة يانعة دائية القطوف وضيق من يحفظ العلم
ولكنه لا ينشره ويذيعه بين الناس ومنهم من لا يحفظ العلم ولا يقبض
عليه لأنه سيء من الهدى ولم يقبل ما جاء به من نور ورحمان .

والرسول صلى الله عليه وسلم يبين هذه الأنواع في صورة
بيانية فيها من التشبيهات الرائعة المنتزعة من البيئة القريبة ، يقول
عليه الصلاة والسلام (إن مثل ما يحشى به الله من الهدى والحلم مثل
فيث أصاب أرضاً ثابته منها طائفة طيبة قبلت الماء فأثبتت الكأ والعوي
الكثير ، وكان منها أجاد ، أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا
شرباً وسقوا وسقوا ، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك
ماء ولا تثبت كلاً ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما يحشى
الله به فحلم وعلم وشئ من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله
الذي أُرسلت به) (١) .

أراد الرسول بهذه المظنر بيان أنواع من الناس في مقابلة
الهداية والحلم فتقدم ثلاثة أنواع مترجم :- الأول هو العالم الذي
ينتفع بعلمه وينشره بين الناس والثاني هو الذي يحتفظ العلم لنفسه
لا يبعده إلى غيره أما النوع الثالث فهو الذي لا يحتفظ العلم ولا يثبت
عليه . واختار صلى الله عليه وسلم سبيله التي هذا أسلوب التثبيث

(١) زاد المسلم ١ / ١٠٠ .

وانتفى عن هذا التشبيه ، مشيلا يفتك من مدى الإدراك لما يريد أن يقدمه
للمتلقي فيجده يهين الأذهان بافتتاحه للكلام بالتشيل إذ يقول : (ما
ما يحشى الله به من الهدى والحلم) ليعني سروريا أن نتعرف على
أبيعة ما يحش به الله رسوله حتى يكون التعرف على موقف الناس
منه تحاشيا منها على الراشح والحسن وذلك قوله (كمثل الذئب الكسير
الذي أمسأ أرضا) فطابق في دقة بين الأنواع الأرضية والبشرية الثلاثة
في مقابلة ما يحش به الله رسوله من الهدى والحلم بحيث أصبحت
تتراءى في داخل الأضار أفرادا متباعدة عن أصل الصورة حتى ليحسب
مع النظرة العابرة أن كذا واحد منها يمثل صورة مستقلة قائمة بذاتها
تؤدي رسالتها داخل الصورة .

ولا يخفى علينا تأثير هذا التشيل وسلته بالنفس وهذا التأثير

قد نبه عليه الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة إذ يتناول - (٣٣)

(التشبيه التشيل) ينقل النفس من الخفي إلى الجلي والمعروف أن العلم
المستفاد من طريق الحراس ، يفضل العلم المستفاد من جهة الفكر والعقل
وقد قيل في الأمر :- ليس الخبر كالنبيذ وليس الظن كالسماينة كما أن

(٣٣) أسرار البلاغة / ٣ .

الحلم المستناد من طريق الحواس أسبق إلى النفس من العلم المستفاد من طريق العقل والبرية ، لأن العلم يجرى أو لا من طريق الحواس شتم من جهة العقل والنظر (١) .

فلما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم تقوية المعنى وتأكيده في النفوس وكما هو معلوم وثابت من أن المشاهدة ذات أثر فعال في النفوس حتى مع العلم بصدق الخبر وعدم تشرب الشك إليه ، عند التي تصوير ذلك بأمر مسوسة مألوفة .

كما أنه سأل الله عليه وسلم في هذا التمثيل جمع بين أمرين متباينين متضادين وهذا مما زاد المعنى بلاغة إذ أن التباين بين الشيئين كلما كان أشد كان إلى النفس أمحب وكانت النفوس له أقرب ، وأن تطلب الشيء المفقود من غير جنسه وشكله والتقاء ذلك له من غير مثله حتى يسيرا به مثلين متباينين مؤلفين مختلفين ، حتى أن الصورة الواحدة تبرز في السماء والأرض لغير غاية البلاغة ، يقسمون الشاعر الجاهلي قيس بن الخطيم :- (٢)

وقد لاج في الأسير الثريا لمن رأى

كذلكود ملائمة حين تمورا

(٢) ديوان قيس بن الكأيم - الجزء الأول ص ١٢١ - القاهرة مكتبة الدكتور/ ناسر الفيل
الأسد - صفحة ١١٤ .

شبه الشكر الشكر في الخير بمنشور العنبر والوقت
وقد أراءت نصح يومه الذية هيئة لاحتاج سور بيض من تديرة من غار
الأحجام في مرأه العين .

وتجده على الله عليه وسلم إذا أراد تقديم الموضة لا يوسلها
بما يملك بل يملك إلى الأسلوب التصوير فيقولها إلى بناء درامى بذلك
إلى ما يريد دون أن يحد بما يحد إليه أو تنهياً للنفور منه كما هو
الشأن في موازنة المواضع فاسمح به يقول وأعطى ومائاً على الانفاق
ويشترى من البخل (مثل البخل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من
ديد من تدويرهما إلى ترائيهما فأما المنفق فلا ينفق إلا سيغت أو وفرت
على جده حتى تخفى بنائه وتعفو أشبه وأما البخل فلا يريد أن ينفق
شيئاً إلا أوتى كل حلقة مكانها فهو يوسلها فلا تتسرع (١٨) .

هذا الحديث يبين الحالة النفسية التي يكون عليها كل من
البخل والمنفق (١٩) أنفق وفي سبيله إلى ذلك اعتمد على الله عليه
وسلم على التصوير المرسوم الحس فشيء عورة البخل الطموع على البخل

والعقل الجامع على الاتفاق بصورة راسخ عليها درعان من حديد تغطي
من جسمها الجسم الواقع بين الصدر والفتحة ، فأما المنظر المطبق
على الاتفاق فلا يفتق إلا ازدادات نفسه ارتياحا ولآ ازداد مدرة انشراحه
فأشبهه في تلك الحال الذي يليه درعا مرته تمتد وتستجيب لرفقاته
تغطى من جسمه ما يشاء أن يغطيه حتى تمتد أصابع يديه وتضم
أشياء مشبهه .

فأما البخل المطبق على البخل فلا يفكر في الاتفاق الا شحت
نفسه فشعر بالاختناق وأحس بالضييق يملك عليه أقطار نفسه دون أن يملك
أزاء صنعاً فأشبهه في تلك الحال الرجل الذي يليه درع حديد نبيقة
فلتصق بجسمه لا يرم بحركة الا اشتد التماقها فلزمت كل حلقة منها
مكانها وكلما حاول توسيعها ازدادت التماقا حتى كادت تمنقه .

فالتوسيع على الله عليه وسلم قدم الصورة المادية من خلال
الاستجابة النفسية في حالتى البخل والاتفاق فإذا كل صورة ماثلة على
عدة أمام العين كياناً حياً يقصد ويريد فتستجيب فصرته لما يقصد
ويريد أو لا يستجيب فتهدأ نفسه وتستريح أو يضيق صدره حتى يتساقط
يشتق ، فالعقل الكريم يهتز للخطأ وترتاح نفسه للبذل والبخل تنقبض

نفسه ويظهر صدره ويخرج عند العطاء .

كما أنه صلى الله عليه وسلم حرص أن تبدو الصورة أثر انشاق
الجواد وشح البذل على المصك على حياة كل منماء فألقى على الصورتين
ضلالاً شديداً تثير إلى ذلك الأثر ، وفي «سورة المنق» لم يبق شئ
الحديث من جنته عند هذا الاتساع الذي يهبط النفس من المادى المرى
وانما أضاف إلى ذلك ما يثير إلى أثر الانشاق على حياته في واقعه
ومستقبله (حتى تخفى بنائه وتغفو أشبه) فالجبهة التي تملؤه لا تتسع
بمقدار الراحة النفسية لمحبها ، تتجاوز ذلك إلى أن تغطي آثاره
وتخفى زلاته وتصور آثار خطاياها .

وفي «سورة البذل» لم يبق في الحديث من جنته عند هذا الانشاق
والإتساع الذي يحرق ضيق الصدر وانما أضاف إلى ذلك ما يوحى إلى
أن أثر البذل على حياته في واقعه ومستقبله (فهو يومئذ لا تتسع)
فالجبهة التي تملؤه لا تضيق بمقدار تصوير النفس فمحبها
انما تتجاوز ذلك التصوير إلى ما يصادف في واقعه الذي كان ينظر
فيه بحسرة عيش تحقيق ما يخل به من المال على الآخرين ، انما شمله
هو فهو في غير نفسه وضيق مادي وقهر ارادي يريد فلا يملك

تدقيق ما يرمضه القاطط الشيخ واليهادى عليه وتحتكمه فيه .

كذلك حرص النبي صلى الله عليه وسلم على أن تتم صورة
العقود من أثر الانشاق العكسي على المال فيبين أن الانشاق وسيلة تنحية
وزيادة (لا ينشأ إلا سبقت أو ورت) كما حرص أن تتم صورة البهيل
عن أمر البهيل العكسي على المال فيبين أن البهيل وسيلة ترميد ونجاح
إذا فتح المال من وفائته، ينشأ عليه أي جبر وجوده والعدم سواء .
(هناك) يتبين البيان النبوي من النشور البشرية ثمتنا تأمنا على الاقتاع
النشوي والاقتاع النشوي والحقلي الصورة التي يقدمها لا تضاد منبيلة
المتنبي لهذا المديته من تارة طاعة أمامه يرد ما يواجهه كسب
فرد فيها من وراء حمار التجربة الشخصية التي هي تجربة كل فرد
فيما غيبيل على صورة العتلي المايح على الانشاق وينشأ من صورة البهيل
المنايوع على البهيل فيقولنا في نفسه بخار البهيل وما يؤدي اليه
دون تصديق بما يقاد اليه من ذلك (١١)

وما يؤيد تشبيحات الرسول وتشبيلاته صلى الله عليه وسلم
روية ، النمى المخوى والنظم النبوي فهو يقاير الألفا ويتقيما انتقاء

(١١) تأمنا في البيان النبوي - إبراهيم مؤيد من ٤٤

يؤدي إلى توبة ثم المصير ، وقد أشرنا إلى ذلك آنفاً عندما تحدثنا
 عن اختيار الألفاظ . فهو يختار الفعل (بعث) لقوله (وإن مثل ما
 يحسن به الله من المصير والحلم) بدلا من أرسل أو أوحى الذي يشير
 إلى وحى الفرق الفني المتميز في اختيار هذا اللفظ فالنارقي مناسب
 بين البحث والإرسال والإحياء وإن كان دقيقا لا يتنبه إليه إلا بطول تفكير
 وأناة وإن أن البعث يلائم هلالا على المصير به تكلف عن حقيقة ، فليس
 كل ذلك يتلعب مبهوتا لأن البعث في أصله إحياء وانقاذ من قبلة أو موت
 اختيار (بعث) يوحى بأن ما جاء به من الله أحدث أثره أولاً فيمنس
 كلف بالتبليغ وهو الرسول على الله عليه وسلم فأحيا نفسه ونبه غافلته
 ثم انتقل به إلى الآخرين أما في أن يحدث أثره فيهم كما أحدث أثره فيه
 هو .

ولا شك أن الرسول على الله عليه وسلم قد وفق توفيقاً عالياً
 لا يختار هذا الفعل (بعث) دون سواه وذلك لارتباطه الوثيق بالمعنى الذي
 يريد ويتوخاه . فالسورة التي أراد أن يرسمها سموات الله وسامعه عليه
 فيها عناصر الحياة والإحياء والانبياة وكلمة البعث أقرب إلى هذه العناصر
 من الكلمات الأخرى التي قد تسمب مترادفة أو كالمترادفة كالإرسال والإحياء .

أما الإرسال فهو الإطلاق من القيود فإذا كُلف شخص بتبليغ رسالة إلى الآخرين فهذا يعني أن الرسول مبرر - حامل لأمر لا يمتنع في ذاته بشئ أكثر من أن يباغىه الآخرين دون أن يتأثر هو به فالإرسال وظيفة مادية محسوسة أما الحديث فوظيفته ذاتية معنوية وغارجية مادية فالحديث أخص من الإرسال لأنه وإرسال في حال معينة والإرسال يشمل نماذج تتبايع ما كان فيه بحسب وطالم يكن .

أما الأحياء فهو لا يشير إلّا إلى الموصى والموصى به والموصى إليه ، أما بقية الناس الذين يراهم بمراد بيان أنواعهم في ذلك الحديث فلا يتلصق
• ————— •

كما يلاحظ في تشبيهات علي الله عليه وسلم استحماله لأداتين من أدوات التشبيه فهو يقول : (مثل كذا ، مثل كذا) فالكاف أداة تشبيه التشبيه والتساوي ، ومثل ليست تشارة لأداة التشبيه كما يتوهم بل هي لفظة تعمل في نقل المتلقى من عالم الذهن والخيال إلى عالم الحس والواقع فأصل الكلمة بمعنى الشؤن والحضور والانتقال من مكان إلى مكان آخر ، جاء في اللسان (١) : (مثل الشئ مثلاً ومثل قام

(١) لسان العرب ، المجلد (١) ص ١١٤ .

شخصاً ومثل يمثل زال عن موضعه .

ومن ذلك يزعم قوله ان الله عليه وسلم - كمثل بمعنى (الصورة)

ويؤمن منه حديثه السابق مثل ما يعنى به الله من اليهودي والمسلم
كمثل الخ) أي كصورة الغيث الكثير فإدخال الكاء على كلمة مثل
له وظيفة البيان التي تدل على كثير وذلك لانها تذكر اذا كان المراد
تقديم التشبه به في هيئته مركباً كما في الحديث . فاذا كان المقصد
الذي التشبه به مراداً لم يكن الذكرها محل .

واشاره ان الله عليه وسلم الكلمة (الذيت) على غيرها من
الماء أو المطر أو الرابض وغير ذلك من أسماء الماء النازل التي
الأرض يوحى إلى ما يرجى منها وما تعود به على ما يعبر عنه
الذيت . مطر يغيث فهو المطر النازل بقدر وهو المطر الذي يصيب
من هم في حاجة له ومن صورة الغيث يتراءى لنا أناس يتوكلونهم
الصوت عطشاً يستترّون أنفسهم من الماء قدر ما يلزم
حاجاتهم ولا يحرق سير حياتهم .

جاء نحو اللسان :- (الغيت المأثر والكماد وقيل الأمل

المؤثر ثم سمى ما ينتبهه غيثاً ، أشد تلعب :-

وما زالت مثل الغيث ، يركب مرة

فيملح ، ويولي مرة غيثاً .

أنا دهر يولي ، ثم يديه الغيث فروع أو يذهب

صالح ثم يعود (١)

الاستمارة

الاستمارة مأخوذة من الاستمارة الحقيقية ، وهي نقل الشيء من حيزه لآخر ، وقد نقل علماء البيان هذا الاسم من معنيته إلى المجاز بالاستمارة وهي نقل اللفظ من معنى مُراد به في اللغة إلى معنى آخر لم يُعرف .

يقول ابن الأثير (١) : (سمى هذا القسم من الكلام استمارة لأن الأصل في الاستمارة المجازية مأخوذة من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاطة وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئا من الأشياء ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضيه استمارة أحد ما من الأمر شيئا ، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه ، فلا يستعير أحدهما من الأمر شيئا ، إذ لا يعرفه حتى يستعير منه وهذا الحكم جار في استمارة الألفاظ بعضها من بعض المعاني المتعارفة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر المعروفة بين المتكلمين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر)

(١) الفصح الميسر ٧ / ٢ / ١٠ .

والبرهان على صفة الاستعارة في عدة مواضع منها قوله ^(٦) (اعلم
أن الاستعارة في اللمعة أن يكون للفظ الأصل في الوصف اللغوي معروفاً
تدلّ الشواهد على أنه اختص به حين وضع ثم يستعمله الشاعر
أو غير الشاعر ثم يغير ذلك الأصل وينقل اليه نقلاً غير لازم فيكون
هناك كالحارثية) وفي دلائل الإعجاز يقول (الاستعارة أن ترمز
تجربة الشيء بالشيء لتدفع أن تؤلف بالتشبيه وتظهره وتبع إلى اسم
الشيء به وتجريه المجاز وتجريه عليه) ^(٧).

وقال في تعريفها أبو دلال المسكوني ^(٨) (الاستعارة نقل الصيغة
من موضع استعملها في أصل اللمعة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض
أما أن يبين شرح المعنى وفضل الإبانة عنه أو تأكيده أو المبالغة فيه أو
الاستعارة اليه باللفظ من اللفظ).

(٦) أسرار المسلافة / ٢٠

(٧) دلائل الإعجاز / ١٠٠

(٨) المستحقين / ٢٠٥ .

أما ابن الأثير فتأوله أيضا :-

(والذي عندنا من ذلك أن يقال (عند الاستشارة ونقل المصنف
من انض إلى لفظ ، لمشاركة بينهما ، مع طعن ذكر المنقول إليه لأنه
إذا احتز فيه هذا الاستقار ، انصرف بالاستشارة ، وكان هذا دون
التشبيه وطريقه أنك تريد . تشبيه الشيء بالشيء مضمرا ومضمرا ، وتجرئ
إلى المشبه فتعيره اسم المشبه به . وتعجيره عليه مثال ذلك قول الشاعر

فرما أن نهضت لحاجتها

عجل التضييب وأبطأ الدعص

والشاعر أراد تشبيه التثنية بالتضييب ، والردف بالدعص الذي هو
تضييب الرمحل ، فترك التعجيره مضمرا ومضمرا وجاء إلى المشبه والدعص
وأمره عليه . (١)

والاستشارة لابد لها من قرينة تفهم من قوى اللفظ ، لا ترى
إلى قول الشاعر (عجل / وأبطأ الدعص) خيالة هو عليه من نفس البيت
أن قوله (فرما أن نهضت) دليل على أن المراد هو التثنية والردف
لأن التضييب والدعص لا يترنان لامرأة فرما فتدعى لحاجتها . وكذلك

(١) المثل المأثور : - ١٧٥ -

كُنْ ما يرضى على هذا الأسلوب، لأن المستعار له وهو المثلوق إليه
حقوق التأثير .

واللغويون يضعون للاستعارة أركاناً ثلاثة هي المستعار له،
وهو الممثل، والمستعار منه وهو الممثل به، والمستعار وهو الوجه .
إذا كنّا قد علمنا أن للتشبيه أركاناً أربعة؛ هي الممثل والممثل به
والوجه والأداة فالاستعارة لا يحدّها فيها من حذف الأداة والوجه وأحد
طرفي التشبيه (الممثل أو الممثل به) ليس منبهة على التشبيه وتقوم
على تناسبه وانعفاء أن الممثل هو من الممثل به .

وإذا كان التشبيه أكثر ما يستعمل ليكن لبيان المعنى ووضوح
الفكرة فإن الاستعارة أكثر ما تكون تستعمل في التورية
والتأثير في السامعين .

وهو ذلك يتّفق أبزهلال المسعودي (٦) (ولولا أن الاستعارة
المعينة تتضمّن مالا تتضمّن الحقيقة من زيادة غائبة كانت الحقيقة
أولى منها استيعاباً والحقائق على أن الاستعارة المعينة من الموقّع

ماليين للحقيقة يقول الله تعالى (يوم يكشف عن ساق)^(١٧) أليس
وأحسن وأدخل مما قبله . له من قواه لو قال يوم يكشف عن شدة
الأمر وإن كان المنيان واحداً ، ألا ترى أنك تقول لمن يفتان السبي
الجد في أمره : ستر من ساقك فيه وامد يدك بيازيمك له ، فيكون
هذا القول منك أؤكد في نفسه من قولك جد في أمرك .

وتأثير الاستدارة في العواطف والتأثير يعتمد على الخيال وعلى
عرض الصور والأعمال عرضاً حسياً مستمراً ليرى المتلقى في الفاظها
من الألوان والمعاني ما يراه إذا هو نظر إلى رسم أو تهيؤ في شمال
وذلك أن اللغة وضعت في الأصل للتخبير
عن الحقائق العقلية فلو أن ما أراد المتكلم لاداء ما اختص
نفسه من الاعتدالات شعر بأنها دين ما في باطنه من قوة العاطفة
وحسرة الصور فالألفاظ دائماً في حالة تغير وجزء من ملاحقة فيبقى
المفاهيم الانسانية لذلك يحاول اصطناع لغة أخرى تسمو إلى مستوى

(١٧) البيان في ضوء أساليب القرآن / ١٩٢ .

نفسه الثائرة فيستطيع تعزيز ما فيها من آثار القوة الوجدانية
تدريجاً إلى الخيال، وإلى الصورة التي تجسم المبادئ وتنقلها إلى درجة
أرقى لتزداد صلاحاً (٨)

وقبل الاستعارة على الحقيقة أنها تفعل في نفس السامع
دالاً تفعل الحقيقة فقله تعالى (المشرك يطمع الفاضل ألم تر أنهم
في كل واحد يمتصون) (٩) المراد به - والله أعلم - أن المشرك يذمهم
في أقوالهم المذمومة المتلذذة ويملكون الحرق المتشعبة وذلك كما يقول
الرجل لخاصه إذا كان مثلاً له في رأي أو مبادئ له في كلام :
أنا في رأي وأنت في رأي أي أنت ذاهب في طريق وأنا ذاهب في طريق
ومثل ذلك قولهم نحن يومئذ مع كل ربح وخير بكل جناح ، إذا كان
تأيداً لكل قائد ومجرباً لكل ناصق .

وقيل : إن معنى ذلك تصرف الشاعر في وصفه الكلام من مدح
وعدم ، وتأييد وخرق ، وتأييد برئاء ، وتأييد وتأييد هذه الأقسام

(٨) البيان في ضوء أساليب القرآن / ١٧٧ .

(٩) المشرك ١٨٥ - ١٨٤ .

من الكلام بالأودية التشبيهية والسبيل المختلفة .

وراء الشعراء بالهيمان فيه نوط مبالغة في صفتهم بالذهاب

في أقطارها والأبعاد في غاياتها لأن تراه سمانه (يهيمون) أبلغ

في هذا المعنى من تراه (يهيمون أو يهيمون) ومع ذلك ، فالهيمان نسبة

من صفات من لا رجاحة معه وهي مخالفة لصفات ذي الحكم الرزين

والحظ الرزين .

(واستثير لفظ (الأودية) المتأصل والفنون الشعرية ، وضيق

الاستعارة (بالأودية) دون الطرق والمساالك لأن المعاني تستخرج بالفكرة

والسرورة وفيها خفاء وغموض ، فلذلك كانت الأودية أليق بالاستعارة (١٠) .

وقوله تعالى (ولتأسكن من موسى الغضب) ألاج وفي

تفسيرها عدي ، ورواية للذين هم لربهم يربون (١١) .

(١٠) السراي / ١٠ / ١٢٠

(١١) الاعراب / ١٠ / ١٢٠ .

وعلى الخائبين بالحق والعدل لا يجوز على الحقيقة وإنما يقتصر
على الصغار ، فقد شبه الخائبين بالإنسان ومثل المشبه رمز إليه بشيء
من لوازمه وهو السكون ، واستناد السكون إلى الخشب هو قرينة
الاستقارة .

وبالإضافة للاستقارة في الشواهد المماثلة تكمن في تمثيل ما ليس
بمركب حتى يظهر معاداً برزخياً ، فيقتطع السامع إلى حد المصادفة
والحيثان وذلك أشد من التأخر وأبلغ في البيان .

ورسولنا صلى الله عليه وسلم استعان بالاستقارة في كثير من
أجابه ، تقوية للمعاني وتأثيراً في السامع وتصويراً للمعاني الذهنية
والنفسية والباطنية لتقريب تلك المعاني .

أما إن أراد معناً أصعب الميامين على العلم والسرور
على تلقيه استعار له لفظاً يناسبه في الناقدة وهو " اللبن " لاشتراكهما
في كثرة الفتح ولأن اللبن غذاء البدن والعلم غذاء الروح وذلك في حديث
لابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (بيننا أنا ناعم أتيت
بفتح لبن غسوت منه حتى أتى الرق يرض من أطاقرى ثم أعطيت

فضل مصر بين الخطباء الثلاثة : ما أزلته يا رسول الله؟ قال (الحلم) (13).

فهو يستعير لفظ اللين وهو شيء مادي مطوي للحلم الذي هو

شئ معنوي، ليخبره عن صورة مرئية مطوية فيكون له الأثر البليغ

والرقع اللطيف. والجامع بينهما هو الفائدة، والاستعارة هنا أبلغ لأن

اللين يحسن والحلم الذي تكمن فيه الفائدة لا يحسن وهو نوع من الاستعارة

يطلق عليه اللغويون اسم الاستعارة الأعلية وهي التي يكون اللفظ المستعار

فيها اسماً جامداً سواء كان اسم عين يطلق - بأمل ونحوه - لأن يصدق

على كثير مثل أسد، بذر، بحر، أو اسم عين يطلق - بعد التأويل

فيه - لأن يصدق على كثير مثل عمرو، حاتم، أحمد، إسماعيل وهذه

أسم لأشخاص، إلا أنها تؤول فتجعل اسم جنس موزع لطلق ذات متصفة

بالأقدام والجماعة عند عمرو والوجود والكرم عند حاتم والحلم عند

أحمد والذكاء عند إسماعيل،

قال أبو تمام يمدح أحمد بن محمد

أبليت له المجد أبجد غاية

فيه وأكرم شعبة ونمى

إتداه عمرو في حكمة حاتم

في حلم أحمد في ذكاء إسماعيل

(13) ديوان أبو تمام، الجزء الرابع، التبريز، تحقيق محمد عبد العزيز

ومعنى هو صمد، صمد، يكرب، وإياها بمعنى به إياها، ومن
مناوذة تانها تان بالهيرة يولد بالثناء أما حاتم فهو حاتم الطائي
الجواد المعروف وأخيه يقصد به أخيه بن قيس، وهم قوم شمر
أمرهم في تلك الصفات .

واللفظ المستعار في الاستعارة الأصلية قد يكون معنى يصلح لأن يستعار
على كثير مثل النجم ، الثابتة والبلور .

وإن أراد لى الله عليه وسلم أن يقرب معنى السلام واللى
الذي هو تقريباً مادياً يكون مفعولاً جعله كالبناء الذي لا بد له من
أركان يقوم عليها ولا بد من تماسك هذه الأركان جميعاً لبقائه وتمسك
الانحياز من حوله ومن ذلك يحتمل على التشبيث بهذه العناصر
جميعاً وعدم التهاون أو التفریط في أي منها، لأن ذلك يؤدي إلى التفریط
في باقيها كلّها ، ولما أن زوايا ركن يمدد باقي الأركان فإن تدمر لبنة
واحدة هو أول الطريق لتهدم باقي الجدار كلّه فيقول عليه الصلاة والسلام
شيء واحد الشيطان : (بني الإسلام على خمس : شهادة ألا إله إلا الله
وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت) .

صورة رائعة لها في النسخة أشرف بالبحر أن أن المصنف لم يرد
المديح لا يترك شتري أمام صورة البناء المصنف على هذه
الأركان وهو ثابت غير أنه إذا تداعى أحد هذه الأركان إنهم
البناء من أوله وهذه الصورة البيانية واستدارة حذف فيها المشبه ورمز
له بأشياء لازم من لوازمه والمشيبه في هذا المثال هو البناء الذي حذف
ورمز اليه بشيء من لوازمه بكلمة الفحل المجهول في ماضي البناء
(كُنَى) .

ومو إن أراد أن الله عليه وسلم توثيق الصلات الاجتماعية وتقرير
علاقات المؤمنين بعضهم ببعض ، مشيراً إلى أهمية توثيقها وتقويتها
واسطورة تشديد بها بالطبيعة لما فيها من ضرر على الطرفين ، وجدناه
يأتى بذلك في صورة الاستدارة فيقول (لا يملك الرجل أن يهمل
أبناء غوي ثلاث ليال بلقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وغيرهما
الذي يبدأ بالسلم (10) .

فالتعبير في الأصل ، هو تشبيه المديح بالأخ لشرط الحارسة
اليه ثم أيهى التشبيه به على أساس ما يجر بالاستدارة التورية
اللامبية التي يكون اللفظ المستعار فيها اسماً جامداً كالأخ .

(10) بداية الباري / ٢٧٧ .

و قد ثبت أمر يؤيد نفس المعنى وأنه تستعمل الاستشارة ،
(من عاقبة رأي الله عندما قالت : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : - الرسم ما لقيه بالشر ، تقول من رخص رخص الله وسكن
قطعتني قطعه الله ، قالوا : إنما تولى من رخصني وهو الله
الرسم الذي هو التوبة والنسيب فشيئا عليه إرادة والسلام بالحق
ثم إن المشبه به الذي هو العبد ، وأثبت لازماً من لموازته للمشبه
وهو الرسم ، وهو استشارة بالكفاية .

كما أن الحديث كله يمكن أن يكون استشارة تمثيلية وهي :-
اللفظ المركب المستعمل في غير ما وضع له لصفة المشابهة مع قرينة
ناشئة من إرادة المعنى الحقيقي . فالرسول صلى الله عليه وسلم يشبه
حال الرسم وما هو عليه من الانتشار لافاقة والتربيعات من القطيعة بحال
مستجير يأخذ بشيء المستجار ، ثم أدخل صورة حال المشبه به
وصدقه واستدل به حال المشبه ما كان مستملاً في المشبه به من
الانحطاط بقرائن الأحوال وبما بهذه الصورة المسبوبة والتي فهم البشر
وفي أماكن في نواحيهم .

وأما كانت الرتبة لا يرتبط اليها إلا بالحيات والمواقفة عليها
والشجر على مشاقها وكظم الغيظ والحنو والحلم والصدقة والاحسان
والتي الحسنى ومقاومة النفس في حبيلها وإلى المشيوات وقهرها وغير

ذلك من الأمور الصعبة . والنار على غير ما ذكرنا ، فإتقوا
طريق الشهوات المحرمة بالمر والزنا والغيبة والنميمة والملاهي
وما أشبه ذلك ، وكل هذه الأعياء تحبها النار وتميل إليها ،
وارشابها يوصل إلى النار .

وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا أشد رغبة في
الجنة وأظم اشتياقا إليها وكانوا يرمون من النار ويؤجسون ذكرها
لذلك أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يوصل ذلك المعنى إلى
نفسهم ويوضح الطريق إلى كل مندا ، فوجد في الاستعارة الإيجاز
والتمثيل ، فدعى الجنة والنار ببستان وأسيا يمشرون ومذبح المشيه به
ورمز له بشئ من لوازمه بالنظر الفناء المجهول فقال (حقت الجنة
بالمنارة وحقت الجنة بالشهوات) .

اللمة موجزة بليغة نصيحة تامة متناهية تمتد من جوامع
الكلم وديع الالهة التي أوتينا الرسول صلى الله عليه وسلم . استعارة
استطاعت أن توصل المعنى إلى النفس فتؤثر فيها تأثيرا لا تقوم مقامه
الحقيقة فبحالها أتى من أدنى سموت المعنى للمسامح تصويرا مؤثرا في
النفس يبعثها من حياة الوجد والمادة التي يتهاون عليها الانسان
كما يتهاونك الزايش على النار التي تتراعى له في شرب جميل وفسي
بأخيرا سم وصاف .

وهذه الجنة التي هي أصل كل مؤمن وتلك النار التي هي نهاية كل كافر مستتر، وفي حياته كلما حل الله عليه وسلم برغبته من الجنة ويوضو الطور إليها ويخرج من النار وينتقل من ارتكاب ما يكون إليها نفسه يصير ذلك ويشتد به تزييداً ويشتد به تشديداً ويضو عليه من منات القائن الحسن، ومن الكلام والاحتجاج والشكوى فيقول: (حاجت الجنة والنار فقلت النار أوشرت بالعتيرين والتجبرين وقالست الجنة فقلت لا، والجنة لا أضياء النار وسقطتم وفترتهم فقال الله للجنة: - إنما أنت رحمتي أرجم بك من أسماء من عبادي وقال للنار: إنما أنت عذابي أمذب بك من أسماء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملأً) (١٥٦).

الجنة والنار من منازقات الله القائمة الجادة التي لا تنال ولا تبين أحوالها من رتبة، لنطق من امتاها بأصناف البشر المختلفة وهذا لون/ألوان التمييز سماء سيد قطب، التشخيص، وهو يمثل نسج خلق الحياة على المواد الباردة والظواهر الطبيعية وهذه الحياة ترتفع فتصبح حياة إنسانية وتبوء هذه الأسماء كل مواد آدمية والحاجات الإنسانية تشارك بها الأسماء وتأنف عدم وتمطى.

(١٥٦) زاد المسلسل ١ / ١٥٦.

(١٦٦) التصور الشئ في القرآن / ١٦٦.

النَّارُ في اعتبارها والجنة في استرجاعها غيرتا بإيمان
بمميز بصفة القول والاسترجاع وذلك بهذا المعنى بأشياء لازم له من
الاسترجاع والمعاد المعنى وهذا ما مرنا أنما أسلفنا بالاستشارة الحكيمية
أو الاستشارة بالفتاوى والمراد بالكناية المعنى اللغوي وهو البناء .

وبهذا التفسير لا تترك صورة العجدة تبارح خيال القارئ
وتظهر وهو ينظر إلى الأصناف من المتكبرين والمتدبرين الذين ينفكون
النار ، فيفكر من تلك المناسبات وتأمل أصحاب الجنة الضعفاء فيجده
في ذلك الضعف ما يميزهم عن أصحاب التجر والتكبر .

بعد أن وقفنا على هذه الأمثلة للاستعارات النبوية ، تتسبب
لنا الأسرار التي الله صلى الله عليه وسلم إلى إظهار الاستعارة على
الحقيقة ومن أن الألفاظ المستعارة الموحية أصدق أداءً إذ تجعل المتلقي
يحمي بالمعنى أم لا ، أسماها فهو يلخص المعنى ويحسه ، فبالأذن إيماءات
الكمة إلى الفهم ، أما أن التجسيد الذي يجب الإيمان عقلانية فيه
زيادة في تصوير المعنى وتشابه للنقد . ولتأمل وتبين مما عفا الحديث
(إن الذين يمشون وهم يمشون ، الذين يمشون أحداً لا عليه ، وسددوا وقاربوا
وأبشروا واستعينوا بالغدرة والرفقة ربي من الدالجة) (ii) .

أمر على الله عليه وسلم بهذه الكلمات يجعل المستمع يحس بالثمين
 . ومن السلع المفقودة والروحي - وكأنه طموح يشاء ويغلب وهو بهذا التصوير
 الطليع يمدحهم من المنالاة والبالغة ، حتى غي أمر النعم ، وفي
 الفاظ الغيرة والروحة وهو من العلية واستدارة بلغة ، فهو
 على الله عليه وسلم . استعظما استعظالا صيازيًا رائعا مستنارا ،
 لتبدل على أوقات النشاط أو الفراغ من النما للطلعة كما أنه يحصل
 المستقل بأمر الآمن كالسافر الذي يتضح الطريق للوصول إلى المقصد
 ويتنه الوصول التبريم لحوات الله وسلطه عليه وعلى أوقات النشاط لأن
 هذه الأوقات هي أفضل الأوقات للمسائر فتحررتا بحث المدوامه ومجانبتها
 تقود إلى الانتعاج والنجز . وهو القائل (ان الضيق لا ظمرا أبتر
 ولا أرضا تطير) (١)

وأول ما يستترى الانتباه والنصر في عناصر الاستعارة النبوية
 أنها تستند عناصرها من الطبيعة والبيئة وفي ذلك أثر كبير لأن أسمايه
 رزان الله عليهم يرقون هذه العناصر ويحشونها ويرونها قريبة منهم
 حين ألقاهم .

(١) مجمع الأمثال - النيدانور ، أبو النائل أحمد ، بن محمد النيسابوري

فمن أن أراء أن يومئذهم إلى أن صانع المصروف يلزمه أن يتخير
 المسار للقدح في استدار لهذا المعنى ما هو مأثور في يوم محبوباً أنفسهم
 حتى تكون الصورة أقرب فيختار الناقة ذات اللبن لا قريبة العهد بالنتاج
 والصفة المائلة الضمن التي تدرّ اما بالغداة وآخر بالعصر فيتسوى
 على الله عليه وسلم :- (نسم المدقة اللينة للصني منحة والصفة الضمن
 منحة تغدو بإناء وترج بأخر) (١) وهو من قبيل قوله تعالى :- (يا أيها
 الذين آمنوا أنفقوا من ثيابكم ما كنتم) (٢) وقوله تعالى (لن تنالوا
 البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم) (٣) .

(ومن محاسن استعاراته ويدل على مجازاته أنه يشبه الاسلام
 في أول ظهوره بالمسار الخريب الذي تن أنصاره وجدت دياره لأن
 الاسلام كان على هذه الهيئة في أول ظهوره ثم استقرت قواعده واستقرت
 مبادئه وكثر أنصاره وضرب جرائه . ويجعل ذلك غريباً أي يفسد
 البر مثل الحال الأول في قلة العاطلين بمراعاة والتأمين بوظائفه
 أنه واليه باله تنحى سحابة وتدرس آياته . وأما أول أسفار وترحال

(١) بداية الباري / ٢ / ١٧٠

(٢) سورة البقرة / ١٧٠

(٣) سورة آل عمران / ١٨٠

فكان بايعاً أن يستدير للدين لفظ الذبيحة وإنه يقول (بدأ الاسم
غريباً ومجهولاً غريباً) (١٢).

ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم (الحلال بين والحرام
بين وبينهما أمور مشبهات ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه
وحرامه ومن رغب في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى
يوشك أن ينقذ فيه . ألا وإن لكل طعم حرام ألا وإن من الله طعمه
ألا وإن في الجسد شفة فإذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت
فسد الجسد كله ، ألا وهي الذبيحة) (١٣) .

فلاستدارة لنا منتومة من البيئة العربية التي تقوم غالباً على
حياة الرعي والصيد والترحال والرسول صلى الله عليه وسلم يناظر العرب
باعتدالهم ويحدثهم بالأسلوب الذي يدرسه ولا يخالف أنظارهم . قال
المكان الذي يحويه الحريم من دخول النار إليه لأنه خاص به وكان للملوك
والأمراء قديماً مناطق محترمة وكان من يحرص على التمسك أن يبتعد عنها
خشية أن يؤدي القرب منها إلى الرقوع فيها والحص لله وهو المحرمات
التي يمنع المؤمنين من شربها وشبهات المحارم بالأرض والموتى الذي يحويه
الحريم وحذف المشبه به من أسلوب الاستدارة الثانية .

(١٢) المجازات النحوية / ٢٢

(١٣) مقدمة الباري / ١ / ٢٠٠ .

ومن ذلك أيضا قوله عليه الصلاة والسلام في كلامه للأنبياء
(أنتم السفار والناس النصار) (١) وهذا صواب قريب المأخذ لأنه عليه
السنة والسلام أراكم أنتم أقرب الناس مني وأبعدهم احتمالا عليّ فأنتم
أقرب الناس مني وأبعدهم مني يعني ذلك قوله : - فلان بضامة فمن كثرة
من التبريد منه والاختلاف به تشبهها ببضامة الثوب التي تلي الجسد وتكون
أقرب منه وهم بالأنبياء يترافون في ذلك ويحيزون بين النصار والنصار فحاصلهم
بما ألفوا وحدثهم بما مروا .

و في التأمل على الله عليه وسلم (الاسم يوجب ما قبله) والاسم
أن الجبّ أو اختزان السنام من أصله فكأنه عليه الصلاة والسلام يلقب بالاسم
ستأسف لك أنت تقدم للناس قبله - في لا يدع له جناية يحذر عاقبتها
ولا مبرة يسوء الحديث عندا بل يحقّ على ما تقدم من السوءات وما أسوأ
من الدورات . وهم أخذ الأهل المارنيين بأحوالها المنتهدين عليها في كل
أحوالهم نداء بالاستشارة مقلدة بها . وهذا دأبه في كل تشبيهاته
واستعاراته أن تكون قريبة مستوحاة من البنية حتى تكون أقرب في المأخذ
وأولى في الأمر .

الفصل الثالث

الكناية

الكناية لغة : هي المستر والمضام . يقال كُتبت السُّرى إذا
سُترت أو أُغفيت . وكذلك : كُنَّ يَكُنَّ قال بشر بن أبي خازم الاسدي :
ولو أني أسماء كنت نفسي

وإلى بيضاء بهتة شموع

والكناية في اصطلاح البيانين :- لفظ أريد به لازم معناه
مع جواز إرادته ، وغالبية بين المعنى الحقيقي والمجازي في الكناية هي
صلة التلازم وهي في الاستعارة صلة التماثل . وسُميت بهذا الاسم
لأن هذا النوع من الكلام يستتر معنى ويظهر غيره وجاء في اللسان (١)
الكناية أن تتكلم بهي وتريد غيره .

والكناية عدل أكثر العلماء من أبواب المجاز؛ منهم ابن الأثير (٢)

وذلك لأن اللفظ فيها مستعمل في غير ما وضع له فقد أطلق وأريد به
معنى آخر غير معناه الأصلي ومن أمثلتها :-

قال تعالى (فبين قاصرات الطرف لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان) (٣)

(١) لسان العرب ١٥ / ٣٣٣

(٢) انظر المثل السائر ١ / ١٧٥

(٣) سورة الرحمن آية ١٠ .

فقصّر الطرف كناية عن العفة، أو أن نساء أهل الدّعة يتنصرون بأزواجهن
لأن يتطهّرن لغيرهم .

ومنها قول عمر بن أبي ربيعة (٤) .

بحيدة مهوى القرط إما لنواصب

أبوعا ولها عيد شمس وشمس

أراد أن يحذّر طول عنقها فتأثّر بما دلّ عليه من عهد مهوى القرط
وهو ردّ لظول الخفق ولازم له .

وإن رشيق يطلق عليها اسم التّبيح ويذكر أن تولّد بسمومها

التّجاوز وهو أن يورث الذّاعر ذكر شيء يتجاوز ويذكر ما يتبعه
في الدّعة وينوب عنه في الدّالة (٥) .

والبيانين يسمون الكناية إلى صفة تسميات منها :-

(١) الكناية من صفة كأن تصف البهيميل بأن يده مغلولة .

(٢) (١) أو كناية عن موصوف ، وقد جمع المتنبّي الكناية من صفة ومن

(٤) الحمدة - ١ / ٢٢٣

(٥) المرجع المماثل نفسه .

موسى بن مديحه لسيده ال ولة لما ظر بيضى كلاب ، فقال :-

فمناهم وسطهم حريص

ومناهم وسطهم تيسر

ومن فى كفه منهم قنابة

ومن فى كفه منهم غلاب

ففى البيت الأول كناية عن مفة ان كنى (بعضهم حريص)

عن السيادة والعزة و (بعضهم تراب) عن المهانة والذلة .

وفى البيت الثانى كناية عن موصوف ، ان كنى بقوله (فى كفه

منهم قنابة) عن الرضا ، وكنى بقوله (من فى كفه منهم غلاب)

عن المرأة . والمقصود أن أعداء سيده ال ولة قد نجحوا أمام قوته

فكان الرجل والمرأة بمنزلة سواء .

() وقسم ثالث هو كناية عن نسبة ، قال جميل بن منير يستطير

بساخنته بشبهة :-

أما تتقين الله فى جنبى وأمى

ليه كبدى - مرى عليك تقطع

غريب مشوق مولى يادى كاركىم

وأكل غريب الدار بالشوق مولىم

ومناه أما تخافين الله في جنب محب، أو في حقه الواجب عليه . فالجنب كناية عن ذلك وأن أنت أثبت الأمر في مكان الرجل وميزه فقد أثبتته فيه .

وفي كل الأمثلة التي سقتها المراد هو إثبات معنى من المعاني لانسان أو نفيه عنه ، من طريق الكناية لامن طريق التفسير .

وبلغة الكناية تكمن في أداء المعاني وتصورها في راسمة مسورة موجبة تقرب المعاني للذات وتؤثر في النفس . كما أنها أيضا تفيد الإيجاز فهي تنقل المعنى وأما في لفظ وجيز .

ومن أغراضها أن تكون مؤيدة ، مهدية تتجنب ما ينيو على الأذن سمعه أي أن من فوائد ما التحرز عن ذكر النواحي السقيمة بالكنايات اللطيفة وإبدال ما يغمى ذكره في الاسماع بما لا تنبوه عنه الطباع أما ينزل الجرجاني في مقدمة كتابه التنايات ويورد بعض الأمثلة من القرآن والآثار والأحاديث ورد منها مثالا من القرآن الكريم قوله تعالى (أو لاستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا) (١) . فكنى بالملسة عن الجماع ان لا يخلو مشوا غالبا وروى عن ابن عباس انه قال ان الله يحب كريم يحشو ويكنى عن الجماع بالملسة (٢) .

(١) سورة المائدة / ٦

(٢) المنتخب من كنايات الأدباء الجرجاني ، الثاني أبو العباس أحمد بن محمد البصرة أولى طبعة السماعة ١٣٠٨ مصر ص ١٠٠ .

ومن أفرار الثناية ترك اللفظ المتضيق من كبره الى ما هو أجمل منه
تقولهم لمن فلان أسير واسترقى أكله ولحق باللطيف الخبير يكون بسيره
من الموت فسدلوا الى هذه الالفاظ تطييرا من ذكره بلفظة وتقولهم
للمهلكة مفازة تناؤلا بذكرها .

ومنها القصد الى الذم بلفظ ظاهر المدح تقول العرب :-
أرانيه الله أسير مَجَلًّا أو مَقِيدًا نظائر اللفظ المدح واطنه الذم (١)

والكناية في البيان النعري تقوم بدورها كاملا غير منقوصة في أسماء
الجانبي وتصويرها أدق تصوير وتزيد الالفاظ وابدال ما يفحش ذكره
ويستحيى بما تقبله الطباع وتلد له الأسماح .

فهو إن أراد صلى الله عليه وسلم أن يثبت أصحابه الصيامين عسى
الجهاد في اعلا كلمة الحق ، ويوضح لهم أن فيه طريقا للجنة وهم
أكثر الناس حمقا لها ولرائدتها جاء ذلك في كناية لطيفة تجسد المعنى
وتصوره وتنقله للذهن ، فلا يكاد يفارقه فهو يقول (أيها الناس لا تتحروا
لقاء العدو وأسألوا الله العاقبة فاننا لتيتوهم فاصبروا واعلموا أن الجنة
تحت ظلال السيف

(١) المرجع السابقة نفسه ص ١٤٠ .

ثم قال : اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب
أنازمهم وأنصرنا عليهم (١) فوسم صلى الله عليه وسلم صورة
شاعرة للجنة ومملكة تحت ظلال السيوف فلم يصر بلفظ الجماد
أو التال وباء بما يلزمه من أدوات وهي السيوف ولا شك أن هذه الصورة
كأية شافية لتعجب الجنة وإلى النفوس المشتاقة إليها رغم ما في الطريق
من مشقة وعناء ونسب.

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام (عليكم بمنقى سنة المهديين
من بعدى عنا عليا بالنواجذ) (٢) وهو صلى الله عليه وسلم يريد بتأليه
(عاشوا عليا بالنواجذ) أي أقاموا عليها وقفوا عندها ولا تتجاوزوها
التي غيرها كما أن من "عد" المبرّ بنواجذه على الشيء الذي يتأثس
فيه القطع قطعه . والنواجذ أقسى الأمور وهي أتراما وأمشاما
وقد يجوز أن يكون المراد الأمر بلزوم سنته عليه السلام، كما أن المراد
بنواجذه على الشيء الذي لا يتأثس فيه القطع يلزمه أمّد اللزوم لقوة
الموزام واستحسان اللزوم ، فلما أراد إرشادهم إلى التمسك بسنته
سرّ ذلك تصويرا دقيقا في ترتيب مجازي وهو المعنى بالنواجذ تأثست
الصورة الذهنية شاعرة مائلة ولما في النفس تسيب وفي القلب اثربانغ

(١) بداية البار / ١ / ١٤٧ .

(٢) المجازات النبوية / ١٤٧ .

وجاء في الصحيحين ما يحكيه المصنف بن سويد قال لقيت أبا نذر
بأفريقية عليه صلوة وعلى غنائه صلوة فسألته عن ذلك فقال :- اني
سأيت رجلا فغيرته بأمة فقال لي النبي :- "يا أبا نذر أميِّرتك بأمة"
انك امرؤ فيك جاهلية ، اذعانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن
كان أمة تحت يده فليضعه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكثرهم
ما يذليهم فان كثرتهم تلهيهم ^(١) ويتان أنه غير بخلا مؤمن الرسول
على الله عليه وسلم . وفي الحديث : كما هو وانى - تدبروا على
مكارم الاخلاق ، والقوام والقياس - حتى لا يرد الانسان لنفسه مرتبة
على عبده وان الكبر خير من الله والمال مال الله لكن طغى بهمهم
بينما بيانا للنعمة وإظهارا للحكمة . ولما أراد الرسول صلى الله عليه
وسلم بيان قدرته على النعم والخدم - والذين نكروهم بلفظ خولكم -
وقيل سموا بذلك لانهم يقولون الامور أى يصلونها - أتى بالكناية
اللطيفة (تحت أيديكم) كناية عن القدرة والمقدار ، انتم مالكون لهم قادرون
عليهم فكان الابهاز وكان التصوير وكان الاعجاز .

وفي الاخبار النبوية أن عائداً بجسدا للنبي صلى الله عليه وسلم يقال
له أنجسه ويكنى أبا مارية كان في يده أسفاره ، فحدا بالابل ، فطربت

(١) زاد المسلم ١ / ١٠٠ .

لحسن عداة فاسرعت في سيرها وطلبها النساء فقال الرسول صلى عليه وسلم :- (ريك يا أختيه رويدك سوف بالثوارير) .
ومعنى الحديث لا تحسن سيرتك بالعداء فان الإبل ان سميت العداء أسرعت في المشي واشتدت فأزعجت الراكب ولم يؤمن على النساء من المستوط وانما مشت رويداً أمن على النساء فجاءت عبارته فيها من التنايات أطفها وانما تسمى عن النساء بالقوارير لامر شاة :-

- أولاً : فلما دُنَّ عليه من حفظ الاجنة والوعاء كالقارورة تحفظ فيها .
- ثانياً : لاختصاصهن بالمعاف والمثالة والحسن والتجارة .
- ثالثاً : فلما فيهن من الرقة والصارمة الى التخيير والانشام كما يتسلمان الانشام الى القارورة لرفقتها . (١)

ومن كناياته صلى الله عليه وسلم التي تصوّر وترسم وتقرب المعنى قوله صلى الله عليه وسلم لأزواجه (أسرعن لحائبي أطولكن يدا) (٢) ويقصد عليه الصلاة والسلام بقوله لحائبا بي أول من تمت مضيقه موته ويرى أنه لما سمعن منه هذا القول جعلن يتذاوحن ، ينظرن أيمن أطول يداً التي ان توفيت زينب بنت جحش أول من توفي منهن وكانت كثيرة المصروف فخلص حينئذ أنه عليه الصلاة والسلام انما أراد بطون اليد كثرة الجير وبذل الواسر

(١) الأعراس ج ١ / ٢٠٧ .

(٢) المجازات النبوية / ١٦٠ .

ونفايته عليه الصلاة والسلام عن هذا المعنى بطريقين الأول : وهو أن صاحب الأكل أن يأكل ما يطعمه إلا ما شاء من الرفق والبر أن يطعم ذلك ببدن رقيق من تعطي لذلك أنما تطعم رقيق . (ومن ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام : من يعط باليد القليلة يعط باليد الطويلة) . ومن هذا القول أن من يعط خير الدنيا يجره الله خير الآخرة وأما عليه السلام بما يفيد من نفي الدنيا باليد القليلة لقلته في جنبه من الآخرة أن ذلك راقع ماض وهذا يتيم بما (١) .

ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم (المؤمن يأكل في خمس واحدة والقافر يأكل في سبعة أمم) (٢) والفرق أن المؤمن يتبع في مطعمه بما يتيم أرضه ويحفظ على الحياة وأما القافر فإن كل شيء أن يتبع في الحائل فهو عبد للذات كانه في طاعة شهوته . فالعبارة الأولى كناية من التمام والثانية كناية عن النهم وهما صفتان والتصرف المذكور في الممارتين نبي من قسم الكناية عن الصفة .

والحديث بهذه العبارة الجامعة يشير إلى أن من شأن المؤمن الاعتناء بالمعاني الروحية والأفكار المشروعة أكثر من العناية بالماديات

(١) المصنفات النيسورية / ١ / ١٠٠ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة باسم المؤمن يأكل في خمس واحدة .

والتأخر به كما نلف وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن دعوة
السلام تجيئ دائماً من مواطن الرسالات ودعوة الحرب تأتي من جانب
الذين لا يؤمنون إلا بسلطان المعنوية .

كما جاءت الكناية النبوية مسورة ، جاءت كذلك مهذبة تأتي باللفظ
اللطيف الشريف تعلمه من المستتر المستهجن .

ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال (من كشف قناع امرأة وجب
لها المهر) فهو لا يفتح بالقول عليها ومبايعتها بل يكفي عنده
يكشف القناع لانه يكفي في تلك الحال غالباً والحرب تقول ^{في} غفة الانسان
ما واجعت مؤمنة عنده قناعاً (١) .

وروى ابنه أن امرأة أتت الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت: ان رفاة
طلعتني وتطاعني وتزوجت بعبد الرحمن بن الزبير وليس معي الا مثل مدينة
الشوب فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم . تريدين أن ترجعي الى رفاة .
لا - حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتي (٢) .

وفي هذه العبارة الكناية من جلاوة الجماع بجلاوة العسل وكأنه أنهر

(١) الكنايات = الجريبات ص ٦ .

(٢) المييزات النبوية / ٢٤٠ .

المرأة والرجل بالحسلة المستقيمة في أرهما فلا يصح الحكم عليهما إلا بعد
الزوجة، منما . وجاء على الله عليه وسلم باسم الحسلة مصغرا لمر لطيف
في هذا المعنى وهو أنه أراد فعل البطاع دسمة واحدة وهو ما تعلق به المرأة
للزوجة الأولى ولجعل ذلك بمنزلة الأواف القابل من الحسلة من غير استئثار منما
ولا محاولة لألما فأوقع التصغير على الاسم وهو في الحقيقة للفعل .

ومن هذا الباب أنه على الله عليه وسلم قال (إذا أتى أحدكم

الزائعا فاستقبل القبلة ولا يؤلفها قهبره ولكن شترها وشربها) (١)

ولفظ الزائعا في الحديث تنبئة عن البراز أو ما يخرج من البطن ،

والضاعف في الأصل اسم المكان المنخفض من الأرض وكانت العرب إذا أرادت

قصاء حاجتهم أبعدوا عن الحيون التي منخفضة فسمي بذلك لكثرة

استعماله فصار بمنزلة المروء . وجاء في لسان العرب: ((والزائعا اسم

المذرة نفسها لأنهم كانوا يلقونها بالبطان وقيل : لأنهم كانوا

إذا أرادوا ذلك أتوا الزائعا وقضوا الحاجة . فقيل لكل من قسى حاجته
يكنى به من المذرة وفي التزيل (أر جاء أحدكم من الزائعا

قد أتى الزائعا / أو لاصتم النساء فلم تجدوا ماء فتيموا سيذا طيبا) (٢)

وفي الحديث أن رجلا جاءه فقال يا رسول الله قل لأهل الزائعا يحسنوا مخالطتي

أراد أهل الوادي الذي ينزله (٣) .

(١) زاد المسلم ١ / ١٠٠

(٢) سورة المائدة ١٠٠

(٣) لسان العرب ١٧ / ١٠٠ مادة غبر .

الفصل الرابع

التصريح

التصريح لغة - ضد التبريح ، يقال عرفت لقلاً ونحوه
إذا قلت قولاً وأنت تنفيه . وفي المعارض في الكلام : التبرية بالشيء
عبر الشيء وفي المثل وهو حديث مشير عن عمران بن حصين ، مرفوع
أن المعارض لفدوحة عن الكذب . أو لغة والمعارض جميع معارض .

والتصريح في خطبة المرأة في عتبتها أن يتكلم ^{الرجل} بكلام
يشبه خطبتها ولا يصرح به وهو أن يقول لها : إنك جميلة، وإن
نيتك لنية ، وإن النساء لمن حاجتي .

والتصريح في الاصطلاح : المعنى الطاهر عند اللفظ (١) به وهو أن
يعال بالكلام إلى جانب يفهم بالمسياق والقرائن ، ولا يفهم معنى التصريح
من اللفظ .

وفي الحديث (لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلا ثلاث كذبات
ممتنع منهن في ذات الله عز وجل قوله (وإني سقيم) وقوله (بل فعله
كبرهم هذا) قال بينا هو ذات يوم ومارة إذ أتى على جدار من الحاضرة

(١) الطراز ١ / ٣١٠ .

تقبل له أن هذا الرجل منه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه
فقال يا هذا فقال من هذه ؟ قال . أختي سارة فأتى سارة
فقال يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وإن هذا
سألني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني فأرسل اليه
فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ فقال ادعى الله لي ولا أخسر

ندعت الله فأطلق ثم تناولها الثانية فأخذ مطها أو أشهد فقال
ادعى الله لي ولا أخسر فدعت الله فأطلق ندعا بعض حبيته
فقال . أنك لم تأتيني بإنسان وإنما أتيتني بشيطان فأخذهما
فاجبر فأنته وهو قائم يملأ فأوماً بيده مهيم^(٢) قالت .
رد الله كيد الكافر أو الفاجر ففى نحسه^(٣) .

التدريش الذى ورد فى الحديث نذوحة عن الكذب كما قال عليه
السلام . السلام . فتقبل أينما أواجه عليه السلام حينما دعاه فمسه
للخبر مهيم للاختال بأصنامهم (أنى سقيم) ولم يكن يدس سرى
بل أراد دنى سقيم مريض القلب بسبب أطباقكم على الكفر والشرك
وقوله عليه السلام بل فعله كبيرهم) عندما مثل "أنت فعلت

(٢) مهيم . ما الخير .

(٣) زاد المسلم . ٢٧/٢ .

عذا بالاعتناء يا ابراهيم) عندما وجدوا مكترة الا كبيرها
جاء رده على وجه التذكير والاستهزاء والسخرية بذلك ~~يكونون~~
~~من وجهين~~

(أحمد ما أقسم لهم يرد نسبة الفسل الى كبير الاصنام
وانما قصد تقريره لنفسه باثباته لها على رمز خفى ومكان
تدبرنى يلغ به التزام الحجة لهم والتسفيه لعلوهم ، لأنه قال .
يا خفاء القول ، يا حمال البرية ، كيف تريدون عالا ~~يعلمون~~
ان مثل ، ولا ينطقون ان كُلم ، ~~وذلك~~ شريكاً لمن له الخلق
(الامر ؟ فضع قوله .) فاسألهم ان كانوا ينطقون)
موضع هذا .

ثانيهما . أن يقال أن كبير الاصنام غلب لما عبد منه
غيره من هذه الاصنام الصغار فكبروا ، فخرى ابراهيم بذلك أن
يستوى بهم في كونهم قد أشركوا في العبادة من هو دون الله
وأن من دونه مطلق حقر هو مخلوقاته ، فضع هذا الكلام
القاحل ما أقول به ، وعظيم ما تلجأ به من عبادة غير
الله وهذا الشريف لم يدل عليه اللفظ بل دل عليه الميزان
شرا من ^{الحوال} (١).

(١) البيان في ضوء أساليب القرآن - ٢٧٨ .

وقوله عن سارة أنها انتحيت ، لم يكذب فيه وإنما أراد أنها انتحيت في الإسلام وقوله صلى الله عليه وسلم لسم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام الا كذبات ثلاث لا يقصد به الكذب المذموم وإنما قصد به التبرير .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً فظناً كثيراً ما لجأ الى العارضة في محاوراته ومداوراته ومداولاته قالوا لما خرج للقاء قريش في موقعة بدر ترك قريشاً من بدر وركب هو ورجل من أصحابه حتى وقفا على شيخ من العرب نسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بينهم فقال الشيخ لا أخبركما حتى تخبراني من أنتم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أخبرتنا أخبرناك فقال أو ذاك بذاك ؟ فقال . نعم ، قال الشيخ فأتته بلقي أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فان كان صدقني الذي أخبرني فهم اليوم مكان كذا وكذا (للكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا فان كان الذي حدثني صدقني فهم اليوم مكان كذا وكذا (للكان الذي به قريش) فلما فرغ من خبره قال . من أنتم ؟ فرفى له الرسول الرفى بما وعد ولكنه أجاب اجابة ذكية فضاضة تحمل كثيراً من الوجهة وذلك

إذ قال في إجمال مدهش (نحن من ماء) وأدخل الشيخ في
سيرة قلند وتردد وتركه يردد متاثلاً . ما من ماء ؟ أم من
ماء المراق^(١) .

والتعريض قد يكون بالانكار منه ما يروى عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه أنه كان يخطب يوم الجمعة فدخل عليه عثمان
بن عفان رضي الله عنه فقال له عمر . أئمة ساعة هذه ؟ فقال
عثمان . يا أمير المؤمنين انقلبت من أمر السوق فسمعت النّساء
نما زدت على أن توضحك فقال عمر . والوضوء أيضاً ؟ وقد علمت
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا بالنّسل .

فقلوبه . أئمة ساعة هذه ؟ تعريض بالانكار عليه لتأخيره

عن المجيء إلى الصلاة وترك السبق اليها وهي من التعريض المعرب
عن الأدب وقد فهم التعريض من جهة أمور خارجة عن اللفظ من نحو
وقت السؤال وطال المسئول عنه فايراد السؤال عند تحقق هذه
الأحوال هو المعنى بالسياق وقرائن الأحوال وقد يجيء الرسول صلى
الله عليه وسلم بالتعريض ضرباً للأمثال وذكرنا للأغصان في جملة المقال
ومن ذلك ما رواه البخاري مسلم عن عدي بن حاتم رضي الله عنه

(١) الأغصاني - دار الثقافة ببيروت ١٩٥٥ ج ٤ / ١٥٤ .

قال = لما نزلت هذه الآية (وَاكْلُوا وَأُشْبِرُوا حَتَّى يَسْمُنَ الْكُفْرُ الْيَهُودَ)
 (الابيض من الأسود من النجر) عدت الى غاليين أحدعما أمود
 والآخِر أبيض قال فجعلتهما تحت وسادتي . قال فجعلت انظر اليهما
 فلما تبين لي الابيض من الاسود أمسكت فلما أصبحت غدوت على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بالذي سمعت فقال
 (إن كان وسادك لمرضا) وفي رواية أنك لمرضى القفا) كنى
 بالوسادة عن النوم لأنَّ النائم يتوسد أي أن نومك لطول كثير .
 وقيل كنى بالوسادة عن موضع الوسادة من رأسه وعنقه بتشبهه
 له الرواية الثانية فإن عرض القفا كناية عن السمن وقيل أراد
 من أكمل من المبع في نومه أصبح عرض القفا لأن الصرور لا يؤثرونه .

ويقول الدكتور عبدالفتاح لاشين (فالوساد العرض في قول الرسول
 كناية عن قلة فهمه وعرض القفا يستلزم قلة الفهم وتسمان الكياسة وعدم الفطنة) (١) .
 والتعرض أخفى من الكناية لاعتماده على السياق دون اللفظ لذلك كان
 له الأثر في النفوس لأنه يعين صاحبه على إخفاء ما يريد من غاب أو نقد أو حوال
 أو شكاية على الحاضرين حتى لا يندم مراده إلا من يقدم بالتعرض كما رأينا نسي
 قصة سيدنا عثمان وإنكار سيدنا عمر عليه . عليهما رضوان الله . ونسي
 قصة عدى بن حاتم مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

(١) البيان نسي ضوء أساليب القرآن / ٢٧٢ .

أثر الحديث النبوي في فنون الأدب

الفصل الأول

موقفه صلى الله عليه وسلم من الشعر

نشأ الرسول الكريم ملوثاً بالله وسأله عليه في بيئة عربية شاعرة ،
اعتمدت على الشعر في تسجيل مآثرها وبزورها وخصوماتها والدفاع عن
حقوقها والفخر برجالها وقبائلها وكانت بيئة تتذوق الشعر وتشده وتنفاه
وترويه فكان لابد له وهو العربي الفصيح أن يتأثر بهذه البيئة وأن يتذوق
كلاهما الجيد ويمجبه ويمعز فيه مع الوافدين اليه ويؤثر مآلهم دعوته
وأرضى مكارم الأخلاق .

والشعر في صدر الاسلام قبل مزدهرا ولهم بصحيح أنه توقف
أو ضعف كما ظن بعضهم أشال ابن خلدون^(١) الذي يقول في مقدمته
(ثم انصرف العرب عن ذلك أول الاسلام بما شغلهم من أمر الدين والنسوة
والوحي وما أحدثهم من أسلوب القرآن ونظمه فأعرضوا عن ذلك وأونس
الرشاد من الطلعة ولم ينزل الوحي في تعويم الشعر وحشره وسمعه النبي
صلى الله عليه وسلم وأثاب عليه فراجعوا - ينشد الى ديوانهم منه) .

(١) المقدمة طابعة مطبوعى محمد . مصر ١٩٤٠ .

فهو يهمل وقوفهم وانصرافهم عن الشمر لانشغالهم بالدين
والنبوة والوحى وهذا بالتابع لا يصدق على المشركين لانهم لم يشغلوا
بالدعوة والمعروف أن جمهور القبائل العربية إنما دخل في الاسلام
بعد فتح مكة في العام الثامن للهجرة . وابن خلدون ينقض ما
قاله في أول كلامه بما قاله في آخره من أن الرسول صلى
الله عليه وسلم سمح الشمر وأثاب عليه .

كما أن أشعار الجاهليين التي عازلوا فيها نقض الدعوة كثيرة
تتلى بها كتب الأدب والأخبار أما أشعار المسلمين الذين كانوا
يرتدون بها على شعراء مكة وغيرهم من الخصوم ذائد ابن ومدا فعين
أمثال حسّان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله ابن رواحة فلا تقل
عن أشعار خصومهم .

والشمر غلب على حياة العرب حتى وصفوا القرآن بالشمر
وهذا الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعراء حين راع القرآن شيالهم
بمروة الحية وأمّاله الشاخسة وألفاظه المومية وفواصله الشافية

وَأَلْهَمْنَاهُ الْمِذْبَاحَ ، فَتَالُوا (شاعر فترى به ربب العنون) (١) نجاء
رَبِّهِ التَّوْرَانَ الْكَرِيمَ :- (مَا عَلَّمْنَاهُ الشَّمْرَ وَمَا يَنْفَعُ لَهُ أَنْ هُوَ
وَلَا ذَكَرَ وَقُرْآنَ الْكَرِيمِ) (٢) نفى صفة الشمر عنه ومن ملغى عليه
أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ وَجَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْكَرِيمِ (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ
الزَّالِمُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَنِي
مَا ظَلَمُوا ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) (٣) .

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ التَّبْوَى : (لَأَنْ يَمْتَلِقَ جَوْادٌ رَجُلًا تِيحًا يَرِيه
شَيْرَ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِقَ شَعْرًا) (٤) .

وَمِنْ تِلْكَ الْآيَاتِ وَذَلِكَ الْحَدِيثِ جَاءَتْ شَرْيحةُ إِصْفَارِ الْعَرَبِ لِلشُّعْرِ
فَوُجِدَ فِي الْإِسْلَامِ وَأَعْرَاضِهِمْ عَنْهُ كَمَا ظَنُّوا يَنْفَعُهُمْ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَمَى مِنْ تَوَلَّى الشَّمْرَ وَذَكَرَهُ بَلْ لَمْ يَذْهَبِ آمُرُونَ إِلَى أَنَّهُ كَسَرَ الشَّمْرَ

(١) سورة البقرة آية ١٧٧

(٢) سورة يس آية ٦٨

(٣) سورة الشعراء ٢٢٦ - ٢٢٧

(٤) زاد المصمم ج ١ / ٣٥٠ - الأديب الجرد ١ / ٣٧٧ .

ومعهم، وأنه صلى الله عليه وسلم كان لا يقيم له وزناً، وأنه كان يتشبه
بالبيت المكسور، على عكس كثير من الناس الذين يحفظون الشعر ويروونه
فيقول مدافع صادق الرافعي (١) (فإنه على كونه أضع العرب إجماعاً،
لم يكن ينشد بيتاً تاماً على وزنه، إنما كان ينشد الصدر أو العجز
فحسب، فإن ألقى البيت كاملاً لم يصح وزنه بمال من الأحوال وأخرجته
عن الشعر فلا يلتزم على لسانه ، وأورد أمثلة على ذلك بقوله أشد
مرة صدر البيت المشهور للبيد وهو قوله :-

ألاكل شئ ما خلا الله باطل

فصححه ولكنه سكت عن مجزه :-

وكل نصيب لا محالة زائل

وانشد البيت السائر لطرفة على هذه الصورة :-

ستبدى لك الأيام ما كنت جامداً

ويأتيك (بن لم تزود) بالأخبار

وانما هو :-

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

(١) أبحار القرآن ١٢٢ - ١٢٤ .

وأشدد مرة بيت الحيات، بن مرداس فقال :-

أترجل نهبي ونهب المبرح بين الاترع وهيئته

فقال الناس :- بين هيئته والاترع (ثمأدنا عليه الملاق والسلام :-

(بين الاترع وهيئته) ولم يحتم الوزن) .

وذهب إلى ذلك الرأي الدكتور بكره شيخ امين (١) واستعمل نفس

الامثلة التي أوردها الرافعي .

إلا أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لم يكن يتخرج من الشجر
ويتألم بالتدبر الذي هنته كثير من الناس ولم يكن بمستطيع أن يفعل
ذلك ، فالشجر سلاح ماض من الأسلحة المربية التي لا يستغنى عنها
ماجيد دعوة وهو كتاب الجاهلية وديوان أخبارها ، والجاهلية لا تزال
قوية حياسة ولا يزال كثير من رواياتها أحياء (٢) فالشجر كان سلاحاً
بنته الرسول صلى الله عليه وسلم على المشركين وهو النازل لحسان من
الغطاريف على بني عبد مناف فوالله لشجرة أشد عليهم من وضع
السهام في غلب الليل وتحفظ بيتي فيهم فقال حسان والذي يحلف

(١) أدب الحديث النبوي - ابعة ثانية دار الشؤون ، ٧٠ ، (مصر ١٠٧٠

(٢) تاريخ النقد الأدبي - اء احمد ابراهيم دار الحكمة ١٣٧٠ بيروت ٢٨٠

بالحق نبياً لاسلك منهم سلك الشعرة من العجين ثم أخرج
لسانه فرببه أربعة أنفه، وقال والله يا رسول الله انه لم يزل
الذي أتى لم وضعفه على ظهر لقلته أو على ظهر لقلته فقال النبي
عليه السلام أيّد الله حسناً في وجهه يوم التدرج (١) .

وفي غير الاستمانة به في شعر دعوته فقد كان عليه السلام
يستشهد الشعر ويستزيد منه وفي ذلك الشعر المعروف في استشهاده
حين استسقى فسقى - يقول أبي طالب :-

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ثم قال اليتامى عصمة للإمام

يطيق به اللآلئ من آل ناه

فهم عنده في نسمة وفوا

وفي الحديث جاء عن الشريك قال استشهدني النبي صلى الله عليه
وسلم شعر أمية بن الصلت وأنشدته فأمد النبي صلى الله عليه وسلم

(١) العقد الجديد ٥ / ٢٨

(٢) دلائل الأعيان - البرجاني - ج ٢ - مائة المسجعات ص ١٤٠ .

يقول فيه فيه . . . في أشدته مائة قافية فقال : ان كان لیسلم
وفى رواية أخرى قال : هذا رجل آمن لسانه وفقر قلبه . وأما
كان شديد الحقد على النسوة الإسلامية برغم تمنّاه وامتقانه ،
في الآله الواحد في العالمية ، ويؤمن ببعض المؤمنين (١) أنه
كان يتصور أن يكون صاحب الرسالة بدلا عن محمد صلى الله عليه وسلم
فعلى الرغم من كثره ومقداره على الإسلام إلا أنّ الرسول صلى الله
عليه وسلم كان يحبب بشعره ويتذوقه .

ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القتلى يمشون
بصدر مصرعين قال أليس بكر رضى الله عنه (لو أن أبا طالب حى
لحلم أن أسياننا قد أهدت بالأنامل وذلك لقول ألى طالب :
كذبتكم ربيات الله ان جدد ما أرى

لتقتبس أسياننا بالأنامل

وينتهي يوم في الدوزخ المم

نحو الروايات في طريق . . . لاجل (٢)

(١) - الأغاني ٤ دار الثقافة ١٤٠٧ هـ

(٢) - لائل الاعجاز - ٢٢٩

كما أنه صلى الله عليه وسلم كان يتذوق المصير ويخوض فيه
مع الوافدين الذين أسلموا فيروز عن أبي حاتم عن أبي بصير
قال : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك يا رسول
الله ؟ قال نعم أنشدك :-

شركت القيان وشركت القيان

وأزمت تملية وأبتهمالا

وكررت الشقر في حوصلة

وشققت على المشركين القتالا

فيا رب لا أقبلن عفتي

فقد بيت أجلي ومالا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم ربح البيع ربح البيع كما أنه أنشد
بيت طرفة :-

مبتدئ لك الأيام ما كنت جاهلا

فقال هذا من كلام النبوة .

ومن ذلك حديث النابغة الجعدي ، قال :- أنشدت رسول الله صلى
الله عليه وسلم قولتي :-

بلغنا السماء مجدا وجودا ومجودا

وانما لترجر فوز ذلك مظهرنا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الى أين يا أبا ليلى ؟ فقلت
الى الجنة يا رسول الله . قال : نعم ان شاء الله فلما أشده :
ولا خير نبي علم اذا لم تكن له

بواكير تسمى : نوره أن يتكادرا

ولا خير نبي علم اذا لم يكن له

علم اذا ما أ - الأمر أصدر

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لا فحق الله فإلك فيمن
يصدق يزعمون أنه عاصر ثلاثمائة عام ولم تسقط له سن حتى مات (١).
ويروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال "الشر كلام من كلام
الحرب ينزل وتتكلم به أي نوابيها وتسل" به النفاي بينها (٢).

ويروى عن أسما بنت أبي بكر رضى الله عنها قالت صر الزبير بمن
المقام رضى الله عنه بمكة . وأما النبي صلى الله عليه وسلم
وسان ينشد ثم فقال : مالي أراكم غير آذنين لما تسمعون من شر

(١) جمهرة الشجر والحرب في البداية والايام تأليف ابو زيد محمد بن ابي الخطاب
القرشي - تحقيق علي محمد الباز - طبعة أولى القاهرة ١٩٦٧ ص ٣٣

(٢) النصف ١ / ٣٥ .

ابن القريظة لقد كان ينشد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيمن استماعه . ويجوز شوابه ولا يشتغل عنه اذا أنشده (١).

ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحنن من الشعر لما سمع
الصحابة بإنشاده في مسجده فتحدثنا كتب الأئمة أن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه مرّ بحسان وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانتهره عمر فقال حسان قد أنشدت فيه
من هو خير منك فانطلق عمر (٢).

وفي رواية أخرى أن عمر أخذ بأذنه وقال أرغاء كرفاء البكر
يقال حسان يعني عنده يا عمر نواله لتعلم أني كنت أنشد في هذا
المسجد من هو خير منك فلا يغير علي فقال عمر : صدقتا (٣)
وكلام حسان يثير اليأس الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان
يكره انشاد الشعر حتى في المساجد وقول عمر رضي الله عنه يؤكّد ذلك .

(١) الاغانى - دار الثقافة - ٤ / ١٤١٦ هـ

(٢) الاغانى - دار الثقافة - ٤ / ١٤١٦ هـ

(٣) المعجم - ١ / ٢٤٨ هـ

أما علمه - عليه الصلاة والسلام بالشعر ، فلا يختلف فيه اثنان
يروى أن سودة أنشدت :-

عدي وتيم تبتغي من تحالف .

فطنت عائشة وحفصة رضي الله عنهما أنها عرفت بهما وجرى
بينهم كلام في هذا المعنى فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم
فدلل عليهما وقال :-

(ما ولكن ليه في عديكن ولا تيمكن ، قيل هذا وانما قيل في عدي
تيم وتيم وتيم . تمام الشعر :-

تخالت ولا والله تبسط تلعة

من الأرض الا أنت للذل عارف

ألا من رأى المهدين أو ذكرنا له

عدي وتيم تبتغي من تحالف^(١)

وروى الزبير بن بكار قال مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه أبو بكر رأى الله عنه يردل يقول في بعض أزمنة مكة :-

يا أيها الرّجل الصّول رحله

حالا زلت بال عبد الدّار

(١) دلائل الأعيان ٢٠٢ .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبابكر! هكذا قال الشاعر:

قال : لا يارسول الله ولكنه قال :-

يا أيها الرسل المرسول رسلك

فلا سألت عن آل عبد مناف

نقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هكذا كنا نسميها (١).

وإن قال قائل إن كانت هذه هلال الرسول صلى الله عليه وسلم من

استحسان للشعر واستشاد له ومعرفة به وتذوق بحيدته واستحسانه

سلاحاً من أسلحة الدعوة فما سبب الزجر في حديثه صلى الله عليه

وسلم "لأن يمتلئ جرير على قيسا الخ الحديث، قلنا

له : الزجر إنما هو لمن أقبل على الشعر وتشاغل به عن تلاوة

القرآن والذكر والعبادة ، فالمكره هو الشعر الذي يملأ الجوف فلا

يكرن فيه قرآن ولا تسبيح ولا غيره . فأما من كان في جوفه القرآن

والشعر مع ذلك ، فهو خارج من قوله صلى الله عليه وسلم "لأن يمتلئ ، الخ"

كما أن بعضهم حمل هذا الزجر على الشعر الذي يحكى به

النبي صلى الله عليه وسلم ونسب إلى أن الذي يحكى به النبي صلى الله عليه

وسلم وأبو بكر بن عمر بن الخطاب أو كلمة واحدة كان كفرا . من ذلك ما
أورد في القرشي قائلا :-

(وأخبرنا محمد بن عثمان ، قال : أخبرنا الحسن بن راشد الجعفي
عن عائشة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم من جملتهم
فالممنه مكان كملّ وجاء جبانته لحنة) (١) وأما إذا كان المالك
القرآن والذكر عليه فلا يمتلئ خوفه من الشعر ، قيل لعائشة : إن
أبا هريرة يقول لأن يمتلئ خوف أحدكم .. :...إلى الحديث) فقالست
عائشة يرسم الله أبا هريرة ، حفظ أول الحديث ولم يحفظ آخره إن
المشركين كانوا يهابون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :- لأن
يمتلئ خوف أحدكم قبيحا يريه خير له من أن يمتلئ شبرا مهباجا رسول
الله (٢).

وأخرج الطحاوي عن الشعبي ، قال كنا جلوسا ببناء الدمية مع أناس
من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم فكانوا يتناشدون الأشعار
فقال رجل ضميم : يا ابن الزبير إن رسول الله اتماه عن الشعر الذي

(١) جمهرة اشعوار الصربي ٢٩

(٢) الأدب المفرد ٢/ ٢٦٢ .

تؤمن فيه النساء وتزري فيه الاموات^(١).

ووصلنا صلى الله عليه وسلم نفسه ينزل في حديث له "الشعر بمنزلة الكلام : حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبح الكلام"^(٢).

وهو التامل صلى الله عليه وسلم (ان من الشعر لحكمة)^(٣). أي ليس كل شعر غواية بل منه ما يتضمن اقامة الميز والبعث على الخير . وكانت العرب تطلق الحكمة على قوة جامعة لوزانة العقل والبراءة وشرافة الحد ، ومن ثم سموا الرجل العاقل المنذب ، حكيم . وكذا يالحن الحكمة على فضل الخطاب وهو القول الواضح عند العقل والقلب ، والحكم : القضاء - فما كان أو باطلا . قال تعالى :-

(ما لكم كيف تحكمون)^(٤) وقال تعالى (أفمكم الجاهلية يفتنون)^(٥).

وقال الراغب : (الحكمة إجابة الحق بالعلم والفهم) وقال النوري فيها اقوال مضطربة وقد سما لنا منها أن الحكمة عبارة عن العلم المتعمق بالاحكام

(١) المصدر السابق نفسه

(٢) المصدر السابق نفسه

(٣) الخليل المفسر

(٤) سورة القلم / ٣

(٥) سورة المائدة / ١٠ .

المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى بتفان البهيرة وتهذيب النفس
وتحقيق الحس والعمل به والسمو عن الهوى والباطل ، والحكيم من له يد بذلك
وقال ابن دريد (كن كلمة وعظمتك أو زهرتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك
عن قبيح فهي كلمة وحكم) (١).

وقد روى عنه علو الله عليه وسلم أنه تمثل ببنتين من الرجز أحدهما :-

أنا النجى لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وثانيهما :-

عل أنت إلا أصبح دميث

وفى مسيل الله مالفيت

والذين يزعمون أنه يكسر الشعر ولا يقيم له وزناً لما شبهت بهم أنه

تمثل بها شعروا إلى أن الرجز فزعوه الحرب آمنون من الشعر بل أن الفحول

من الحرب الشعراء لا يمدون الرجز شعرا ولا الرجاز شعراء وأنهم يسمون

الرجز «عار الشعر» ويعدونه في مرتبة السجج والكلام الحادى لا أكثر لا أقل (٢)

(١) الادب المفرد / ٢ / ٢٦٨

(٢) انظر اعجاز القرآن للرافعي (١) وأدب المديت النبوة جكره شيخ أمين (٢) .

وفي ذلك يقول ابن رشيده وقد رأى قوم أن مضمر الربيع ليس
بشعر لقول النبي صلى الله عليه وسلم :
وليست بهذا دليلاً وإنما الدليل في قول النبي عدم القصد والنية لأنه
لم يقصد به الشعر ولا نواه فلذلك لا يحد شعراً وإن كان كاعلاماً (١).
"وتم يفهم أن النبي صلى الله عليه وسلم تعمد وإسكان التاء
في (دميت) و (لقيت) ليس التامين من الشعر كالبخل بن لعميد
وغيره وهو قول مردود لأنه يصير من نوب آخر من الشعر وهو شرب
البسر اللقبي بالكامل وفي الثاني زجاء جائز (٢).

والذآن لما قال (وما علمناه الشعر) ففي عنه صفة الشعرية ،
لا موافقة لفظية عليه السلام نادراً لشعر موزون أو بيت موزون لأن هذا
أمر اتفاق لا يسمي به شاعراً ولا يسمى ذلك اللفظ الشعر وأقرب
الموزون من غير قصيد شعراً كما علم من حد الشعر لأن الشعر كان
امراً معلوماً مشهوراً عند العرب يقولونه بقصد ورؤية وقد كان زهير يكت
جولا كاملاً في تناسخ قصيدة أو قصيدتين أو ثلاث قاعده . فموافقة

(١) الحمدة ١ / ٢٠٠

(٢) الحمدة ١ / ٢٠٠

الرسول صلى الله عليه وسلم لم يمت من بحر الرجز مثلاً ليس قابلاً في
كونه ليس شاعراً ولا في قوله تعالى (وما علفناه البحر وما ينبت له) .

كما أن موافقة بعض آيات القرآن لوزن من أوزان الشعر لا يفتح في
كونه ليس شاعراً ولا في قوله تعالى :- (وما هو بقول شاعر) (١) .

ولذا نرى ذلك يفسر الأمثلة من الآيات القرآنية التي وافقت بعض الأوزان
الشعرية : قال تعالى :-

(لن تنالوا البر حتى تنفقوا ما تحبون) (٢) وقال تعالى : (ويضرب
كالجواب وقد رر راسيات) (٣) فإيتان الآيتان توافقان ما يسمى البحر/البحر
ووزنه فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن (٤) فالآية الأولى من مجزوءة ودخل ترويه
التسبيح وهو زيادة حروف ساكن على السبب الثمينة والثانية من مجزوء الرحمن
أيضاً ولكنه جميع المروف والمضروب .

وقال تعالى (ومن يذكرني فأنما يتركني نفسه) (٥)

(١) الحاققة / ٥٠

(٢) آل عمران / ٩٤

(٣) سبأ / ٢٥

(٤) المديار في أوزان الأهمام تأليف ابن بكر محمد بن عبد الملك بن السراج الشنتريني
الاندلسي - تهذيب الدكتور محمد رضوان داية - أمانة ثانية دمشق ١٩٨٠ ص ١٠٠

(٥) سورة فاطر / ١٧

ومن تواتر ضرب البحر المصروع بالثقيف الذي هو فاعلتان مستعملتان
فاعلتان (١) والآية من مبحرته .

وقوله تعالى (وَذَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَرْوَاقُهَا تَذَلُّلاً) (٢)

رواة بحر الرجز الذي هو مستعملتان ست مرات (٣).

أما قوله تعالى (وَيُخَوِّضُهُمْ فِي مَرْجٍ خِلْطٍ وَتَيْفُوفٍ مُدَوَّرٍ قَسِيمٍ

مؤمنين) (٤) فإنه يوافي السوافر الذي هو فاعلتان فاعلتان فاعلتان
والفعلون أي باستقاط السبب الخفيف
x والآية منه مفعول المروض والضرب ، القطف مبرورة فاعلتان/واسكان

المرحة الناصر (٥).

ونعود مرة أخرى لنزعم من قال أن الرسول صلى الله عليه وسلم

كان يتمثل بأنماطه الأبيات حتى لا يتحقق كونها شعرا كما فعلت نسيبيت

ليبد حين قال :- أمدق كلمة قالها شاعر كلمة ليبد :-

(ألا كل شعر ما خلا الله باطل) .

(١) المقيار / ٧٨

(٢) الانسان ١٤

(٣) المقيار / ١٧

(٤) التوبة / ٦

(٥) المقيار / ٤٢

وأنت لم يمتل البيت ، وقد حملنا مكانة الشعر عند علي الله عليه
وسلم - وفي رأينا أنه - إن صح ذلك - أراد الاستشهاد بمقدار البيت
ولا حاجة له بجزءه ، فهو لم يقصد الانشاد فالتمام مقام استشهاد
وليست مقام انشاد ، كما أن إيجازه وانحصاره للكلام مبرور مشهود وقد
أعجزنا له من قبل .

وان دعوا أنه أنشد بيت غرقة بيت الصبار بن مرداس بالوجه
الذي أوردوه وأنه أبدل كلمة مكان الأخرى ، فهذا لا معنى أنه كان
لا يبتدى إلى إقامة الوزن ، وهو العالم بالشعر وأحواله ولكنه أراد
المعنى ولم يرد الوزن فان مَنع وهمم فان انشاده لتلك الأبيات بتلك
الدورة أدنى فزعمه انه المراد الاستشهاد بالمعنى لا بالوزن .

وان احتج قوم بقول الله تعالى (والشجر) يتصيم الضالون
ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون (زاعمين
أن القرآن قلل من قيمة الشجر والشجر) فانهم نسبوا أن القرآن
نسخ من ذلك واستثنى فقال (الا الذين آمنوا) الى قوله تعالى
(ينقلبون) ودم القرآن للشجر إنما هو للشجر المشتمل على وزر

أو مناجاة للحر وما صداه نمادون في انشاده . والمسمى :-
الصحراء غاوين ولا يتبعهم إلا الغاوين والمراد من قوله (من كل واد)
من أودية التو القاسد ووجه الاستعارة مظهر الهلاك فكما أن الوادي
مقنة الهلاك المسمى كذلك الأشكال الفاسدة مقنة الهلاك المسمى
والرامح مائق مقنة الهلاك والكل في مثل هذا بمعنى الأكثر ويظهر
أنه يفسرون في كل لخر وأصل الهمام أن يذهب الرجل على وجهه
من عشم أو غيره حاملة التفسير .
وفي ذلك يقول المؤلفون (١) :-

" ذكر الوادي والنيوم فيه تمثيل لذمهم في كل شعب من القبول
واقصانهم وقلة حالاتهم بالغلو في النطاق ومجاوزة حد القصد
فيه حين يذللوا أجبن الناس على عترة وأبخلهم على حاتم وأن
يمسوا البرء ويستقوا التشن "

وفي قوله تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات يقولوا استغفر
الصحراء المؤمنون الذين يكثر ذكر الله وتلاوة القرآن
وكان ذلك أغلبهم من الشعر وإذا قالوا شعرا قالوه في توهم

(١) الكتاب ١ / ٢٠٦ : أبحثه أولى مباحة مداني محمد القاهرة ١٤٠٥ هـ .

الفصل الثاني

موقفه على الله عليه وسلم

من السجع

نزل ابن الأثير السجع بقوله (هو توافر الفواصل في الكلام

المنثور على حرف واحد) (١)

وساء في أساس البلاغة (٢) (رجل سجاع و سجامه و كلام

سجوع و سجع و سجمة ساجيه و سجمة و سجع فيه وهو أن

يأتى بالقربتين فصاعداً على نهج واحد و فلان ساجع في سيرة مستقيم

١- يميل عن التعدد . قال ذو الرمة :-

وإذا ما علو أرضا ترى وجهه ركبا

وإذا علوها مكفا غير ساجع

و نجد في دائرة المعارف الإسلامية (٣) السجع اسم يطلق

على حراز بلاغي خاص تستخدم فيه فقرات قصيرة ذات كلمات متقاربة

٢- أنه مع هذا يتميز عن الشعر بأنه غير خاضع لقافيه و إيقاعه لا

لوزن عام، و لعمل السجع أول أسلوب مختار ارتضاه العرب قبل أن يصطنعوا

المحور المقيسة)

١- المثل السائر ٢٧١/١

٢- أساس البلاغة - الزمخشري ١٩٢٦ القاهرة المجلد الأول ص ٢٤

٣- دائرة المعارف الإسلامية مجلد ٢٢٥/١

و فيه يقول يحيى بن حمزة العلوي^(١) وهو في مقابلة التصريح في الكلام

المختصوم الموزون في النثر و معناه في السنة علماء البيان ، اتفاق

القوامل في الكلام المنشور في الحرف أو في الوزن أو في مجموعهما

و اشتقاقه من قولهم سبحت الناقة إذا عدت حينها على حبة واحدة و منه سبحت
إذا عدت

الحامة / و السجع استعمله العرب كثيرا في نثرهم و فضلوه على المنشور

لما و جدوه فيه من الايقاعات و الموسيقى التي تهذب الاسماع و تساعد

على الاحتفاظ . قيل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرياشي " لم

تؤثر السجع على المنشور و تلزم نفسك القوافي و إقامة الوزن " قال :

ان كلامي لو كنت آمل فيه لاسماع الشاهد لقل " خلافي عليك ، و لكنني

أريد النائب و الحاضر و الراهن و الغابر ، فالحفظ اليه أسرع و الاذان

لساعة أشبط و هو أحن بالتقييد و بقله التفلت . و ما تكلمت به

العرب من جيد منشور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ

من المنشور عشرة و لا ضاع من الموزون عشرة . (١١)

و السمع أتمام : فان اتفقت الإعجاز في القوامل مع اتفاق الوزن

سمى المتوازي كقوله تعالى (فيها سور مرفوعة و أكواب موضوعة) و إن اتفقا

ففي الأعداد من غير وزن سمي المطرف كقوله تعالى (ما لكم لا ترجون لله

~~البرار - مطابقة القوافي -~~ ص ١٨ / ٢

١- البيان و التبيين ٢٨٧ / ١

٢- الأثر ١٨ / ٢

﴿قَارَا وَ قَدْ خَلَقْنَا أَعْيُنًا﴾ وَإِنْ اخْتَفَا فِي الْوُزْنِ دُونَ الْحَرَفِ سَمِيَ

الْمُتَوَازِنَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى (وَ نَارِيَّ مَضْفُوفَةٌ وَ قُرَابِي مَشْثُوثَةٌ)

وَلَا تَكُنْ تَخْلُو سُورَةَ مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ هَذَا النَّحْوِ بَلْ نَحَدِّ

السُّورَةَ تَجْمَعُ كُلُّهَا مَسْبُوعَةٌ كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ وَ سُورَةِ

الْقَمَرِ وَ غَيْرِهَا وَ مِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ طه (طه مَا أُنْزِلْنَا

عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى . إِلَّا تَذَكُّرٌ لِمَنْ يَخْشَى تَنْزِيلًا مِنْ خَلْقِ الْأَرْضِ .

وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَا . الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى . لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ

وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا وَ مَا تَحْتَ الثَّرَى . إِنْ شِجَرٌ بِالتَّشْوِيلِ

فَإِنَّهُ يَكْتُمُ السِّرَّ وَ أُنْفِ . اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (١)

وَ قَدْ رَدَّ عَلَى هَذَا الْإِسْلَوبِ مِنْ كَلَامِ الْمُصَافِي عَلَى اللَّهِ

عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ شَيْءٌ كَثِيرٌ أَهْمًا ، وَفِي ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْمُخْبِرَةُ بْنُ شُعْبَةَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ (إِنْ اللَّهُ

تَعَالَى حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عَتَقَ الْأَسْهَاتِ وَوَأَدَّ الْبَنَاتِ ، وَنَحَّ وَحَمَاتِ وَ كَبَرَهُ

لَمْ يَقِلْ وَ قَالَ وَ كَثَرَهُ السُّؤَالُ وَ إِضَاعَةُ الْمَالِ)

الْحَمْدُ

١- سورة الأيات ٨-١

٢- زاد المسلم ٥٨/١

و يروى عنه الشيخان عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم
كان يتصور من جهد البلاء و برك الشتاء و سوء القضاء و شناعة
الاعداء (١)

و في حديث لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم (كان رسول الله اذا قتل من غزو أوجع أو عمرة
يكثر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ثم يقول (لا اله الا الله
و حدة لا شريك له له الملك و له الحمد و هو على كل شيء قدير
آمين ناثبون عابدين ساجدين لربنا جاسدين ، صدق الله وعده
و نصر عبده و هزم الأحزاب و حده) (٢) و السجع ظاهر في سائر
الاحاديث التي ذكرناها و أمثالها كثير في أحاديثه و انما أردنا بهذا
القدر على سبيل المثال لا الحصر .

و ذهب قوم الى استكراه السجع و لعل الشبهة لهم في استكراهه
ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال لبعضهم (أسمعكم
كسجع الكهان) أو قال انما هذا من أخوان الكهان . و الحديث يرويه

١- زاد المسلم ١٧/٥
٢- زاد المسلم ٤٨١/٤

الصحابي الجليل أبو هريرة و سبب هذا الحديث أنّ امرأتين من أهل
تخارستان فرمتا أحدهما الآخرى بحجر فقتلتها وما في بالهما فأُمر
النبي صلى الله عليه وسلم في الجنين بثورة و هو عبد أو أمة و في
الأمر بدية فتضى بكتفهما على عاقلة القاطن : فقال و الله منيهم و هو حمل
ابن مالك بن النابغة السدلي (١) ثم أُمر من لاء حرب و لا أكل و لا
نطق و لا استبيل فمثل ذلك يطعن (٢)

و اعتاداً على هذا الحديث ذهبوا إلى أنّ الرسول صلى الله
عليه وسلم أنكر السجع و نفّر عنه و كرهه و هجره من بدعه أصحابه (٣)
فالرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال لحمل (أسجعا كسجع
الكنان ولم ينكر السجع مطلقاً . فلو كان كذلك لقال : أسسجعا
ثم سكت . و كان المعنى يدلّ على إنكار هذا الفعل لم كان . فلما
قال أسجعا كسجع الكنان صار المعنى معلقاً على أمر وهو إنكار الفعل
لم كان على هذا الوجه :

و في ذلك يقول العلوي (٤) : " انه لم ينكر السجع مطلقاً وإنما
أنكر سجعا مخصوصاً وهو سجع الكنان ، لأن أكثر أخبارهم عن الأمور الدنيوية
والأوهام الظنية على جهة السجع و تطابق أعجاز الألفاظ "

١- زاد المسام - ١ / ١٩

٢- انظر الأدب العربي و تاريخه لعمود مصافي ١-٢٧ ص ١١

٣- الأواز ١ / ٢٠١

و يقول العقاد (١) "و كان عليه السلام يكره سجع الكهان
الذى يندعون به السامع ليؤمنوا أنه يستمع الى طلسم السحرة
والشياطين و لكنه لم يكن يأبى السجع بنية و لا يخلو كلامه من سجع
يأتى على السجيه و يندب أن يكون ذلك فيما يرتل علانية كالآذان و ما
عمو في حكمة أو فيما يحفظ من الوصايا الجامعة "

و الكهان هم المائفة كانت تعرف عند الجاهليين تدعى القنبوء
و حرفة الغنيمات و أنها تنطق عن آلهتهم بما سخر لها من الجن
الذى تسترق له السمع فتكلم لما العجب و ما تأتى به ألواح الغد
و كان الجاهليون يفرعون إليهم لا يستشارتهم في الأمور الجلى كإعلان
حرب أو قصود عن نصره أحلاف أو كرف قتل انسان أو ناقة أو فـلال
بندور من النذور لا رباهم لا يستطيعون أدائه و قد يلجأون إليهم
للحكم بينهم أو للمناصرة بمثقلين لأحكامهم فهي لا تنقذ و لا ترد و قد
يألمون إليهم تعبير رؤاهم وأحلامهم و هم قد يتنبأون لأقوامهم
بوقوع كارثة أو حدث غزو (٢)

و أقوال هؤلاء الكهان و خطابتهم و أحكامهم التزمت السجع

١- عبثية صمد - ٧٦ دار الهلال

٢- انظر الفن و مذاجه في النشر الفني ، عشوق سيف ص ٢٨

التراما لما فيه من تأثير في السامعين كما أننا اتسمت بالتموض في
 بمنى الأحياء . فمن ذلك ما نقله صاحب الأمالي من أديت الكاهنة
 زبراء (١) بن بنى رثام تنذرهم من الاعداء (يا شر الاكياد ، وأنداد
 الاولاد و شهباء الحصاد هذه زبراء ، تخبركم عن أنباء ، قيل
 انحصار الظلماء بالمؤيد (٢) المسمعا فاسمعوا ما تقول ، قالوا و مسا
 تقولين يا زبراء ؟ قالت واللوح الخافق والليل الغاسق والمباح الشارق
 والنجم الطارق والزمن الواحد أن شجر الوادي ليأدو ختلا و يمرق أنيابا
 عصلا (٣) و إن حذر الطود لينذر شكلا لا تجدون عنه عصلا ... الخ)
 ومن ذلك أيضا ما يمرق الى سمندى بنت كريب خالة عثمان ابن
 عفان - وكانت قد تكلمت - فقد روى لها قولها في النبي صلى الله عليه
 وسلم وذلك على ما يظفر في بدء دعوته و قد طلب الناس رأيها
 فيه : (ان محمدا بن عبد الله رسول من عند الله ، جاء بتسزيل
 الله ، يدعو الى الله . مصباحه صباح ، وقوله صلاح ، وقرنه
 ناسا ، ذلك له البصاح ما ينفع الصياح ، لو وقع النيسان
 وسلت الصفاح) (٤)

١- الامالي - القالي ، ابو علي اسماعيل بن القاسم طبعة بولان مصر ١٢٦/١
 ٢- المؤيد : الداعية
 ٣- العصلا : الموصلا
 ٤- تلأور الاساليب النثرية - انيس المقدسي دار العلم ١٩٦٥ بيروت ص ١٥

ومنه أيضا قولهم بعضهم الذي نقله الجامع (١) :- " والارض

والسما ، والمقاب الصقما^(٢) واقمة بيقما ، لقد نقر المجد بنى

المشراء (٣) للمجد والسما "

ولعل هذا السجع في كلامهم هو الذي دفع بعض المشركين

من قريش الى الظن بأن ما يتلىه الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن

إنما هو كلام الكهان فقال تعالى ينقض دعوائهم الباطلة (قد نكر فما أنت

بنعمة ربك بكاهن) (٤) و قال تعالى أيما (انه لقول رسول كريم

وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون و لا بقول كاهن قليلا ما

تذنبون) (٥) "

فالقرآن إنما نرى نفسى عن نفسه و عن رسوله صفة الكهانة و لكنه

لم ينف السجع و لا عنه و لا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما

أن الرسول أنكر سجع الكهان و لم ينفه عن السجع جملة و لو أراد حمل

ابن مالك في كلامه اقامة الوزن لما كان عليه بأس و لكنه عسى أن يكون

أراد إبطال حقه.

١- البيان والتبيين ٢٦٠/١

٢- الصقما : التى فى وسط رأسها بياض

٣- نقرهم : حكم لهم بالغليلة على غيرهم . و هو المشراء ومن بنى مازن ابن فزارة بن ذبيان

٤- سورة النور آية ١٧ /

٥- سورة الواقعة آية ٤٠ /

ولو أن المرسل مذموم لما نطق به القرآن ولا فاء به الرسول
الكريم صلى الله عليه وسلم ولا نطق به أحداه به بعه و لو كان يذكره
لما أناره على حمل وأقره في مواضع أخرى ، من تلك المواضع :
كتب إليه أبو سفيان كتاباً يقول في آخره : نريد منك نزل المدينة
فإن أهبنا إلى ذلك وإلا أبشر بشراب الديار و قلع الآثار (١)
تجاوزت القبائل من نزار
لنصر اللات في البيت الحرام
وأقبلت الصراخ من قريش
على خيل مسوفة ضرام

فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب جاء فيه :-
" وصل كتاب أهل الشرب والنفاق والكفر والشقاق وفيتم مقاتلتكم
فوالله ما لكم عندي بواب إلا أطراف الرياح وأشجار الصفاح فأرجعوا
ويلكم عن عبارة الامنام وأبشروا بشرب الحما وبقتل الهام وشرب
الديار و قلع الآثار والسلام على من اتبع الهدى)

١- مجموعة الوثائق السياسية - مطبوع - سيد الله (١٩٤١) القاهرة ع .

فالرسول صلى الله عليه وسلم لم ينكر سجع أبي سفيان ، ولكنه
لما رأى السجع في هذا المقام أصلح له خطاب الجاهليين لانهم يعرفون
منه معنى الوثنية والتكهن كما يعرفون منه معنى السابرة والتعويذ ،
ردّ عليه السلام بكلام مسجع أيضًا .

وكذلك أقرّ النبي صلى الله عليه وسلم بنى الحلف الذي كان بين
بنة عبد المطلب بن هاشم وعزاعة (١) عندما جاءته عزاعة بنى الوثنية
يوم الحديبية في العام السادس الهجري ، على ما كان به من سجع وتفخيم
يحملونه موثقاً تعتد به العواشير وتؤكد به الحركات وهذا نصه :-

(يا سبيك اللهم ، هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لعزاعة ،
خلفا حاشما غير غفر . الامياخ على الامياخ والاصاخر على الاصاخر
والشاعد على الغائب . قد تعاهدوا وتعاهدوا أوكد عهد وأوثق عهد ،
لا ينقثن ولا ينكث ما أشرفت شمر على شبر و... بفلاة بمير وما
أقام الاخشيان واعتصر بكة انسان . حلف أهد لطول أهد ، يؤيده الحين
الشمر شدا وظلام الليل شدا . وأن عبد المطلب وولده ومن معهم رجال
عزاعة متكافون متقادون متعاونون ، على عبد المطلب النمرة لهم بمن تابعه

على طالب و على خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده و من معه على جميع
المغرب في شرق أو غرب أو من أو سهل و جعلوا الله على ذلك كفيلاً
و كفى به صعباً (١٠)

وفي حديث عن أنس (١) وعن سهل بن سعد رضى الله عنهما
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال " اللهم ان العيش عيش
الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة " فقالوا مجيبين له : نحن الذين
بايعنا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً . فغاطبهم صلى الله عليه وسلم
بكلام مسجوع وردوا عليه بكلام مسجوع كذلك فلم ينكر عليهم ذلك بل أقره .
والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينتأ بالسمع و يقره من كلام غيره
فحسب ، بل كان يغير الكلمة عن وجهها اتباعاً لها بأخواتها من أهل
السمع فقال لابن أبيته عليهما السلام (أعيذه من البهامة والسمامة ومن
كل عين لامة) وفي قوله (لامة) إنما أراد ملمة لأن الأصل عن ألم فهو
لمم فلما أراد اتباعها من أهل السجع غيرها عن مؤلفها وأتى بها
(لامة)

ومن ذلك قوله (أرى من مازورات غير مأجورات) وإنما أراد موزورات من

١- صحيح البخاري - كتاب الجهاد باب التحريض على القتال

الوزر فقال مأزورات لمكان مأزورات طلبا للتوازن والسجع .

و لما أتاه وفد ربيعة قال من ألفد ؟ قالوا : ربيعة

فقال مرسيا بالقوم غير خزايا و لا نداسي (١) أي غير مذلين و لا

مبانين و لا مضطوحين بوطء البلاء و قتل الأنفس و سبى النساء فخرايا

جمع خزيان على القياس أن غير ذلك لقدمكم مبادرين دون حرب يوجب

استحياء كم الآن (نداسي) جمع شادم على غير قياس وإنما جمع كذلك

اتباعا لخزايا للمشاكلة والتعسين . و جمعهم على القياس (غير ناديين)

و تبديل الألفاظ لتيسر موافقة لغيرها في الوزن معروف عند العرب

و سماء السيوطي المعاذاة و سمي أيضا الازدواج ففي المزمهر يقول

السيوطي (٢) (ومن سنن العرب المعاذاة و لك أن تجعل كلاما

ما ، بهذا كلام فيؤتى به على وزنه لفظاً وإن كانا مختلفين

فيقولون الغدايا والعشايا ومن نظائر ذلك تقول العرب للرجل إذا قدم

من سفر أوبه و طوبه ، أي : أبت إلى عيش -ليب و مآب -ليب والأصل

هنية فقالوه بالواو لمعاذاة أوبة)

وفي الصراح قال الغراء يقال منأى الحمام و مرأى ، إذا أتبعوا

١- زاد المسلم ١١٢/٢

٢- المزمهر ١٢٩ / ٣٣٩

بنأى قالوما بغير ألف ، فاذا أفردوما قالوا أمرانى و فيه يقال (له
عندى ماساءه و ناءه قال بعضهم أراد ساءه و أناءه و انما قال ناءه - وهو
لا يعتمد - لأجل ساءه ليعزج الكلام و فيه جمعوا الباب على أبوية
للإزدواج . (١) و قال الشاعر :-

هتاك أضيبة و لآج أبوية

يغلط بالبرئنه الجند والليننا

نقل من ذلك الى أن الرسول لم يمتزج من قول السجع و لم
يخرج عن السنن العربى من استحسان للسجع بل ورد كثير منه فى حديثه
و هو ان نهى أو نقر فقد نهى عن سجع الكهان لما فيه من تكلف و تشاوش
و ابطال حق و هو على الله عليه وسلم لم يتكلف السجع و لم ينصرف له بل
جاءت أسبغاه على السجية حلوة حارة طنانه رنانة لاغثة و لا باردة . و فى
ذلك يقول العقاد (٢) :-

" و عذبه فى الحلية اللطيفة عذبه فى كل حلية تليق بالرجل
السلام
فحولة فى القول و فحول فى الزينة قسمة عليه / حلية الذهب التى تليق
بالرجل أن يتحلّى بها و لا يزيد "

١- الزمر ١/ ٣٤١

٢- عبقرية محمد - ٧٦

الفصل الثالث

الاستشهاد بالحديث النبوي

اتفق أهل اللغز والنحو على بعض الأصول من شعر وغيره

يرجعون إليها في تحقيق الالفاظ وتقرير القواعد .

وقد اتفق النحاة على الاستشهاد بالشعر الجاهلي كـ

أمرئ القيس والأعشى وشعر المخزومين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام

كـليبد وحسان ، أما الإسلاميون وهم الذين كانوا في صدر

الإسلام كـجرير والفرزدق فقد اختلفت النحاة في الاستشهاد بشعرهم

فأجازوه فريش ومنه آخر ، فقد كان أبو عمرو بن الصلاء وعبد الله

ابن أبي اسحق والسن البصريّ وعبد الله بن مسبرة يلحّجون

الفرزدق والكميت وزنا الرمة وأغرابهم . (١)

أما طبقة المولدين ويقال لهم المحدثون وهم الذين أتوا

بعد طبقة الإسلاميين إلى زماننا هذا فقد أجمع النحاة وعلماء اللغة

على أنه لا يفتح بكلامهم في الترميم .

وما أجمع على الاستشهاد به القرآن الكريم ، وفيه يقسول

البندادي " أفصح كلام وأبلغه ويجوز الاستشهاد بمتواتره وماذه " (٢)

١- خزائن الأدب - البندادي ، تحقيق عبدالسلام هارون ١٩٦٧ القاهرة .

٢- خزائن الأدب ١/١ .

أنا الاستدلال والاحتجاج بالحديث فقد أجازته فريق وضعه آخر
مؤلفه أبو الحسن علي بن محمد الأندلسي المعروف بابن خروف المتوفى
سنة ٦٠٩ (١) وأبو عبد الله محمد بن مال الدين المعروف بابن مالك
المتوفى ٦٧٦ هـ وتبعه الاسترأبادي المتوفى ٦٨٢ هـ وزاد عليه بالاحتجاج
بـ ^{آل} كلام البيت رئيس الله عنهم (٢) ومن عرف بهذا المذهب عبد الله
ابن يوسف المعروف بابن هشام ، وانتصر لهذا المذهب البسدير
الدعائيني في شرعه لكفاية المحتفل السنن بتدوير الرواية وعدّ من
أصحاب هذا المذهب الجوهري وابن سيدة وابن فارس وابن جعفي
وابن بري ، والسهيلي .

ومذهب جماعة من النواة الى أن الحديث لا يستشهد به
في اللغة أن لا يستند اليه في إثبات ألفاظ اللغة ولا في وضع
قواعدها ، ولذلك منحوا الاستشهاد به ومن هذه الجماعة أبو الحسن
علي بن محمد الأشعيلي المعروف بابن الضائع المتوفى ٦٨٠ هـ (٣)
وأثير الدين محمد بن يوسف المعروف بأبي حيان المتوفى ٧٤٥ هـ
وتوسط الشاطبي فجوّز الاحتجاج بالأحاديث التي أعتنى بتقل

١- بنية الوعاق في السجادة ١٢٢٦ هـ ص ٣٥٤

٢- ميزان العرب (١/١)

٣-

ألفاظها فجعل الحديث على قسمين قسم يمتنى ناقله بمعناه دون لفظه
فهذا لم يقع به استشهاد أهل اللسان ، وقسم عرى اعتناء ناقله
بلفظه لمقصود خاص كالأحاديث التي قصد بها بيان فصاحة من صلى الله
عليه وسلم ككتابة لهذان وكتابة لوائل بن حجر والأمثال النبوية ،
فهذا يصح الاستشهاد به في العربية . (١)

وتبني السيوطي المتوفى ٩١١ هـ في كتابة الاقتراح (٢) فقال
" وأما كلامه صلى الله عليه وسلم فيستدل فيه بما أثبت أنه قاله على
اللفظ المروي . وذلك نادر جداً إنما يوجد في الأحاديث القصار على
قلة أيضاً ، فإن غالب الأحاديث مروية بالصنى وقد تداولتها
الاعاجم والمولدون قبل تدوينها وخدموا وأخروا وأبدلوا ألفاظها
بألفاظ ولهذا ترى الحديث الواحد مروياً على أوجه شتى بعبارة
مختلفة ومن ثم أنكسر على ابن مالك اثباته القواعد النحوية بالالفاظ
الواردة في الحديث .

والمانعون للاستشهاد بحديث الصنفى صلى الله عليه وسلم

استندوا إلى آخرين :-

الأول :- أن الأحاديث لم تنقل كما سمعت من النبي صلوات الله وسلامه

عليه ، وإنما رويت بالصنى .

١- خزنة الأدب ١/ ١١ - ١٣

٢- الاقتراح - السيوطي - مجلة حيدرآباد ص ١٦

وثانيهما : أن أئمة الهدى المتقدمين من الصرخين لم يجتنبوا بشرى
فيه .

والسيوطى ينقل لنا حديثهم عن أبى حميان قاضى (١)
ان الواغصين الاولين لعلم الهدى المستقرين للأحكام من لسان العرب
كأبى عمرو بن الحلاء وعيسى ابن عمر والخليل ابن أحمد وسليويه
من أئمة اليسريين ، والكسائى والقراء وعلى بن مبارك وهشام الضرير
من أئمة الكوفيين - لم يفعلوا ذلك وتبهم على ذلك السلك المتأخرون
من الفريقين وغيرهم من نواة الاقاليم كناهة بغداد وأهل الاندلس
و قد جرى الكلام فى ذلك من بعض المتأخرين الانكباء فقال انما ترك
« مؤلاء العلماء الاحتجاج بالحديث لعدم وثوقهم أن ذلك لفلسف
الرسول صلى الله عليه وسلم ولو وثقوا به لجرى مجرى القرآن فى
اثبات القواعد وإنما كان ذلك لاسرين :-

أحدما : أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى فوجد قصة واحدة
قد جرت فى زمانه صلى الله عليه وسلم فتنقل بألفاظ مختلفة نحو ما روى
من قوله (زوجتكما بما معك من القرآن) و (ملككما بما معك من
القرآن) و (بعدا بما معك من القرآن) وغير ذلك من الألفاظ الواردة .

فتململ بقينا انه صلى الله عليه وسلم لم يلفظ بجميع هذه اللفاظ بل لا نحزم بأنه قال بعضها ، إذ يحتمل أنه قال لفظاً مرادفاً لهذه الألفاظ تأتي الرواة بالمرادف ولم يأتوا بلفظه إذ المعنى هو المطلوب لا سيما مع تقدم السماع وعدم ضيقها بالكتابة، والانتقال على الحفظ والثابت، عنهم من نزل المعنى وأما ضبط اللفظ فمفيد جداً لا سيما في الأدب الحديث الطسوال .

وثانيهما : أن اللحن قد وقع كثير فيما روى من الحديث لأن كثيراً من رواة الحديث كانوا غير عرب لسانهم الأيال قلم وسنعة النـ ووقع اللحن فـسـ كـمهم من حيث لا يعلمون ووقع اللحن دليل على أنه لم يكن لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه أفصح الناس " (١) .

مناقشة أدلة الناحيين :-

الدليل الأول : عدم احتجاج الأوائل بالحديث .
جاء في مناقب الأديب أن السيوطي حكى قول ابن الصانع قائلاً :
« ابن خروف يستمد بالحديث كثيراً فان كان على وجه الاستظهار والتبرك بالرواية فحسن وإن كان يرى أن من قبله أغفل شيئاً وجب عليه

فصلم يقينا انه رضى الله عليه وسلم لم يلفظ بيمين هذه اللفظة بل لا نحرز بأنه قال بعضها ، إذ يحتمل أنه قال لفظا مرادفا لهذه الألفاظ فأتى الرواة بالمرادف ولم يأتوا بلفظه إذ المعنى هو المطلوب لا سيما مع تقدم السماع وعدم صحتها بالكتابة ، والاتكال على الحفظ والكتابة. منهم من ثبت المعنى وأما ضبط اللفظ فبعيد جدًا لا سيما فليس بالأدب الحديث الطَّوَال .

وثانيهما : أن اللحن قد وقع كثير فيما روى من الحديث لأن كثيرا من رواة الحديث كانوا غير عرب لسانهم الأيالقم وجماعة التَّوَقُّف اللحن فليس كمنهم من حيث لا يعلمون يوتق اللحن دليل على أنه لم يكن لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه أفصح الناس " (١)

ساقطة أدلة المنعيين :-

الدليل الأول : عدم احتجاج الأوائل بالحديث .
جاء في خزنة الأدب أن السيوطي حكى قول ابن الضائع قاعلا :
« ابن خروف يستمد بالحديث كثيرا فان كان على وجه الاستطمار والتبرك بالمروءة فحسن وإن كان يرمى أن من قبله أغفل شيئا وجب عليه »
الاستخراج - ١٧

استدراكه فليتركها أربابها (١) أى أنهم جعلوا ابن خروف أول من
استشهد بالحديث .

الآن الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبى يعتمد الحديث باعتباره
حجة إلى أن أبا عليّ الفارسي المتوفى ٢٧٧ ^{هـ} استشهد به فى مسائل
المسائل ويقرر أنه سمى ابن خروف فى الاحتجاج بالحديث والاستشهاد
به فى مسائل اللغة والنحو والصرف . (٢) والدكتور عثمان الفكي (٣)
يذكر أن كتاب سيبويه اشتمل على ثلاثة أحاديث لم يسبقها مسان الأحاديث
ولكن وجودها فى كتابة ينقض دعوى أنه لم يحتج به إذ لو لم يعتبره
سما صحح لما أورد تلك الأحاديث فى كتابه .

ومن خلال بحثنا فى كتاب سيبويه عثرنا على ثلاثة أحاديث
استشهد بها سيبويه وعلى كافيّة لنقض الدعوى . إلا أنه كما ذكر الدكتور
عثمان لم يسبقها مسان الأحاديث .

الأول : هو قوله صلى الله عليه وسلم (٤) ما من أيام أحبّ إلى
الله فيها الصوم من عشر ذي الحجة (

١- خزائن الأدب / ٨ / ٧
٢- انظر كتابه : أبو الفارسي طبعة نسخة مصر
٣- الاستشهاد فى النحو العربى - رسالة ماجستير - ١٩٦١ - دار العلوم
مصر ٢١٨
٤- رياض الصالحين / ٤٦٧

استشهد به سببه في باب ما يكون من الاسماء صفة مفرداً
 ليس بفاعل ولا صفة تشبه بالفاعل كالحسن وأشباذه (إلا أنه لم يسه
 صان الحديث بل قال : (ومن ذلك ما من أيام أحب . . . الخ) (١)
 الثاني : قوله برى الاء عليه وسلم (كل مولود^{يولد} على الفطرة . . . حتى يكون
 أبواه اللذان يهودانه وينصرانه) استشهد به في باب (٢) (ما يكون
 فيه هو وأنت وأنا ومن وأخواتهن فصلاً) وذلك بقوله (وأما قولهم
 كل مولود . . . الخ) ففيه ثلاثة أوجه فالرفع من وجهين والنصب
 من وجه واحد فأحد وجهي الرفع أن يكون المولود ضميراً في يكسرون
 والوالدان مبتدآن وما بينهما عيني عليهما كأنه قال . . . حتى يكون أبوان
 اللذان يهودانه وينصرانه

أما الحديث الثالث فقد ذكره في باب (الفاعلين والمفعولين
 اللذين كل واحد منهما يفاعل بفاعله مثل الذي يفعل به وما أن نحو
 ذلك) (٣) واستشهد به على جواز حذف المفعول به ما دام معلوماً
 للمخاطب فقال (وما يقرى ترك نحو هذا لعدم المخاطب قوله عز وجل

١- الكتاب المجمع ج ١ ص ١٢١٦ ح ١ / ١٢٦

٢- الكتاب ١ / ٣٦٦

٣- الكتاب ١ / ٣٧

(والحافلين فروجهم والاعطاش والذاكرين الله كثيرا والذكرات) (١)
فلم يسل الآخر بينما اعمل فيه الأول استثناء عنه ومثل ذلك (ونخلج
ونترك من يفجر) فاستشهد بجزء من حديث القنوت المشهور .

في ذلك يقول الدكتور أحمد مكي الانصاري :- (٢)
" وفي هذا النص ملحوظ لطيف لا يفوتنا أن نقتنصه ونعقب عليه وهو
استشهاد سيويه بالحديث الشريف في قوله (ونخلج ونترك من يفجر)
وعذا جزء من حديث القنوت المشهور غير أن سيويه لم يذكر صراحة
أنه حديث نبويّ ولم يشير الى ذلك بسابقة ولا لاحقة تشرنا
بأنه من الاحاديث ولا غمضة في ذلك فقد اعاد سيويه ان يذكر
من الايات القرآنية دون أن يشير اليها بما يدلّ على أنها من القرآن
اعتمادا على أنها معروفة مشهورة .

وربما كان من هذا القبيل ذكر حديث القنوت دون أن يشير
الى أنه حديث نبويّ شريف ان أن القنوت مشهور ومعروف للعامة "

واضح أن صاحب الكتاب لم يعتمد على الاحاديث كثيرا وأن المنزلة
الاولى كانت للشعر من حديث الكثرة وهو واضح أسير الاستشهاد وموجّه
النحاة من بعده وما ذلك الا لقلة محموله من الحديث لأنه قد انصرف

١- سورة الاحزاب آية ٥٣

٢- سيويه والقراءات دار المعارف ١٩٧٢ عن ١٨٢ - ١٨٤

كما سيأتى به البيان من ذلك .

(أ) استجابة بالهدية الشريفة في تأنيث (مسمى) واحد الإسماء
وقال والمسمى أكثر الكلام تذكيرا يقال هذا (مسمى) وهؤلاء أسماء
وربما ذهبوا به إلى : تأنيث لأنه واحد دل على الجمع جاء في الهدية
(المؤمن يأكل في مسمى واحد) (١)

(ب) كذلك فعل في استجابة على تأنيث الضلع قال والضلع انثى يقولون
ثلاث أضلاع وأضلع وإذا كثرت فهي المضلوع والاضالع جاء في الهدية
(خلقت المرأة من ضلع عوجاء)

(ج) وفي موضع ثالث احتج بالهدية على تأنيث الذود قال الذود
من الابل مؤنث جاء في الهدية (ليس في أقل من خمس ذود مدقة)
وبين ذلك أن الذود جاء مذكرا خاليا من التاء وهذا دليل على
تأنيث الصدود أيضا للقاعدة المعروفة في هذه وأنها حيا من أن الذود
يأتى عكس الصدود تأنيثا وتذكيرا .

ومن هذه المواضع وأنها كلها أبلغ رد على البندادي وممن
لفق لفه /الباحثين الذين زعموا أن ابن خروف الاندلس كان أول من احتج

(١) القراء وشامية في اللغة والنحو . أحمد بك النصارى طبعة المطبع
التي لرعاية الفنون والادب والعلوم الاجتماعية ١٤٤٠ هـ ١٩٨٨

من النحويين بالحديث النبوي كما فيه ردّ ضمنى على الدكتور شلبى حين
حمل السبب في هذا الميدان لصاحبه أبى على الفارسي .

ومن هنا يتضح لنا أن الاوائل من البصريين والكوفيين: لم
يستعملوا عن الاحتجاج بالحديث بل أنهم قللوا من الاستشهاد بالحديث .
فما هي الدوافع التي دفعتهم الى هذا الصلح ؟

يرجع الدكتور عثمان الفكي ذلك الى البيئة العراقية - وحسب
التي نشأ فيها النحوي - لم تكن في الاصل بيئة حديث فالحديث نشأ
في الحجاز وانفرد به في أول نشأته وذلك طبعاً لان مكة منشأ
النبي صلى الله عليه وسلم والمدينة مباحره وكلاهما منبت الصحابة من
مهاجرين وأنصار - عاشروا النبي وحدثوا عنه وحكوا ما رأوا من أحوال
وأفعال ولعل أهم مظهر لهذا أن الفقه في المدينة اتسم بطابع الحديث
على يد مالك في حين اتسم الفقه العراقي بالرأى على يد أبى حنيفة .

وليس معنى هذا أن العراقي قد خلا من الصحابة لأن الكوفة
وحدوها نحو من سبعين صحابياً منهم عبد الله بن مسعود ونحوه من
هذا العدد بالبصرة ، ولكن هذا لا ينفي أن منبع الحديث ونشأته

إنما كانت بالحجاز .

شئىء آخر هو أن الثقافة الغالبة في العراق وخاصة البصرة والكوفة هي الثقافة اللغوية والأدبية فاعتنت كل من البصرة والكوفة بجميع الشعر وأكثر الرواة منها كما احتوا جميع اللغة من أفواء العرب والبصرة والمريد كانوا ملتقى الشعراء والأعراب وسيدان المنافسة الفصحى في هذا الحال .

فاللغويون والنحويون الأوائل يغلب عليهم هذا اللون الشافى من رواية الأشعار وأخبار العرب وكانت البيئة تربى في الشعر الحاملى مستودع لغة العرب وأن لغة البدو هي النموذج الرفيع الذي يجب أن يحتذى فتحج لديهم من هذه المادة ما أغناهم عن غيرها وكانت هذه المادة موضوع الدراسة والاستنباط .

ويقول سعيد الأفغانى مفسرا انصراف النحويين واللغويين الأوائل من الاحتجاج بالسبب (١) .

وقد كان المنهج الحى بالبداهة أن يتقدم الحديث سائر كلام العرب من ثمر وشعر في باب الاحتجاج في اللغة وقواعد الأعراب ولكن ذلك لم يقع كما ينبغي لانصراف اللغويين والنحويين المتقدمين الى ثقافتهم

ما يزودهم به رواية الاشمار خاصة انصارا استفرو جهودهم فليس
يبقى فيهم لرواية الحديث ودراسته بنية فتعللوا بعدم احتياجهم بالحديث
بعلل كلها واردة بصورة أقوى على ما احتجوا به هم أنفسهم من شعر
ونثر .

أضف الى ذلك أن بعضهم كان يؤثر السلامة وينصرف عن
الحديث تورعا وذلك واضح عند الإصمعي مثلا فقد كان لا يفسر شيئا
من اللغة له نظير أو اشتقاق في القرآن والحديث تحريفا ولم يرفع
من الأحاديث الا احاديث يسيرة (١) . روى أنه سئل عن معنى
حديث (الجار أحق بسقيه) فقال : أنا لا أفسر حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولكن العرب تزعم أن المدقب : " اللزيف " (٢)

الدليل الثاني :- رواية الحديث بالمعنى ووقوع اللحن .

الحجة الثانية التي استند عليها المانعون من أن الرواية
جوّزوا الرواية بالمعنى وبدّلوا في ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمعلوم أن المسلمين اشتدت عنايتهم بحفظ أسانيد شريعتهم من الكتاب
والسنة من عهد الصدر الاول بما لم تكن به أمة مثله ، فحفظوا القرآن

١- مراتب النعميين - أبو الطيب الكوفي ص ٤٨

٢- مجلة المورد - المجلد التاسع المجلد الرابع ١٩٨٠ : ٦٠

ورواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متواترا آية آية وكلمة كلمة
وحرفا حرفا ، حفوا في الصدور واشبات بالكتابة في المصاحف ، حتى
رووا أوجه ناطقة بلهجات القبائل ورووا طرق رسمه في الصحف وألقوا
في ذلك كتباً مطولة وافية وسفلوا أيضا عن نبيهم صلى الله
عليه وسلم وكل أقواله وأفعاله وأحواله وهو المبلغ عن ربه والسيّد
لشرعه والأمور باقاة دينه . وكل أقواله وأفعاله وأحواله بيان
للقرآن . وكان عبد الله بن عمرو بن الماعز يكتب كل شيء يسمعه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتميته قريبا ، فذكر ذلك للرسول
فقال : - " كتب فوالذي نفس بيده ما أخرج مني إلا حق " (١)

فحفظ المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء
وروا الأحدث عنه و اجتهد علماء الحديث في رواية كل ما رواه عنه
الرواة وإن لم يكن صحيحا عندهم ثم اجتهدوا في التوثيق من صحة
كل حديث وكل حرف رواه الرواة وتفقدوا أحوالهم ورواياتهم واحتاطوا
أشد الاحتياط في النقل فكانوا يحكون بعضهم الحديث لأقل شبهة في
سيرة القائل الشخصية ما يؤثر في العدالة عند أهل العلم . كذلك
توثقوا من حفظ كل راو وقارنوا رواياته بعضها ببعض وبروايات غيره

١- رواه أحمد في المسند برقم ٦٥١٠

فان وردوا منه خطأ كثيرا وحفظوا غير جيد ضمفوا روايته وان كان
لا طائفة عليه في شخصيته ولا في صدقه ، فممنوعة أن تكون روايته
سماخاته فيها الحفظ وقسوا الحديث الى أنواع متعددة منها الصحيح
والحسن والضيق والسند والمتصل والموقوف والمرسل والمنقطع
والمتصل والمدلى والشاذ والمنكر وماله شاهد والمعلل والمضطرب
والمدرج والموضوع والمقلوب.... الخ (١)

ومن المؤكد أن بعض الصحابة كتبوا المؤلفات عن الأحاديث
في حياته صلى الله عليه وسلم ومنهم من كتبها بإذن خاص من الرسول
صلى الله عليه وسلم كما أن أكثرهم قيدوا ما جمعوه في السنوات
الآخيرة من حياته عليه السلام بعد أن أذن بالكتابة لكل راغب (٢) .
أن التدوين للسنة بدأ قبل فسطاط السنة ووقع اللحن واختلاف السرب
بالعاجل .

ومن أشهر الصحف المكتوبة في العصر النبوي الصحيفة المداينة
التي كتبها جامعها عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد اشتملت على ألف حديث كما يقول ابن الأثير (٣)

١- انظر الباعث الحثيث لابن كثير ١٢٥١ بيروت
٢- علوم الحديث - صبيح الصالح ١٩٥٩ بيروت ص ١٣
٣- أسد الغابة - ترجمة عبد الله بن عمر ٢٣٣ / ٢٠

ولقد شاعت في عصر الصحابة صحيفة خطيرة الشأن أمر
صلى الله عليه وسلم نفسه بكتابتها في السنة الأولى للهجرة فكانت
أشبه شئ بدستور للدولة الفتية الناشئة آنذاك في المدينة ومن
الصحيفة التي دون فيها كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حقوق
المهاجرين والانصار واليهود وعرب المدينة .

وعبد الله بن عباس عني بكتابة الكثير من سنة الرسول صلى الله
عليه وسلم وسيرته في ألواح كان يحملها معه في مجالس العلم ولقد
تواتر أنه ترك حين وفاته حمل بغير من كتبه وكان تلميذه سميد بن
جبير يكتب عنه ما يلقى عليه فإذا نفذ القرواس كتب على لباسه ونعله
وربما على ثقبه ثم نسخة في الصحف بعد عودته الى بيته . (١)

ورواية الحديث بالمعنى عدها العلماء وجعلوها قاصرة
على الصحابة دون غيرهم ، ولا بد للراوى أن يكون عالماً بصيراً

بالألفاظ ومدلولاتها وبالمترادف من الألفاظ ونحو ذلك فإن كان الراوى غير عالم ولا عارف بما يحيل المعنى فلا خلاف أنه لا يجوز له رواية الحديث بالمعنى وقصر هذا الأمر على الصحابة دون سواهم وإن استوفى المعنى بخلاف الصحابة فإنهم قد اختلف فيهم أمران :-
أحدهما الفصاحة والبلاغة إذ جعلتهم عربية ولغتهم سليقة والثانى ، أنهم شاهدوا قول النبی صلى الله عليه وسلم وفعله فأقادتهم المشاهدة عقل المعنى حطة واستيقنا المقصد كـ (١)

و قيد بمعنى الخلفاء منع رواية الحديث بالمعنى عن الأئمة المرفوعة وأجازها فيما سواها وهو قول ابن مالك وبه قال الخليل واستدل بحديث (رُبَّ صُلَحٍ أَوْعَى مِنْ صُلَاحٍ) فإذا رَواه بالمعنى فقد أزاله عن موضعه وصرفه ما فيه وذهب بعضهم إلى جواز تنوير كلمة بمرادها فيها عقول (٢)

والصحابة رضوان الله عليهم حرصوا على اللفظ النبوى خصوصا فيما يتعلق بلفظه كالشهاد والملاة وجوامع الكلم الرائمة وكذلك نجد

(١) انظر احكام القرآن - ابن العربي - تحقيق على محمد البخاوي ط

أولى ١٤٥٧ مصر القسم الاول ص ٢١

(٢) الباعث الحديث - ١٤١

التابعين حرصوا على اللفظ وان اخطفت أفاظهم فانما يرجع ذلك الى
قوة الحفظ و ضعفه ولكنهم أهمل فصاحة وبلاغة و قد سمعوا ممن شهد
أحوال النبي صلى الله عليه وسلم و سمع الفاظه .

فمن هذا المرض يتضح لنا أن الصحابة و هم أهمل الثقة
والفصاحة والبيان أدوا الأمانة على وجهها الأكمل في نقل ما سمعوه
من رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، كما يتضح لنا أيضا أنهم
دوّنوا بعض أحاديثه في حياته صلى الله عليه وسلم كما أن القيود
التي وضعت لرواية الحديث بالمعنى تشع رغبة الاحتجاج لمجرد تعديل
لفظ، والقواعد التي وضعها علماء الحديث لقبول الحديث والتي
حقّقوها بأقصى ما في وسع الانسان، احتياطا لدينهم فكانت قواعدهم
التي ساروا عليها أمحّ القواعد للاثبات التاريخي وأعلاما وأدقبيبا .
و قد دعم فيها علماء اللغة والادب والتاريخ وغيرهم وطبقوا قواعدهم
عند ارادة التوثيق من صحة النقل في أن شيء يرجع فيه الى النقل
فعلم الرواية بلا شك أساس لكل العلوم العقلية الاخرى .

والذين ضلوا الاحتجاج بالحديث بحجة روايته بالمعنى وتعديل
الالفاظ و قبلوا الاستدلال بالشعر ، فات عليهم أن الشعر لحقه ما لحقه

من التبديل، والتحلل، والتعريف، وهو أمر غائب بين رواة الشمر منتشر
في كتب الأدب والأشلة كثيرة مستفيضه منها ما رواه ابن حنبل يستند
عن أحمد بن يحيى قال : كان يحضر ابن الأعرابي شيخ من أهل
مجلسه فسمعه ينشد :-

و موضوع زين لا أريد برامته

كانس به من شدة الروح أنس (١)

فقال له الشيخ ليس هكذا أشدتنا يا أبا عبيد الله فقال كيف
أشدتك ؟ فقال له (و موضع الضيق) . فقال سبحان الله تصحبنا
منذ كذا وكذا سنة و لا تعلم أن الزين و الضيق شيء واحد .
ثم يقول ابن حنبل معلقاً فهذا لعمرى شائع في الشمر وتعريفه جائز
لأنه ليس ديناً و لا عملاً سنونا "

والبيت للمرقى الأكبر ذكره المفضل الضبي (٢) في قصيدة له

مالمها ..

أمن آل أساءة اللول الدوارس

يخالف فيها المطير قفر بسابس

١- السكتب- ابن حنبل ، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين المجلس

الاعلى للشئون الإسلامية ١/ ١٩٧ - ٢٩٨

٢- المفصليات- تحقيق و شرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام حارون

الطبعة ١٩٦٤ دار المعارف - مصر ص ٢٥٥

و فيها ورد البيت على هذا النحو :-

ومنزل ضحك لا أريد حبيته

نأسى به من شدة الرّوع أناس

ومن السّحدثين الذين تّوسّطوا ثوباً الشّاذلي الاسـتان /

محمد الخضر حسين الذي يرى أن ستة أنواع من الأحاديث لا ينبغي

الاختلاف في الاحتجاج بها في اللغة وهي عنده (١)

أحدها :- ما يروى بقصد الاستدلال على كمال فصاحته عليه

الصلاة والسلام كقوله : حي الوطنيين وقوله مات حتف أنفه وقولته

(الظلم ظلمات يوم القيامة) الى نحو ذلك من الأحاديث القصار

المشتملة على شيء من معاسن البيان كقوله (مأزورات غير مأجورات)

و قوله (إنّ الله لا يملّ حتى تملوا)

ثانيها :- ما يروى من الأقوال التي كان يتعبد بها أو أمر بالتعبد

بها كالألفاظ القنوت والتحيات وكثير من الأذكار والادعية التي كان

يدعو بها في أوقات خاصة .

ثالثها :- ما يروى شامداً على أنه كان يخاطب كل قوم بلغتهم ومسا

(١) دراسات في العربية و تاريخها - ط الثانية ١٩٦٠ دمشق ص ١٧٧

هو ظاهر أن الرواة يقصدون في هذه الأنواع الثلاثة لرواية الحديث بلفظه .

رابعاً :- الأحاديث التي وردت من طرق متعددة واتحدت ألفاظها فإن اتحدت الألفاظ من تعدد الطرق دليل على أن الرواة لم يتمسروا في ألفاظها والراد أن تتعدد طرقها إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى الصحابة أو التابعين الذين ينطون الزام العرب فصيحاً .

خامساً :- الأحاديث التي دونها من نشأ في بيئة عربية لم ينتشر فيها فساد اللغة كما أن ابن أنس وعبد الملك بن حريش والإمام الشافعي .

سادساً :- ما عرف من حال رواة أنهم لا يميزون رواية الحديث بالصنع مثل ابن سيرين والقاسم بن محمد ورجاء بن حيوة وعلى ابن المهدي .

وخلاصة القول عندنا : أن الأوائل قللوا من الاستدلال بالحديث ولم يعتمدوا منه شيئاً لا نضالهم برواية الثمر وعلم اللغة والادب وذلك تأثراً بالبيئة الثقافية التي عاشوا فيها . كما أن من احتسج بالتمر وضع الحديث لأنه روى باليمن ولحقه من التبديل ، كان

الاجدر به أن يمنع الاحتجاج بالشعر أولاً، لأنه لم يكن بمنزلة مسن
التبديل . وما و غيره الاوائل من تشديد و قيود لقبول الرواية ففى
الحديث لم يضمنه رواة الشعر و لا القائلون بأمر روايته و أن الصحابة
الذين استموا بالحديث النبوى هم أهل فصاحة و بلاغة و بيان - كما
أن الغفل بالمعنى إنما كان فى الصدر الاول قبل غساد اللغة و غايته
تبديل لفظ بلفظ يوضح الاحتجاج به و هذا ممّا لا حاجة به من العلماء
الصدر الدمايين (١) فيما يحكيه عنه صاحب خزنة الادب . فان صححت
الرواية صحّ الاستشهاد .

الفصل الرابع

الأسلوب القصصى فى الحديث النبوى

الأسلوب القصصى من الأساليب المحببة للنفس البشرية ومبه شئ
 عزيزى إذ أنه ^{يقوم} على سبب الاستدلال وترقب النهايات واستعظام المفاجآت
 وحسن لحن القرآن معالجة النفس الى القصص جاء بأخبار الأولين
 من أمثال نوحين وهاد وشموه ومن قصص مريم وامرأة العزيز وعلقيس
 وأمن الكهنة ، وقد تناولت القصة القرآنية جميع الأغراض الدينية
 تقريبا . فاثبات الوحي والرسالة واثبات وحدانية الله وتوحد الأديان غير
 أساسها والانهذار والتبشير ومظاهر القدرة الالهية واثبات الخير والشر
 والمجلة والترهيب والفسر والجزع والشكر والبطل وكثير غيرها من الأغراض
 الدينية والمراسى الخلقية قد تناولته القصة وكانت أداة له وسبيلا اليه (١)

ورسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم وهو تلميذ القرآن الكريم - استخدم
 القصة فى الهداية والارشاد بعد أن أدرك أثرها فى النفوس فجعلها وسيلة

(١) التصوير الذى فى القرآن ، سيد قابيل / ١٦٠ .

من وسائل الدعوة الشريفة الى الاسلام ، تقرر الحقيقة وتبسط الفكرة
وتشرح العقائد وتوضح الطريق وتفسر القرآن وتذكر من الخطأ وتذكّر
بالخير وتبين ما غشى وأبهم ففي صراحة تنفع العقل وتمتع الوجدان .

والقصة النبوية وان كانت ذات غرض ديني إلا أنها اتسمت ببعض
الخصائص الفنية التي بها يتحقق الغرض الديني للقصة عن طريق الجمال
التي ان هذا الجمال يجعل ورودها الى النفس أيسر ووقعها في الوجدان
أعمق . فالمتبع لأحاديث النبوة يجد فيها كثيرا من كلام النبوة قد
سبب في قلبه صدى يتناول كل منها جانبا من جوانب الحياة . وهي
مع قصورها وإيجازها - في أغلب الأحوال - نجد فيها أبرز سمات القصة
الفنية ونماذجها . نجد فيها عنصر التشويق واستثارة فضول الناس وحب
حب الاستطلاع فيهم والتصوير الفني للمواقف ، فهو ملي الله عليه
وسلم يصل الى مناط الحركة النفسية والفكرية والسلوكية والعاطفية
في تلقية ، فيقدر بها على توجيهه في الوجهة التي يريد ما نفسيا
أو فكريا أو سلوكيا أو عاطفيا .

والقصة النبوية تأخذ سمات البيان النبوي ذاته فمضمونها هو
مضمر البيان النبوي وأسلوبها لا يكاد يختلف عن باقي نونه إذ الأسلوب
يشي من نوع واحد وينظر، متعجب الشرق الى غاية واحدة .

فإن أراد صلى الله عليه وسلم غرس معاني الرحمة الواجبة - التي
للحيوان في نفوس أصحابه - لم يكتف بإلقاء العظة جافة جافية وإنما
ونصها في أسلوب قصصي جذاب فهو يقول :-

(بينما رجلاً يمشي في الطريق ، اشتد عليه العطش فوجد بئراً
فنزل فشرب ثم عن فإذا كلب يلعب يأكل الثرى من العطر فقال الرجل :-
لقد بلغ / إذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مَنى فنزل البئر فملأ^{البلع}
عنه فسقى الكلب فشكر الله فعر له) (١) رواه البخاري ومسلم .

قصة موزعة كاد الا يذاز أن يبلغ بها مبلغ الغبر ألا أن هذا الايجاز
المجرب لم ينج بمرور الساعات الفنية في عروضا فيها التصوير النفسى
للرجل الذى اشتد به العطش وما من أحد منا لم يمر بهذه التجربة

(١) القناع الجامع للأشهر في أحاديث الرسول - تأليف الشيخ منصور علي

وكلنا يدركه المحاناة التي يعيشها من يحرم من الماء أو طعاماً ، ولنا
أن نتخيل حال الرجل النفسية وهو يجد البحر ولكن على انتهى الأمر
الى هذا الحد وهو المشهور على ما هو مطلوب وهو الماء ؟ كلا ، بل
تقابل هذه الحالة النفسية حالة أخرى وهي حالة الكذب الذي يلهم
من شدة المطر والتصوير اليلبيخ الذي رسمه الحديث ان أنه بلغ به
الحال حتى أكل الثرة ، ورقة قلب الرجل الذي أثارت حال الكسلب
حتى نزل وسقاء ، حتى ذلك من الاشارة والتشويق ما تعجز عنه طسوال
القصص . وبعد ذلك لا تخفى عليك المائة الهادفة التي وضعت في
ذلك الاسلوب الممتح فكانت بالنفس ألمق والنفؤاد أعلق .

وهو ان أراد صلى الله عليه وسلم أن ينبر الناس أن الله يفرح بتوبة
العبد وإنابته ، لم يكتف بإلقاء الخبر صلباً مجرداً وإنما يضمه
في اسلوب قصصى شيق يقول عليه الصلاة والسلام (لله أشد فرحاً بتوبة
عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت
منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فانصاع فسمى
البا قد أيسر من راحلته فيها هو كذلك ان هو بها قائمة فأعد

بخطامها ثم قال من شدة الفس : اللهم أنت عبي وأنا
ربك أعط من شدة الفس (١).

فالمعرض الديني واضح وهو فتح باب التوبة للجميع ألا أن
الاسلوب الفني الأخاذ يجعل منها درساً فنياً لا يكاد يفارق مداء
كل من تلقاه فالرجل الذي ذهبته راحلته وأملها بغير قصد
عليها طعنه وشربه . وسرح الأعداء في هذا كله أرض فلاة أي
مخافة مهلكة ليس فيها ما يؤكل أو يشرب ، فلك أن تتصور حال ذلك
الرجل في تلك المخافة وعالة اليأس التي أصابته حين فقد راحلته
التي عليها زاده ومناحه ، ألا يثير كل ذلك في النفوس أشواً يليقاً ،
ويعد سوء حالة تهيئ المفاجأة السّارة إذ هو بها قائم ، لا شك
أنه تحول مفاجئ ومن مفاجئ ، مؤرّه أبلغ تصوير إذ أنه في حال
دهشة ودحول يخطئ فيقول : اللهم أنت عبي وأنا ربك وبذلك
يتحقق المعرض الديني وهو قبول الله للتائب الأيب المقلع عن العاصي
والذنوب والنادم على ما فعل .

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات ، باب التوبة .

سادت المذبح الصربي معتقدات غائبة طُلت تقويم قرونًا
أولية منها عقيدة منحوسهم لبلدان الكينة والعرافين والاحبار والانساب .
يقومون فيها القدرة على الشفاعة عند الله لتخليصهم من ذنوب وآثام
اقتروها أو حمايتهم من نواصب الزمان حتى قالوا : - (عا نعيدهم
الآ ليقرّبونا إلى الله زلّٰى) (١) قلّمًا جاء الاسلام وجد هذه المعتقدات
قد سادت على المجتمعات الكتابية ، فربّاه الذين تدبّلوا الله
وسأله يتوسّل بها إلى الله ويستشفع بها للمؤمن من كلّ ما يصيب
من ثم كان تعليل البشرية من ذلك المعتقد من القضايا التي اهتم
بها القرآن الكريم فتناولها في سور مختلفة وفي مواضع متعددة من
ذلك قوله (عا تنفخهم شفاعة الشافعين) (٢) وقوله (ليس لهم
من دونه ولّٰى ولا شفيع لحكمهم يقتنون) (٣) وقوله (لا يملكون الشفاعة
الآ من اتعت عند الرحمن عهدا) (٤) وقوله (إن يردن الرحمن بضر
لا تفن عنى شفاعتهم عيّا) (٥)

(١) سورة الزمر / ٢

(٢) سورة العنكبوت / ٤٤

(٣) سورة الأنعام / ٥١

(٤) سورة مريم / ٨٧

(٥) سورة يس / ٢٢

أراد الرسول صلى الله عليه وسلم عنج تلك القيمة تبياناً للقرآن
فتناولها في عمل تسمي بين قيمة العمل العالي وأثره في كشف ما
يجيب الإنسان من كوارث وأماكن الاستشفاع به إلى الله ، وبما أن الله
الشفيع الحق الذي يقبله الله تعالى ، ويبين أبحاثه وحدوده ويقرر
أن العمل الذي يقصد به زيادة الله ورصاء أيّا كان هو خير شفيع
عند الله غيابة القيمة عن أبي هريرة رضي الله عنه (بينما ثلاثة
نهر يمشون فآروا إلى غار في جبل فانحطت على غارهم صخرة
من الجبل فأتيتهم عليهم فقال بعضهم ليحرقوا أناروا أعمالا عملتموها
بالحمة لله فادعوا بها لعل الله يفرجها عنكم ، فقال أحدهم : اللهم
إنه كان لي والدان شيان كبيران وامرأتى ولي صبية صغار أروى
عليهم فإذا أروى عليهم ، لميت بعد أت بوالدتي فميتت ما قبل بتي وأنه
نأتمنى ذات يوم الشجر فلم أت بتي أسيت نوجدت ما قد ناما
فلميت كما كنت أملك فميتت بالمال فميتت عند رؤسهما أكره أن أوقفهما
من نوصهما وأكره أن أسقى الدببة قبلهما والدببة يتأفون عند قدمي
فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع النجم ، فان كنت تعلم أني فعلت
ذلك ابتغاء وجهك فافرح لنا فرجة تفرق منها السماء ففرح الله عنهما

فرجة فرأوا السماء . وقال الآخر : اللهم انه كانت لي ابنة مائة
أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء فطابت اليها نفسها فأبنت
حتى أتيتها بمائة دينار ، فتميت حتى جمعت مائة دينار فميتت بها
بما فلما وقفت بين رجليها ، قالت : اتق الله ولا تفتر الخاتم
الآ بمقصة نفقت عنها . فان كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك
فأخرج لنا فرجة . فخرج ليهم . وقال الآخر : اللهم اني كنت
استأجرت أجيراً بفرق أرز فلما تمى عمله ، قال : أعطني حقى نعمت
عليه فرفقه ، فرغب عنه ، فلم أر أرزه حتى جمعت منه بقراً وروءاً ما
فجاءنى فقال : اتق الله ولا تظلمنى حتى ، قلت اذهب الى تلك البقر
ورعائها فخذها ، فقال : اتق الله ولا تستبدننى بى فقلت : انسى
لا استبدى بك . فخذ ذلك البقر ورعائها فخذها فذهب به فان كنت
تدلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأخرج لنا ما بقى ففرج الله ما بقى (١)

أراد النبى الترميم لحوائد الله وسماحه عليه توضيح أهمية المصالح
النال في الحياة إذ هو ينقل من الضيق ويفر من الكرب فكانت هذه فكرته

(١) أخرجه البخارى في كتاب الإجازة في باب إذا اشترى شيئاً لغيره بخير
أذنه فربى

الاساسية في القصة . الا أن هنالك بعض الافكار الخلقية الدينية تساند هذه الفكرة وتتصل بها بخيوط حبرية رفيعة ولكنها حينة تحكم الربط ، تلك هي فكرة حبّ الوالدين والقيام بخدمتهما وحسن رعايتهما والاحسان اليهما عند المتحدث الأول . وفكرة ثانية هي الرجوع عن المعصية بمد الاقدام عليها وذلك ما حكاه المتحدث الثاني ، وثالثة الافكار كانت التخلّص من سلطان المال وسداوته وتسلطه لساقيه وما كان لأحد أن يمنعه من استحواذه لولا ما وجد بداخله من قوى تدفعه عن ذلك عنده ثالث الرجال . تلك أفكار قوية تؤدي الى الفكرة الاساسية وهي تقرير العدل الصالح بل انما تدلّك عليها بأحداثها الواضحة

والتأمل في بداية القصة يجد أنها بداية مشيرة للفضول في كلمات موجزة قليلة أفنت عن وصف مسهب يقوم به منشئ ليرسم الأحداث (بينما نهر يمشون فأبوا الى غار في جبل فأنحطت على غم غارهم صخرة من الجبل فأنابت عليهم) فانطباع الصخرة فيه من المفاجأة والاثارة ما يشد المستمع ويشوقه الى تتمة ما كان .

والرسول صلى الله عليه وسلم حين جعل الأسلوب القصصى من
معدنه التى يخزونها بها المشاعر ويبنى النفوس انما اعتمد على سلاخ
قوة نفاذ وقد أجاد استعماله بما أيدع فى قنده من تصوير
وتلوين لهذه القوة وإن اعتمدت على عنصر المناجاة وكان اقوى العناصر
فبما حيث رفع كل سجين يده ليناجى ربه بما أسلفه من الخير
فى حياته طلباً للنداة ولكننا ايضا اعتمدت على التصوير الدقيق وفق مناجاة
الأول سورة الوالدین يغطان فى الندوم والابن قائم على رأسيهما والصبية
يتنامون فالمناجاة النفسية بين بكاء الاطفال وتبثر الوالد وتماسكه حتى
يستيقظ والداه ليس من أكبر المقابلات وهنا أيضا فهم الهدف الخلقى من
مراجعة حقوق الوالدين نعمنا تأثيرها لم ينبج من الوعد ولكن من رسم المشهد
فى أدق صورة وهنا جاءت النتيجة السارة المرتقبة إذ تزمزجت السمرة فرأوا
لون السماء وتوترت السمسم لتخيل الحال النفسية التى صبحت ذلك الترحح .

يصور

والموقف الثانى الذى /لنا حالا من حالات الخوف البشرى والخصن
لسلطان الشهوة والدعوة الخالصة المقتبة الى العفة وصيانة المحارم لى
صورة دقيقة تجذب بتأثيرها الرائع نفس السامع فتقوم مقام عشرات من الخطاب
المشيرة فى التوبن والمفاد ثم يأتى الفرج .

ساجدة ثالثة ترسم ساجدة غريبة ، أجير كان يامع في أجير زعيم .
لقيا يمانع إلى عليه فيقول له صاحبه اذ يبالى تلك البقرة فمذمما
فلا يصدق الحلاق ويوضح : استهزئ به ؟ ثم يبتدأ جدا لا يصدق
فيه فيخرج - اسم البقر والرعاة . أى دعوة إلى المحافظة على حق الأجير
أقوى ممارسته القصة في عملها الأخير ؟ وأخيرا جاءت النتيجة
النسائية سارة سامقة ان كشف الله المصرة فمربوا يمشون .

قضية أخرى هي قضية الانسان بين ماضيه واختلاف الناس
في ذلك وتباينهم فهم من ينكر ماضيه تماما ويحاول الغاء هذه الفترة
من حياته ومنهم من يظل على ذكرها متعلقا بها دافعا للخير . هذه
القصة تعالج بأسلوب قصص نبوة شريفاً أتمد فيه على تصوير الاشخاص
ومى قصة الأبرص والأقرع والأعمى التي رواها الشيخان (١) عن
أبي هريرة رضي الله عنه قال :- سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : ان ثلاثة من بني اسرائيل أبرص وأقرع وأعمى ، فأراد الله أن

(١) الصلاة ٥ / ٢٢٥

يطلبهم فيحث اليهم ملكا فأتى الأمير فقال : أي شيء أحب اليك ؟
قال : لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قدزني الناس ، فمسحه
نذهب عنه قدزه وأعطاني لونا حسنا وجلدا حسنا . قال : فأى المال
أحب اليك ؟ قال : الإبل فأعطاني ناقه عشرة . فقال : بارت الله
بك فيها . قال : فأنى الأقصر ، فقال : أي شيء أحب اليك ؟
قال : شجر حسن ويذهب عني هذا الذي قدزني الناس قال : فمسحه
نذهب عنه وأعطاني شجرا حسنا . قال : فأى المال أحب اليك ؟
قال : البقر فأعطاني بكرة عاملاً . فقال بارت الله لك فيها . قال
فأنى الأعصى فقال : أي شيء أحب اليك ؟ قال : أن يرد الله الربوى
فأعمر به الناس قال : فمسحه فردد الله اليه بخره . قال : فأى المال
أحب اليك ، قال : الذئب فأعطاني شاة والدأ فأنتج مدان وولد هذا
فإن ليذا وإن من الإبل وليذا وإن من البقر وليذا وإن من الذئب
فإن : ثم أتى الأمير في صورته وهيئته . فقال : رجل مسكين
قد انقأ حملي الحبال في سفرى ، فذا بلغ لى اليوم إلا بالله ثم بيت .
أسألك بالذى أعلمك اللون الحسن والجلد الحسن والمال ، بحيرا أتبلغ
عليه في سفرى . فقال : الحقون كثيرة . فقال له فأنى أعرفك ، ألم تكن

أبصر بقذرة النار ، فقيرا ، فأعطاه الله ؟ فقال : إنما ورثته
هذا المال كائرا عن كابر . فقال : إن كنت كاذبا فميراث الله الذي
ما كنت . قال : وأتى الاثنيون من صورته فقال له : مثل ما قال لهذا
روا عليه مثل ما روا عليه هذا . فقال : إن كنت كاذبا فميراث الله الذي
ما كنت . قال : وأتى الأثنيون من صورته وحيثه ، فقال : رجل مسكين
 وابن سبيل انقطعت يدي الديار في سفر ، فقال : قد كنت ألقى فردا الله
 الذي يسرى ، فأنقذ ما شئت ودع ما شئت . فوالله لا أجهل بك اليوم
 شيئا أنته الله . فقال : أصحت مالك فأنما ابتليتكم . فقد رضى عنه
 وسخط على ما بهيك (رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق والبخاري في
 بدء الخلق) .

شهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الأسلوب القصص قصدا ،
 متوسلا به للوصول إلى أعمار النظم البشرية والتأثير ، فتقدم حالات
 بشرية مماثلة تفضي عما قد يخفى على الأنسبان ، وتكشف السر من
 أسرار النفس وتبرز النتيجة الزمة لهذا من واقع الإنسان ذاته فالقصة
 ترسم لنا شخصية من هؤلاء المشردة صورتين متقابلتين بينهما من القسوة
 ما بين السماء والأرض من أبعاد وتأمل الصورتين المختلفتين يجلسون

تأخذ النعمة وحول النعمة . ويحسن التفسير حين يتفقه المتأملان ليقول
أحمد ما في تحت عازي : كأنني أرفهه ، ألم تكن أهرى يقدرك الناس ؟
خيرك عليه ما به . متشامخا . وإنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر
فيمنحه البرد الطمع مجابها : إن كنت كاذبًا ، فسيترك الله إلى ما
كنت . أما الأعمى فيحسن بمأساته القديمة وتناد تتجسم بهولها الفادح
لحيثيه ، فيقول في أنا مشفق : أربل كنت أعمى فرد الله بصري ففكنا
ما شئت ودع ما شئت . فوالله لا أجهل هذا اليوم شيئًا أخذته لله .
كلمات هادئة مسيرة يقرأها القارئ لا ليتم بحناها الاجتالي ، كما
يدالح كثيرا من الآثار ، ولكنه يقرأها لترسم أمام عينيه فكأنه يستعرض
شريطًا سينمائيًا يمشي له الأرض والأقعر والأعمى في الخفض والشدة
والبناء والشفاء حتى اذا انتهت مشاهد الشريط لم ينقاع تيارها الدافق
بل تنسى مزال التأمل للصبر وهي بذلك تدفع الأيدي الصحيحة التي
اليسر بعد أن عرفت بها معاقل الشئ والاصبات .

والتأمل في هذه الصورة لابد أن يسبق سباحًا طويلًا في عوالم
البحر ويذهب بخياله إلى أماكن يفرغيم في مدى حياته رزقوا الصحة

بعد المولى والذى بعد النقر والجهاد بعد المدة ، فكفروا بأنهم
 الله وأنابوا عليهم قوله الكريم (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى)^(١)
 وقوله عز وجل (ولو بساط الله الرزق لعباده لبخوا في الارض)^(٢)
 وما لنا نحمد وأمانا نحن القرآن في محبة بين مطب^(٣) الذي قال :-
 يا رسول الله ان الله أن يرزقني مالا فقال صلى الله عليه وسلم يا شعبة
 قليل تؤد شكره خير من كثير لا تأتته فراخه وقال والذي بحشمه
 بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه قدما له فاتممت
 فتمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع
 عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل نشر
 ماله حتى لا يسمه وان قال يا ويح شعبة فيمت رسول الله عليه وسلم
 حديثين لأخذ الصدقات استقبلهما الناس بمدقاتهم ومرا يملأه
 فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الفداء
 فيه الفرائض فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أعت الجزية وقال أرجع

(١) سورة العلم / ٦

(٢) سورة المورى / ٦٠

(٣) الكشاف / ٢ / ١٠٣

حتى أرى رأى فلما رجعا نازل لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل أن يكلماه يا ويى شعبة مرتين فنزل قوله تعالى (فلما آتاهم
من فضله يخلوا به وتولّوا وهم معرضون) (١).

والأسلوب القصصى كما أسلفنا يأخذ سمات البيان النبوى ووسائله
فى الإيحاء شأنه فى ذلك شأن السبل الأخرى فى الإيجاز والتصوير
واختيار الألفاظ والدقة فى التعبير وذلك بجانب الإشارة والتشويق فالإيجاز
صفة غالبية على أسلوب النبى صلى الله عليه وسلم بصفة عامة وأسلوبه
القصصى بصفة خاصة ، وهو واضح فى قصة الرجل الذى اشتد به العطش
وغيرها من القصص التى تعالج جانبا من جانب الحياة . والإيجاز والدقة
أيضا ملاحظتا فى الكناية البديعة الليفة فى قول البنت لابن عمها
(اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه) وفى غيرها من اللفاظ القليلة
التي تحمل كثير المعانى كقول الطاهر فى قصة الأعمى والأقرع (رجل
سكين قد تقطعت بهى الحبال) والدقة فى قوله صلى الله عليه وسلم
(نازا كلب يلهث يأكل الثرى من المطر) ولم يقل يلهث من المطر أو
اشتد به الحر . لكن فى عبارة موجزة موجبة مبرر عن شدة العطش وما بلغه
من مله .

وبارة دقيقة أخرى في قصة الرجل الذي انفلتت منه راحلته إذ يقول
(كان على راحلته بأرض ناقة فانفلتت منه وعلينا طعامه وشرابه) فلما أراد أن
يوضع بحاله يدقة جعله في أرض ناقة وجعل الراحلة تذبح كذلك بالطعام
والشراب ، فكان فقدان الراحلة وفقدان الأحماء والشراب ، دقة في تصوير
سوء حاله في تلك الحالة المملكة .

أما الشخصيات التي يقوم عليها الأسلوب القصصي في البيان النبوي
فلا تجد اهتماما منه على الله عليه وسلم - أكثر من التمرس على ما صدر
منا في الدلائل الخاصة ، فتجده في أغلب قصصه لا يحرر القارئ بها
اسما أو مؤنا أو زمانا أو مكانا ويكتفى بتقديم تقديم عام فتجده
يقول مثلا (بينما رجل - أو بينما امرأة أو شاة نفر وهكذا)
لما أنه لا يهدف إلى توضيح المواقف التي تربط الأشخاص ولا
تمتص بإبراز شأن من بينهم إلا بالتدر الذي يكشف عن
الأحداث .

وتدلف الأحداث لا تجد اهتماما متزايدا إلا بالقبائل
الذي يبرز المواقف لما أن المواقف فيها منتقاة بالقدرة الذي يوصل

المتلقى إلى الخاتمة والهدف .

وهذا الاغفال لشعائر والأحداث، اغفال مقصود منه على الله عليه وسلم انه أن - كناية الأحداث ليست مقصودة في ذاتها بل يقدم منها الجانب الذي يكشف عن الخزن دون سواء .

فالقصة في البيان النبوي تقوم على أحداث متفرقة مختلفة لا ينامها رابط الزمان ولا رابط المكان ولا رابط الاشخاص وهكذا يتحقق للقصة غرض من أدق الأغراض الاسكانية بما تقوم عليه من أحداث لامراء في توافيقها مع كل عصر وجيل فهي ليست أحداثا خاصة بتوم معينين ولا مقصورة على بيئة معينة وإنما هي نماذج انسانية مبالغة متكررة على مدار التاريخ الانساني كله ، وهذه غاية الرسالة المحمدية التي تصلح لكل زمان ومكان

الفصل الخامس

الخطابة النبوية

الخطابة من معروف عند العرب في الجاهلية ، ولما كانت الحياة قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، حياة حروب وفترات وخصومات ، مع الحرية التامة ، كان لابد أن تفيض اللسان الفصيحة بما تجيش به الصدور فتأخذ العرب من مجالسهم في مضارب خيامهم ومن أسواقهم ومن ساحات الأمراء ووفاداتهم عليهم ، مبادين لاظهار براعتهم وتفننهم في المقال معتمدين في ذلك على طكاتهم البيانية وما فارقوا عليه من مهابة ولسان ربيان وفصاحة وحضور بديهة .

والاغراض التي استخدمت فيها المهابة الجاهلية لم تكن سوى المناقرات والمفاخرات^(١) بالانساب والانساب والمآثر والمناقب والخصى علمى القتال وبحث المجددة في نفوس قبائلهم ودفعها الى نيران الحرب ، وفي بعض الاحيان في الدعوة الى السلم واصلاح ذات البين ، وخطاباتهم في الوفاة على الامراء ذائعة شهرة .

(١) البيان والتبيين ٣ / ١ .

وواضح من هذه الاغراض أن الخطابة الجاهلية لم تخاطب العقل

مخاطبة رامية بهيمنة ولكنها كانت صرخة متحمسة يبيع بها في ملأ أي
أما لم تكن خطابة منطقية مقنعة كما أنها في كثير من أحوالها تفتقر
الى السداد ، إذ أن الخطيب لا يلتزم باتباع المنطق في القول والحجة
والمناقشة ، ويحلونها محالا للخلافة والمعاهاة ومونوا للاقتدار بالصناعة
والاغراب ومصدر فيه وإجاب . فجاءت الخطابة الجاهلية لا تمنى بالترتيب
والتسلسل ولا تركز على أساس من وحدة الموضوع وحدة المنطق وكان
اسلوبها يعتمد على الاسجاع والتزين كأسجاع الكهّان التي كانت تعتمد
كثيرا على الابهام والموض والاغراب .

وكانت الحرب تخطب بالناصر وتعتمد على الأرض بالقسي وتشير بالنسي

والقنا وقال الشاعر :-

عبد السيم يخفر الحديث وتولم اذا ما دعوا في الامر وحى الناصر (١)
كما أنهم كانوا يلزمون النائم في أيام البصير .

وقد مدحوا في الخطيب جملة الصوت وسمة الفم كما مدحوا فيه
اللسن والصناعة وحدة الحارضة وظهور الحجة . ودعوا فيه البصير
والارتعاش والحرن والبصر والتشويق والتكلف والاغراب .

(١) المرجع السابق ، ٢ / ٥٠٠ .

ولما جاء الإسلام وكلف الرسول بالدعوة إليه سرًا وجهراً وامره
بتفصيل ما أجمل القرآن وتفسير ما أُبهِم فيه توسّل صلى الله عليه
وسلم إلى ذلك بكل الوسائل التي يرى أنها صحيحة ما كلف به من
ربّه وكان من بين تلك الوسائل مخاطبة الجمع ومعارضتها ، قصدًا إلى
الافتقار وإزالة اللبس ، والتجديد استجابة لقوله تعالى (ادع إلى
سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وبإذليل بالتي هي أحسن) (١) .

جاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والخطابة الجمالية ، كما
أسلفنا لا تتركز على أساس من وحدة الموضوع وحدة المنطق فأحدث فيها
انقلاباً كبيراً ، شغل الشكل والمضمون والأسلوب والأفراض . ومن ثم أخذ
فن الخطابة مكانة بين فنون البيان عند الرسول صلى الله عليه وسلم
وأقبل عليه يوظفه في تلك الوظيفة الدينية الجديدة . ويخاطب به كل جمع
ويتبرج فيه الأسلوب الأمثل ، الذي يملكه يكتسبه الناس ويقولون .

ورسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه تأن الشكل الأعلى للخطيب
الممتاز شكلاً وموضوعاً ، أما من ناحية الشكل فقد كان المظهر المرعوى
لشخص الخطيب من بركات توفيقه كما كانت جسارة الموت وقوته من بؤابر النجاح

ولنستح مما الى وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم في سيرة
ابن هشام (١) فيما ذكر عمر بن الخطاب عن ابراهيم بن محمد بن علي
بن ابي طالب قال : كان علي بن ابي طالب عليه السلام اذا نعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : لم يكن بالطويل المنقط (٢) ولا القصير
المتردد كان راحة من النوم ، ولم يكن بالجمع القطط ولا السبد . وكان
جمدا رجلا ، ولم يكن بالمناهم (٣) ولا الكلثم (٤) وكان أبيض مشربا ادعج
العينين أهدب الاشعار جليل المشام (٥) والفتك (٦) دقيق المسرة (٧)
أجرد شثن الكفين والقدمين ، اذا مشى تعلق كأنما يمشي في صلب واذا

(١) سيرة ابن هشام مراجعة محمد بن الدين عبد الحميد ٧/٦

(٢) المنقط : المنقطع

(٣) المناهم : المناهم الجسم ، أي أنه لم يكن بدينا شديد البهانة .

(٤) الكلثم : المستدير الوجه في مخر .

(٥) الفتك : ما بين الكتفين .

(٦) المسرة : الشعر الذي يمتد من الصدر الى السرة .

التفت التفت ممل ، بين كتفيه خاتم النبوة ، وهو خاتم النبيين ، أجود
النساء ، كفا وأجراً النار ، مدرا وأمدن الناس لهجة وأوفى الناس ذممة
والبنهم عريكة وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة خيبة ومن عاد له
أبته ، يقول ، ناعته ، لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم .

ومن كانت هذه أوصافه وهذا شهره لابد أن يحوز بؤابر النجاح
لمجرد رؤيته ، إذ القلوب إليه أجناب وعلى سمعه أحرص .

أما صوته فقد كان سدياً مفصلاً حتى ليحفظه السامع إذا سمعه
لا يحيل إلى غضب مرتفع ولا تحرقه حبيسة ، ولا تقف به ثأثة أولئقية
" كان إذا غاب ملامحته وأحمرت عيناه واشتد غنجه كأنه منذر جبار
يقول صيحهكم وصياكم " (١)

وجساره المروءة حيا الحربي في العايب وذموا الثقيل الصوت
قال الجاحظ : (٢) حدثني محمد بن يسر الشاعر قال : قيل لأعرابي

(١) زاد المصنف ٤٠ / ١

(٢) البيان والتبيين ١ / ١١٠

ما الرجال قال : طول القامة ونمى الهامة ورجب الشدن ومعد
الصوت .

(١) عما مدح به الثماني :آرون الرشيد :-

جهير العظام شديد النبال جهير الرءاء صير النشم
ويطوع على الأبن خطو الظليم ويملو الرجال بجسمهم

وقد كان العباد بن عبد الملك يجهير الصوت وقد مدح بذلك وقد
دفع الله المسلمين بدمارة صوتهم حين ذهب إلى الناس عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فتنادى العباد : يا أصحاب السرة هذا
رسول الله فتراجع الثوم وانزل الله عز وجل النصر وأتى الفتح .

وقال بنماز بن برمك يجهو بمض الخطباء (٢) :-

ومن عجب الأيام أن قمتنا أقا

وأنت تعيل الصوت منتفخ السمر

(١) المرجع السابق / ١١١

(٢) البيان والتبيين / ١١٢ .

أما الاعتماد النبوي بالوضوح في الخطاب فقد مالا عليه أقارب
نفسه ، قد تناول فيها كل ما يتعلق بالدعوة الإسلامية من عقائد
وعبادات وقيم أخلاقية وآداب سلوكية سامية وغير ذلك مما جاء به
الاسلام فروحا وأصولا . ولم يترك على الله عليه وسلم مناسبة أو فرصة
يجتمع فيها الناس الا انتمزوا فرصة لبيان أمر من أمور الاسلام ولتقد
حرص على الله عليه وسلم على مراعاة الموقف والقضية التي يعالونها في خطابه
والناس الذين يخاطبهم فجاءت خطابه متباعدة في الطول والاسلوب .

سمات الخطابة النبوية :-

(١) الإيجاز :-

الإيجاز هو تأدية المعاني الكثيرة بالالفاظ القليلة وهو غالب على
أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الإيجاز قوة في التعبير وامتلاء
في اللفظ وشدة في التماسك وهذه صفات تلازم قوة العقل وقوة الريح
وقوة الشموخ وهذه القوة كلها على أكمل ما تكون في الرسول ومن هنا
جاءت جوامع الكلام على خبايه .

فقد جاءت معاني خطبه عليه السلام موجزة تحمل المعاني الكبيرة
وقد بدأ عليه الصلاة والسلام الخطاب الطوال بالكلام القصير ، إذ أن الإيجاز

العربي في بلاغته المبهجة ولين ذهنه ثابته يستعرض مشواراً من
المعاني ليعبرها في عبارة مـادة تكون دواعي الكلام وشوارب المثل ،
في عبارة مركزة لمادة دسمة تنم عن أسباب القوة ما يتيح لها التغلب
والنفوذ ، ومن هنا كان الأديب الموجز أمراً في البلاغة من الأديب المطنّب
إذ أن الثاني يدوّن خواطره كما تنجّى أما الأول فيقلّ وراء هذه المعاني
المشالة يطالع وجودها ويتأمل منازعتها ثم يأتى بضموعها الشامل في
ملّة تحييب الممّز وتطبيق المفصل .

قال عليه الصلاة والسلام في إحدى خطابه :-

(أيها الناس ، كأن الموت فيها على غيرنا كتب ، وكأن الحق فيها على
غيرنا وجب ، وكأن الذي نبيع من الاموات سفر ، وما قليل راجعون
ليؤمّم أحداشهم ، ونأكل من ترابهم ، كأنّا مفلدون بحدّهم ، نسيتنا
كلّ واعظة ، وأما كلّ جائحة ، طوي لمن تغله عييه من عيوب الناس
طوي لمن أنفق ماله اتسبه من غير محبة ، وبالمس أهل الفقه والحكمة
ونالوا أهل الدلّ والصناعة ، طوي لمن زكّت وحسنت خلّيته ، وطابت سريرته
وهزل من الناس شره ، طوي لمن أنفق الفلّ من ماله ، وأصكّ الفلّ من قوله
وسمّته السيّة ، ولم تستبوه البدميّة) (١)

(١) صبح الأعشى - التلقيند - طبعة يولان ١٩٥٠ مصر ١ / ٣٠ .

التأمل لهذه الخطبة القصيرة الموجزة يحسن بأن الخطيب قسم
أفكاره ومديد معانيه في براعة تبعده من التكلل اللفظية وال عبارات المكررة
وسح ذلك لا تجد فيها غموضاً ولا لبساً ولا نقضاً ، بل ما أراد أن
يوضحه وقصه دون إخلال مما يقرر أنه صلى الله عليه وسلم يقول عن وصي
تامّ بما يريد أن يقول وتصور كامل لخطراته التي تولده الى مسراده
وتمكن فطري من لخته التي يستند بها فهي طوع لسانه يأخذ منها ما يريد
لما يريد في الوقت الذي يريد .

لذا كر الناس بالموت من غير تهويل ولا تهديد ولا وعيد ، وحشهم
لانفاق الاموال في طاعة الله ، وحبب اليهم التحلم والشفقة والتواضع وحسن
العذر في كلمات موجزة يكاد يحفظها من يسمعها .

وهذا لا يعني انه صلى الله عليه وسلم ، لم يطنب في خطبه ، فقد يقتضي
الامر لمناسبة عارضة أن يفيض الرسول في التول فلا يتأخر لأن الاطباء والتكرار
في موضع كالايجاز والنظم في موضعه وانصا الصبرة بالتصريح في و...
التول ، والقرآن والحدود يراودان بين تبيين الاسلاميين وان كانا في الايجاز
أرغب عليه أسرى .

(روى أبو سعيد الخدري (١) أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
قد غاب ذات يوم بعد العصر ، ولم يزل يخطب حتى لم يبق من الشمس
الآ حمرة على فوق أطراف السعف) ، ولم يذكر موضوع خطبته
تلك حتى نقلت على الدوافع التي حدثت به التي تجنب الإيجاز . ومن يندري
لحلّ الله قد شا " له أن يطيل لتعليم المسدة من أعدائه ، أنه يملك
أزمة البيان المطيل وأن إشارته للإيجاز ترجيح صائب للبيان المثلثي
من طرق الحديث . وإذا كان لكل مقام مقال فإن مقام الإيجاز يستمد من
من الخبرة النفسية والثقافية الطيبة ذخيرة وافية . وفي بعض الأحيان
تتميّز النفوس بالانساب وتعين المناسبة لذلك فيوجز الرسول صلى الله
عليه وسلم إيجازاً لا مجال بعده لاطناب وتهويل ، ويتراد النفوس ذاهلة
لا تدري كيف استطاعت الجمل المحدودة أن تفعل مالا يفعله حديث اليوم
الدويل ، فيخلق جثا من التأمل والمبرة والميرة يمتد أياما طويلة دون
أن ينقطع فيه أو يغيب صداه . هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرجع إلى مكة يوم الفتح الأعظم فيقتحم عربنا طالما جمع أعداءه وذوي
النفائس من مناوئيه . وتخفق راية النصر على جيوش الاسام سابقا ظافرا

(١) ابن جرير - القرآن - الباقيلاني - ١٢٠ .

وإذا ذاك تتطّلع النجوم الكافرة دامية شبيطة ترتقب أن يفاجئها الجزاء
الترادع من المتصر دون إبطاء . ثم يقف الخطيب القاعد ، فلا يشاء ستمح
في أنه سيخترن إلى تاريخه الداريل من أعدائه ، متشقيًا ، شامتا وسيحدد
ما من الله عليه به من فوز سابق ثم يميل بالتدريج والوعيد إلى
توم أخرجوه من وطنه وآذوه في دموته وفناصوره الحرب في مغتربه بالله
كم ينتصر السامع من محمد صلى الله عليه وسلم في مثل هذا اليوم الأخير
أنه ليقف والابصار عاشمة والرقاب متعنية فيقول :-

(لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ونصر عبده
وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحتقد متى
ناتين ، إلا سدانة البيت ، وسقاية الحاج ، وألا وقتل الخطأ مثل العمد
بالسرور والحماس ، وفيما الدية مغلظة ، عنها أرحمون خلفه في بطونهم
أولادها ، يا مشر قرين ، وإن الله تدأذير منكم نعمة الجاهلية ، وتطافهم
بالآباء ، والناس من آدم خلق من تراب ، ثم تلا (يأيها الناس إنا خلقناكم
من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، أن أكرمكم عند الله
أتقاكم) . يا مشر قرين (أو يا أهل مكة) ماترون أني فاعل بكم ؟
قالوا : غيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء) (١)

(١) جبهة تحرير الحبيب - أحمد زكي حفرت أجرة أولى ١٣٥١ هـ ص ١٠٧ / ١

انحدام يبلغ تنبجته به سرور معدودة ، فترى النور ذاهلة
الأنودة . لم يستمر اللعيز من ذات نفسه بضم الخجل فيرى نور
وجوه عزى العزى ويحمر في خلقه مرارة الأسد ، وتم من السمات
سيظل مرددا لقول محمد : ان الله عليه وسلم : اذ خير قائم الكفا
ستعيا أن تعود به الذكرى إلى باطل سلة وائم أدير . رأييت
الاجاز يبلغ صلاحه من النور حتى يوضح في كلماته عتلا سرور املجل
الاسداء تاركاً في النور أعتل سرور التأثير ؟ انه لاشك وليد سريرة
بالمنازع الهاجسة يحدوها بما ينصن لها الهدوء والتثبيت.

(٣) قوة الاقتناع :-

السمة الثانية من العظمة النبوية ، يتمثل في قوة الاقتناع . فكانت
غاية على الله عليه وسلم روائح في اقتناعها الطيم الذي لا يدع مهالا
لشكك أو متردد . وإذا سألت عن مصدر هذا الاقتناع ، وجدتته الصدور
الحار الذي تنفعل به نفسه نمو رسالته الحالية ، فكثير من الخطباء
من يفترون بمواهبهم الكلامية فيطربون في الدعوة إلى أمور لا يمتدون
حوايلها ، بل سيقوا إلى ذلك سوقا ، وراء نفج مادي أو منصب حكومي
أو تأييد حزبي ، ومما اتقنوا التمثيل والمداواة ظن تجد لدى هديتهم

هذا يرى الاثنان في نفسك لأنه لم لا يزيدون عن محترفين يمثلون
أدوارهم دون أن تشمل في سكرانهم جذوات الصدق وهي تمنح نتائج
الانفعال فيوحى بالثقة أو التأثير ، أما محمد علي المصطفى وسلم فقد
كان صدقة الحار وإيمانه الثوي وإيمانه الأكيد برسائله ما يدفعه
الى قوة الاقتناع . إنه ليس غايب قبيلة يتحدث عن مفاخرتها بالباطل والحق
ولكنه نبي مؤمن بضرورة الامانة الذي اقتنع به وعلية تبعا لذلك أن يقع
الناس . هذا الصدق الحار يدفعه أن يغلو الى نفسه فيتلصص وسائل
الاقتناع من مشيد ، حاسر أو دليل طموح أو سؤال واضح الاجابة ليصمد
بذلك الدارين الى المقول والقلوب . لنا أن ننظر في أول خطبة روي
عنه وهي التي قالها حين صدع بالدعوة تنفيذ الامر ربه :-

كان من المظنون والمقام مقام دعوة جديدة لنبي جديد ، أن يمد
نفسه - لو لم يكن محمد بن عبد الله - لموقف طويل يدخل الساعات
أو الساعتين أن يتحدث عن تاريخ حياته باخانة يمد بها لهذا الحار
الجديد وأن يستدرك بروائح الاخيلة ذات التحويل والمبارات ذات الجرس
يقع بها الاسماع ، ولكنه ليس محترفا للقول يصول به مباحيا بالاطناب

والغلاظة والمخالطة . بل هو نبي يمتد على السدرة والطجم والاقناع
الحقيم ، فيهد الصنا بمكة ثم يلتفت يميناً وشمالاً لينادي بصوته
المابع النافذ : يا محشر قريش ، يا محشر قريش ، فيتواشب الياسون
ويقتادس النازحون يستمعون الى هذا الذي مرثوه بالهادن الامين
لم يشكوا لحناءة في صدقه أو يماروا ساعة في امانته ، يستمعون اليه
وهو يسألهم في مدوء : رأيتم لو أخبركم أن غيلاً بالوادي تريد
أن تخير عليكم ، أكتم صدقي ؟ فيصيح المأغي صوت واحد : نعم
ما جئنا عليك كذبا . فيتفرسون في وجوههم وقد ألزمهم بتصديقه
حين وجه إليهم سؤاله ، فأجابوه عنه بما أَرْضاهم يقول متابعاً
(إنَّ الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت النَّاس جميعاً ما كذبتُم ولو
ضررت النَّاس جميعاً ما غررتكم ، والله الذي لا اله الا هو اني لرسول
الله اليكم خاصّة والى النَّاس كافّة والله لتحتن كما تنامون ولتبعثن
كما تستيقظون ولتماسين بما تعملون ولتجزون بالاحسان احساناً
والسوء سوءاً وانها لجنة أبدا أو لنار أبدا) (١).

أرأيت الى الاقناع الطمخ يأخذ به محمد صلى الله عليه وسلم الحقول ؟
لقد سألهم عن صدقه فاعترفوا به ثم أقسم لهم بما يثبت هذا الصدق

ويؤكدده . حتى إذا أعلن رسالته إليهم عامة وإلى الناس كافة ،
لم يترك الأمر دون تدليل ، فبينك حساب وبيت وجزاء . لكن كانوا
ينامون فالموت كالنوم حقيقة واقعة ولكن كانوا يستيقظون فالبعث كاليقظة
حقيقة أخرى . وراء البيت جزاء وحساب وأنها الجنة وأنها النار .

وخطبته على الله عليه وسلم في أول جمعة صلاها بالمدينة^(١) تعدّ
النموذج الذي أرسى فيه قواعد الخطابة الدينية بما أضافه إلى الخطابة
إذا حمل افتتاحها بالحمد لله والثناء على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم من حيث توشيحها بآي القرآن الكريم ، ثم من حيث ما تعالجه
من الدعوة إلى تقوى الله ونشيطه وطاعته وطاعة رسوله وما جاء به
من أوامر ونواه وقد امتازت هذه العناية بالتكرار في الفاظها ومعانيها
والتكرار أيضا هو سمة من سمات الأسلوب الخطابي .

(الحمد لله أحمدده وأستعينه واستغفره وأؤمن به
ولا أشركه وأعادي من يكفره وأشهد ألا اله الا الله وحده لا شريك له
وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل

(١) تاريخ الخليلي ٢ / ٢٥٥ .

وقلة من الحلم وسلامة من النار وانقضاء من الزمان ودنو من الساعة
وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يمتسبها فقد غوى
وقرأ واصل سلا بعيدا ، وأوصيكم بتقوى الله تائه خير ما أوصى
به المسلم المسلم أن يحذره على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله ، فاحذروا
ما حذرکم الله من نفسه ولا أفضل من ذلك نصيحة ولا أفضل من ذلك
ذكر ، وأن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عمن
صدق على ما تبخرون من أمر الآخرة ، ومن يسلح الذي بينه وبين الله
من أمره في السر والعلانية ولا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكرا
في عاجل أمره ودخرا فيما بعد الموت ، حين يفتقر المرء الى ما تقدم
وما كان من سوى ذلك يؤد لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا ، ويحذركم
الله نفسه والله رءوف بالعباد ، والذي صدق قوله وأنجز وعده ، :
قلنا لئن لم تنته يقول عز وجل : وما يبدل القول لدي وما أنا
بظلام للمبيد (فاتقوا الله في عاجل أركم وآجله ، في السر والعلانية
فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويظم له أجرا ، ومن يتق الله
فقد فاز فوزا عظيما وأن تقوى الله يوقى منته ويوقى عقوبته ويوقى سخاياه
وأن تقوى الله يبيض الوجه ويرضى الرب ويرفع الدرجة ، فخذوا بحظكم

ولا تفرحوا في جنب الله ، قد علمكم الله نوابه ، ونرج لكم سبيله
ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين . فأحسنوا ، كما أحسن الله
اليكم . وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده ، هو اجتباكم
وسمّاهم المسلمين . لئلا من ذلك من بيّنة ربها من حيى عن
بيّنة ولا قوة الا بالله فأثروا ذكر الله وأعملوا لما بعد اليوم فانه
من يصلح ما بينه وبين الله يثق الله ما بينه وبين الناس ، ذلك بأن
الله يفتي على الناس ولا يفتنون عليه ويطلب من الناس ولا يملكون منه .
الله أكبر ولا قوة الا بالله العظيم .

بعد هذه النماذج التي توضح لنا أسلوبه صلى الله عليه وسلم
في خطابه وامتداده عليه بوصفها لونا من ألوان البيان ، يتضح لنا
جليا أنه صلى الله عليه وسلم وضع أسسا لخطابة الدينية وبذلك عرف
الحرب ضربا من الخطابة لم يكونوا يعرفونه في البداية ان كانت
خطابتهم اجتماعية تدور غالبا على المنافرات والمفاخرات وقد دعا الاسلام
الى نبذ التفاخر والتكابر بالاحساب والانساب ومن ثم اختفى من
حياتهم هذا اللون من الخطابة .

وتتألف الرسول صلوات الله وسلامه عليه في خطبته تحفظ
بها كتب الحديث الصحيحة (١) فقد كان على عليه وسلم يذهب
في صلاة الجمعة أو العيد من غزوتين يهلل بهنما وأنتا تسدوان
على شقين من الله لعباده في شئون دينهم ودنياهم
وما ينبغي أن يرد متضمن من مثالية عقلية رفيعة ومن روابط
اجتماعية وثيقة .

ومطة القول أن خطبته على الله عليه وسلم كانت موحدة وتعميما
وتدائما لحياة الأمة الإسلامية .

ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يلقن رسالة ربه
أتى بها القرآن الكريم فقد كان يوضح كتابه كما أسلفنا بالقرآن الكريم
مستهددا وذاكرابط . كان في بحر الاحيان يذاع بصورة كاملة .

فقد روى عنه أبي كعب أنه صلى الله عليه وسلم قرأ يوم
براءة وهو قائم يذكر بأيام الله (٢).

(١) انظر كتاب الجمعة في صحيح البخاري وصلى .

(٢) رواه ابن ماجه .

وأبو سعيد الدردري قال : « إنما رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوماً فقرأ (ص) .^(١)

ومن أمهات بنت مازنة بن النضر أنما سمعت النبي صلى الله

عليه وسلم يقرأ سورة (ق) وهو ينطق على الضبط يوم الجمعة وأنما

لم تعلقها إلا من النبي صلى الله عليه وسلم وهو على الضبط لكثرة ما كان

النبي صلى الله عليه وسلم يقرأها يوم الجمعة على الضبط .^(٢)

وبذلك وضع الرسول الكريم أسساً للخطابة الدينية حتى أن خلفاء

السلف الطاهرين وأئمة العدل البيان من التابعين بإحسان ما زالوا يسمون الخطبة

التي لم تبدأ بالتمجيد وتستفتح بالتهجيد : (البتراء) وسمون التي لم

تدعى بالقرآن ، وتزين بالثناء على النبي صلى الله عليه وسلم :-

(الشوفا) .^(٣)

وقال عمران بن حطان : خطبت عند زياد خطبة ظننت أنني

لم أقصّر فيها من غاية ولم أروع لها من علة فمررت ببعض المجالس

(١) الدار قطنى / ١ : ١٠١

(٢) مسند الإمام أحمد / ٢ : ٢٠٠

(٣) البيان والتبيين / ٢ : ١٠٠

فصحت شيئا يقول هذا الخبي أهدى الرب لو كان في خطبته شيء
من القرآن^(١).

ولذلك هي طريقة تشرعية عموماً تبي كان على الله عليه وسلم
ينظم هذا المجتمع الروحي ويرسي قواعده ، خطبته في سورة الواح^(٢)
وحى :- " الحمد لله ربهم ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله
بالله من شهور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل
له ومن يضل فلا هادي له . وأشهد ألا اله إلا الله وحده لا شريك
له وأن محمداً عبده ورسوله . أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحذركم
على طاعته واستفتح بالذي هو خير ، أما بعد ، أيها الناس اسمعوا
معي أبين لكم ، فاني لا أدري تعلمي لا ألتاكم بعد عامي هذا فسي
مرفقني هذا . أيها الناس إن دعاكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا
ربكم ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلغت
الهم أشهد

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها ، وإن ربنا

(١) المرجع السابق نفسه

(٢) تاريخ الأحرار ٧ / ١١١

الجاهلية موضع ، وإنَّ أولَ ربا أُبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب
وإنَّ دماء الجاهلية موضوعة ، وأول دم أُبدأ به دم عامر بن ربيعة
ابن الحارث بن عبد المطلب ، وإنَّ مآثر الجاهلية موضوعة ، غير السِّدانة
والسَّقاية والحصد قرد وشبه العمد ما قتل بالدماء والحجر ، وشبه
مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية .

أيها الناس إن الشيطان قد يعين أن يعبد في أرضكم هذه ، ولكنكم
قد رغبتم أن يداع فيما سواه ذلك مما تحقرون من أعمالكم . أيها الناس
(إنما النسيء زيادة في النفر يمثل به الذين كفروا فبطلوا ما حرم
الله) .

إنَّ الزَّمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن
عدة الشهر عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله
السموات والأرض ، منها أربعة حرم : ثلاثة متواليات واحد فرد
ثو الثلاثة وذو الحجة والمحرّم ورجب الذي بين جمادى وشعبان ، ألا على
بلغت لا الله أشهد .

أيها الناس ان نسائكم عليكم حقاً ، ولكم عليهن حق . لكم عليهن
أن لا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحداً ثكروهنه بيوتكم إلا بآذنكم
ولا يأتين بفاحشة مبينة ، فان نعلن فان الله قد أذن لكم أن تمضوا
وتجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح ، فان انتبهن
وأمنكنكم فعليكن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وانما النساء عندكم
عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم
فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً
ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد .

أيها الناس : انما المؤمن أخوة ، ولا يحمل لامرأة مسلم ما
أخيه إلا عن طيب نفس منه ، ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد .

فلا ترجعن بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاباً ، فاني تركت فيكم
ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده : كتاب الله ألا هل بلغت ؟ /
اللهم أشهد .

أيها الناس ، إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لأدم وآدم من
تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم . إن الله عليم خبير . وليس لمريم على

جميع فضل الا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد . قالوا :
نعم قال فليبلغ الشاهد الغائب .

أيها الناس : ان الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث فلا تجوز
وصية لوارث في أكثر من الثلث . والولد للفراس . وللمأهر الحبر .
من اتقى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فمليه . لمنة الله
والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته .)

في هذه الخاتمة التي كانت في أكبر جمع أتى لمحمد صلى الله
عليه وسلم أن يخطب فيه ، فقد كان الحاضرون في ذلك اليوم
نحو أربعين ألفاً من حجاج القبائل ، ويمكن أن نقف فيها على كل
سمات الخطابة النبوية وقواعدها ، ونلمس فيها لونا من الفن الخطابي
والأدبي الرفيع .

حتى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام - هذه الخطبة بمباراة فصل
بينا بين المقدمة والموعز ووجه فيها الخطاب إلى الناس ، طابا
منهم أن يسمعوا قوله ، وشية ألا يلقاهم بعد هذا العام ، فنبه

الأذنان إلى إشلاء أسماعهم لما يقول وإقبالهم بكل وهيبهم عليه .

ثم بعد أن شدّ انتباههم ، انتقل إلى التصريح المباشر ، لا

لإبلاغ أمر واحد وإنما لمصالحبة قشايأ هامة متعددة تروى حقوق

الإنسان على واسع وطيف ، تمتدّت عن حرمة الدماء والأموال ومن أذاع

الأمانات إلى أصحابها ومن تبريم ربا الجاهلية ومن ديات القتل عمدا

ومن غير عمد ، ومن النسيء ونكاته ، ومن النساء ، ومالهين ومسا

عليهن ، ومن حقوق الاموة الانسانية التي ترجع إلى أصل واحد هو

آدم ومن الميراث والرضية صائل هامة ، متلفة لو تزاوجت في صدر غايب

غير محمد صلى الله عليه وسلم - في مثل موقفه هذا ، لظار سدادته وارتج

عليه في مقامه ، ولكنه يتدّر عبأ التبليغ ويستشهد بالله على أدائه

فجاءت عاقبته شاملة ومضمّنة لأكثر من قضية ، حرص فيها على وسائل

التنبيه التي تساعد في الوصول إلى منأا الاستجابة من نفوس السامعين

فجاء النداء المتكرر : أيها الناس . كما ختم بعض الفقرات بما يحل

المسئولية بالسامعين :- ألا هل بلغت ؟

وفى تناوله للقضايا ، نجد الإيجاز بالقدر الذى يتيسر منه على
السامعين استيعاب ما قرر فلم يدانب الانساب الملوك ولم يوجز الإيجاز
الملوك ، بل جعل المهارات أمهه بالمهارات العملية الممددة الدقيقة
التي لا تلير بالصاح وراء الخيال ليشرد ذهنه عن متابعة الخطاب
وتحاشى التفضيلات والتفريعات التي ينسى آخرها أولها .

كما أنه قصد إلى التقسيم في عرض القضايا ، فصدر كل قضية بما
ينبئ عنها ويفصلها عن سابقة كما وذلك قوله صلى الله عليه وسلم :
(أما بعد) نجد هنا بين القضية الأولى والثانية وبين الثانية والثالثة فهى
هنا ذات وظيفة بيانية .

وجاءت عباراته قريبة المأخذ من سلسلة سلسلة ، وألفاظها مع فصاحتها
وجزالتها ، لا توشى فيها ولا غريب . لا استعانة بمصاحبة ولا تزوين
اختار ألفاظه اختيارا وانتقاه انتقاء ترتان له الاسماع والافئدة ، فتجتمع
لها النفوس المتباينة الامواء وتساوى اليها بأزمته ان تلطم بمانيها وما
تدعو اليه من سبيل الرضاد . فهي بلا ريب مثل النجلى في البراعة
ودقة المنى ولطف الشعور .

مبين أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - اختتمها بحمد الله واستغفاره والتسليم إليه والاستعانة من شرور النفس وحيات الأعمال وأنه واحدا بطبائعها من آيات القرآن الكريم تفريرا لبعدها أو توارثا لفكره ، أو تلمذاً لكم راجعاً إلى التزيين والتفسير .

وليس في خطبته هذه وفيها من نظيره من السجع المبتذل وفي عموم كتابته كان صلى الله عليه وسلم يرسل الأسلوب وإرسالاً دون التزام بكون أسلوبه مبين يلقى عليه من خارج فكرته والفهم في الظاهر ، فهو يردد ما بين الطول والتقص وفقاً له وافي الموقف .

ولما أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظله في الأفق أعلوا من روعة البيان والخطابة أخذوا عنه وتأثروا به ونسجوا على شواله واتخذوا به . فهم يقتحمونها بدمد الله وتأييده والمساندة على رسولهم يؤمنونها بآيات من القرآن الكريم ومع أعباديه نبيه العظيم مستمدين من حفا بين الوثنيين الخزيين في وقتهم ونمط يعززه من وسايا وتعاليم^(١) . فلان الصديق في الأروقة من

(١) الفن وما فيه في النشر الرسولي - شوقي - ١٩٢٧ / ١٠٠ .

لم يكن يقل عن ما عليه شأنوا في خطبته . وقد أشرت منه خطب

كثيرة غير تلك التي عنوانها كتاب (نوح البذخة) والتي شك فيها

كثير من الخطباء روضوا بالتمسك وأنها مكتوبة عليه ، كرم الله وجهه

وضمهم من نسبها إلى الشريف الرضي . كابن خلكان في كتاب وفیات

الاعيان (١) وابن الرواد في شذات الرواد (٢) وابن شهر البستام

في لسان الميزان (٣) وغيرهم . ولأ أن كتب الأدب مثل البيان والتبيين

للجاسق والعقد الفريد والكامل^{لهجود} وغير الأبار المطهر ترى له طرفاً

من خطبه وتلاه ومراظه إلا أننا نجد فيها بعض الإطناب الذي دفعته

إليه سنوات صغره ، وأطناب يشير به هؤلاء القاديين من نعرته ومفاتيحه

وعلاء الذين تازمه حتف وقت را ينام الفرح على المسلمين .

أما في النسخ الأخرى فنجد من رواه من عاد الرواد البيعة الجارية

في الرحلة بالزبيب والدخبة والتموه والتزود في اللجج طعناً في الغلبة

كالججاج (٤) وضمهم من نوح النوح المظهر في الدعوة إلى الله بالافتاح والمنطق

والتأثير كالحسن البصر .

(١) انوار ترقية الشرف الرضي

(٢) شذات الرواد - ابن الرواد - أمانة العامة / ١٩٧٠

(٣) انوار لسان الميزان (أمانة سيدر آباد) ١٩٧٠/٩

(٤) البيان النبوي - ربيع بيومي / ١٩٦٠

الرسائل المسماة

رسائله ومخاطباته من الله

عليه وسلم

الرسائل :-

من نصوص البيان النبوي ، فن الرسالة الذي تؤصل به في الأمانة
والإصلاح . أي أنها أسلوب من أساليب الدعوة يهدف إلى التصديق بالدين
الهدية والكشف عن الحقيقة التي كلف ببيانها من ربّه . وعبر
رسائل يمد بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى أشجار مختلفين
الجنسيات والمشارب ، يدعوهم فيها إلى الإسلام ويذكرهم من مبادئ
الإنسانية من الدين الجديد ويحثهم مسؤولية أنفسهم وقومهم
جميعا لما لهم من تأثير قوي فيهم .

والرسائل المكتوبة مروفة عند العرب قبل ظهور الإسلام ، يورد
دواعيها من التجارة والرحلة والزراعة وهنود التحالف . فقد نشأت الكتابة
بين الإسلام في الصبغة لمركزها التجاري وأهميتها للتجارة . كما أن الأمور

السياسية كانت من دواخل طهور الكتابة ونشأتها لكتابة المعالقات
والحجرات.

ولما كان الاسم دين مدياة وصورة وثقافة ، وكتابة القرآن الصبح
بلاغته وبيان ، الذي جعلت آياته بالحق على العلم والمعرفة ، كان
أبينا أن يقوم المسلمون على احترام العلم الذي تأتي أول درجاته
في تعلم الكتابة .

وهذا في القرآن الكريم إشارة إلى أدوات الكتابة تقديسا لها
مثل القلم واللون والصحف ، كما نجد بعض الآيات التي تنص
على الكتابة كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا تدانتم بدين
الذي أحل الله فليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يسألكم أن يكتب كما علمه
الله فليكتب) (١) إنما أمر بذلك لأن الكتابة من الذبوع واليسر بحيث تكون
مبالا ميسرا للتعاقد ، فدعا إليها الاسم .

وتحكي لنا كتب السيرة والتاريخ أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان
رائدا في ارتداد الكتابة ، فقد جعل أمره بغير يعلمون أبناء الأنصار

(١) سورة البقرة / ٢٨٢

كثير يكتبون ويكتبون هذا الضميمة لغيرهم من الأسر .

ولمّا احتاج الرسول صلى الله عليه وسلم الى تسهيل الوحي ومن يكتب له في الشئون العامة ومن يكتب له الى الطوائف ومن يكتب المساعدات ، اتخذ كتاباً من صحابته فاختفى على عثمان بكتابة الوحي ، فإن غابا كتبه أبي بن كعب وزيد بن ثابت . كما استكتب خاله بن سعيد بن العاص ومباربة ابن أبي سفيان في حواشي الخاصة ، ومنهم من كان يكتب للطوائف كبد الله ابن الزرقم وزيد بن ثابت . وأما الذي كان يكتب أسسوان المدقات فقد كان الزبير بن العوام وحيد بن الصلت (١) .

والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في رسائله - كما هو في رسائله وسائل بيانه - لم يكن رسول مبلغ يبتغي في فنون بيانه ما يحقق به غايته ويؤد به وظيفه ، وليس أديبا يقنع التفوق على غيره ، ومن ينافسهم أو ينافسونه في مجال القول والتعبير . فقد سيار عليه تحقيق الابانة بتوسد اليها بكل وسيلة تمكنه من ذلك ، فهو دائما على ذكر من مسؤوليته تجاه من يناظرون ويتلاقون عنه ، فكل ما يصدر عنه من كلمة

(١) مكاتيب الرسول / ٢١ .

أو إشارة أو صك انصبا يرمى وراءه إلى الابانة عن دعوته والافصاح مما
قد يخفى عليهم وتقرير ما أقروا به وتحرروا عليه ، وتفنيدهم
المعاندين .

ومن ثم توصل بالكتابة فيما توصل به لتبلغ ما أرسل به من
ربه إلى من يتبر لقائه المباشر نهضت اليوم في مقارهم البحوث برماثله
يدعونهم فيها إلى الاستم وينبئهم أنه رسول من الله إلى الناس كافة
وأنه لا تمارض بينه وبين ما جاء به سابقوه من رسل الله صلوات الله
وسلمه عليهم نجاءت رسالته بمشابه مواد قانونية أرسلت للفصل في أمر
بحسب الاتفاقيات عليه ، فليس مجالها مجال أدب تسخير عليه المصانعة ويوشيه
الخيال ، ولأنها شروا معدودة تلزم الدقة البالغة في التعبير ولا تسمى
للفاء أن يتجاوز موضع الحقيقة إلى صورة خيالية تكون فيما بعد مشابها
للحقيقة والجدول . وكل من رجال القانون أو السياسة اجتمعوا إلىهم
ذو الحال للكتابة ندر واحد في معاهدة أو مادة في قانون وهم فيما
يكتون حينئذ يستزون من كل لفظ يشم منه غير المقصود ويتوهمون كمن
دلالة قريبة أو بعيدة لا يقصدونها وما يمكن أن يسهلها من بعض اللفاظ
فيشاركون إلى استبدال غيرها بما يليق في الكلام دقيقا لا صائلا

معه ، عريضا لا شيء وراءه . فتدبر نصوبهم ومجاهداتهم في أسلوب
دقيق ، تملأ الدقائق في التيارات والاندفاع التي لا تنبأ بها ولا تتصور
عليها . وهكذا كان الرائد الأول في مجال الأدب السياسي والقانوني
الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه في مناجاته ورسائله إلى الملوك
ومشيوخ القبائل . فبحسب أن انتقلت من الخطبة والحاديت في أسلوب
الفتى ألا أننا نتلق معها في كثير من السمات الخاصة .

ولتحقيق الزاوية من الرسالة ، حرص على الله عليه وسلم أن تتلاءم
الرسالة مع المرسل إليه أيجاز وأطنابا ، سهولة وصعوبة ، ودقة وتبليغ
وحسب نقدا على هذا اللون من ألوان البيان النبوي ، نسوز له الأمثلة
ونوليها بعضها من المناقشة والمقارنة . فقد أرسل محمد صلى الله
عليه وسلم كتبه إلى الملوك من العرب والعجم رؤساء القبائل والأساقفة
والمرازمة والتمال وغيرهم يدعوهم إلى الله تعالى وإلى الاسلام .

وتتخذ المصادر في الأخبار عن أن الرسول صلى الله عليه وسلم اختار
سنة من أصحابه وأولئك إلى كل مهمة تسليم رسالة إلى أحد الحكام

وأما هؤلاء المحايبة المبتدئين :- (١)

- (١) - دية بن لينة الكلبي أرسل إلى تيمر من أريد حاكم بصرى
 - (٢) - عبد الله بن حذافة السلمي إلى كسرى
 - (٣) - عمرو بن أمية الضمري وإلى نجاشي الحبشة
 - (٤) - حبيب بن أبي بلتعة اللخمي إلى القوقس حاكم الاسكندرية
 - (٥) - شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن عمر الغساني
 - (٦) - سليط بن عمرو العامري إلى حوذة بن علي الحنفي شيخ اليمامة
- تتبايه التي نسرى ملك الفرس :- (١)

(بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم
فارس . سلام على من اتبع الهدى . وآمن بالله ورسوله . وشهد أن لا
إله إلا الله وحده لا شريك له . وأن محمدا عبده ورسوله . أدعوك
بهداية الله . فاني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأبذر من كان
- يا ويح القول على الكافرين . أسلم تسلم . فان أبيت فان اثم المجرم عليك)

(١) - بلوامسية - عن الثوري - قاسم - قسم التآلي - والنشر جامعة الخرطوم ٧٠ هـ

(٢) - جبهة رسا على العرب (١) ٧٠ هـ .

رسالة موجزة دقيقة متعددة لأبعاد فيما للتفسير والتأويل ، عباراتها
قائمة -أسمة وكلمات- واضحة المضمون . تنجم فيما صلى الله عليه وسلم
على آرائه مباشرة بعد مقدمة قد حدد فيها التمهيد الذي يهيئ النفس
لذلك المصروف لتحقيق ما قد إليه بذلك المصروف ومع إعادة النظر على
تلك المقدمة يتبين أنها في ذاتها توضح لذلك المصروف . مصروف مبادئ
يحيى الشيء ، يفتح لمتلقي الرسالة باب القابعة اشياء لخريزة حب
الاستطلاع ، فتدلى الرسالة الذي لا يعرف شيئا عن الله الرحمن
الرحيم بفجؤه هذا المصطلح ، فلا بد أن يهزم على استيعاب الرسالة
كلها حتى يعرف ما يحصل ولكنه ينتقل من ذلك الى مشير أشد (من محمد
رسول الله) ليؤكد ان شوقا الى كشف غموض الرسالة . والرسول
صلى الله عليه وسلم حرم على أن يملك زمام المرسل اليه فوضه بما
يرضى نفسه ، دون أن يكون متعارفا في ذلك مع قيم الاسلام ، وهو في
ذلك لا يتطرق ولكنه يضمنه في مكانه الذي وضعه فيه قومه ليشعره
بمسؤولية عنهم ، قبل أن يتخذ في شأن هذه الرسالة قرارا ؟ وذلك
قوله (الى كبرى عظيم النرس) فوضه بحاليم غارس ليهت من إضافات
النبي صلى الله عليه وسلم ولكنها الحقيقة القائمة التي تكشف عن مكانته

نضم وترضى نفسه فتريكمما لمتابعة ما جاء في الرسالة بعد ذلك
لا أساسها بأن مرسل الرسالة لا ينافس على مركز سياسي ولا يتكبر
في ازاحته عن رئاسة قومه وسيادتهم فذكر الصفة هنا تورية توسي
الى غير ما يظهر مايلها

وفي الرسالة إيماءات الى أن الشاذل عن طريق الدعوة واعتراض
سبيل الدين الجديد ، والتمسك بالشرك والكفر وعدم الاعتراف بالنبي الجديد
كل هذه أمور قليلة بأن تسلب السلام والامان وتثبت الخوف والفرق في داخل
الفرد والجماعة وكلمة (سلام) غيما لإيماء الى أنه سلام متنوع ، فهو
سلام ذاتي ، و سلام اجتماعي ، وهو سلام نفسي ، وعقلي وسماعي
عاطفي و سلام اقتصادي وسكري

بعد ذلك حتى اذا نحن أن نغير المطلق قد تطلعت بالرسالة واصبحت
حرية على استحيابها وبراء ذكر مقابل هذا السلام ، اتباع الهدى
والايمان بالله ورسوله والشهادة بوحدة الله وتجرده من الشرك
والاقرار بحمد الله على الله عليه وسلم والشهادة بأنه عبد الله ورسوله .

ونلاحظ أنه يرسل ضمن الرسالة يحدد ذلك في جملة واحدة :-
(أدعوا بدعاية الله عز وجل) حرصا منه على أن يبالغ على جومر
هذا الدين في أقصر عبارة ممكنة دون أن يستغنى بذلك عن طلب مزيد
من التفصيل . ثم يظن مثل النفس والمقل بالرسالة طالما لنا يوضح .

مع ذلك يوصي إليه بأنه لا يهدف من وراء ذلك إلى كسب شخصي
ولا إلى توسع اقليمي ولا إلى تنافس سياسي فهو يدعو بدعاية الله عز
وجل .

ثم يأتي يحدد ذلك تعريفه بنفسه ، تعريفا ذاتيا لا تعريفا
ذاتيا :- (اني رسول الله الى الناس كافة لاتذر من كان حيا ويموت
القول على الكافرين) .

فأخبره عن نفسه بأنه ليس رسولا الى أمة دون أمة كما كان مذهبهم
وأن رساله الى الناس كدسم لينذر من فيه حياة واستعداد لتفهم الانذار
وتبني التكبير والتصميم ، وليفادح الحقبة عن مكفري وجود الله ويحسم
القول عليهم .

وعصوية الاسلام وحالمة رسالته ، أمر تعاوره المحدثون فضمهم
من أيدى فكرة عصوية الحقيقة الاسلامية وأنها للناس كافة وتسميتهم
بعضهم بدمية نظر متباينة ومخالفة وشرع في إقامة الحججة على
أن الذكرة التي تقول أن هدف الاسلام هو العالم رأى تدبروا فعالهم
محمد وهو شبه جزيرة العرب ، ومن أجلها أنزل الاسلام . ومنهم
من اعتبر أن كل الحديث القاصر بهذه البحوث للعلوك يرجع أصله
إلى تأثير المسيحيين الذين دخلوا في الاسلام في مرحلة متأخرة والذين
كانوا يترجون عن رسالة عيسى للناس كافة ، ويرى أن هذا المفهوم قد
بدأ تعاوره أولا بنسج الفكة حول شاعسية مرقل (١) .

(والامر واضح أن هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تسند مفهوم
هذه الرسالة العالمية من وجهة نظرية (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)
(وما هو الا ذكر للعالمين) (٢) (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا
ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (٣) ونفسرنا من آيات (٤) .

(١) انظر دبلوماسية محمد ص ١٠٠

(٢) سورة الانبياء / ١٠٠

(٣) سورة القصص / ٥٦

(٤) سورة صبا / ٢٨

(٥) دبلوماسية محمد ص ١٠٠

وفي رسالته صلى الله عليه وسلم الى كسرى ، لما أراد أن يبعثه
المناضب الى عامل ما هو عليه من معتقدات وارشاده الى ما في هذا من
إللال وزيد ، وشاوره عن الطريق المستقيم أوحى اليه بإيماءات فسي
عالم الرسالة ، فالسلام على من اتبع الهدى ، فالهدى المقصود هو
الإيمان . فالسلام لا يأتى الا من هدى واهتدى . كما أن هذا الإيمان
بالله مجرد عن الشريك ومنزه عنه كما أن الإيمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم لابد أن يكون شاملاً باختياره عبدالله ورسوله .

وما أن المرسل اليه ليس بمعرب عن حاجتى الرسول أن يفاطيه بمسائل
البيان العربى لعدم ادراك المرسل اليه بأسرار التعبير العربى
وتراكيبه .

وعندما أراد أن يختم رسالته بقوله المطلوب من المرسل اليه تحديد
التيقن ، مهده لذلك ، التام بقوله :- (أسلم) ونى على هذا الطلب أمرين
أول ثالث هما : فهو إما مستجيب لما طلب منه وإما متعرب منه راضى
له . ان استجاب وأسلم ، ضمن لنفسه ولقومه السلام والأمان وان تولى
ورضى فهو المسئول عما يصيبه ويصيب قومه .

وتحرك رسالته - إلى الله عليه وسلم - برواية أخرى بشهادة سيد

بن المسيب وغيره (١)

بسم الله الرحمن الرحيم .

أما بعد (قالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، أن لا تعبد
إلا الله ولا نشارك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من
دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون)

وأضح أن هذه الرواية تشمل الآية الرابعة والستين من سورة

آل عمران التي أعطت الرواة في توقيت نزولها ، إذ يذهب البعض إلى أنها
أنزلت في النام التاسع من الهجرة ، وتتواتر الروايات على كتابة هذه
الرسالة في السادس أو أول السابع ومن هنا ينشأ الشك في صحة
سادة هذه الرسالة .

وفي ذلك يقول المروسي / عون الشريف (ويؤكد ابن هشام أن
التميم الأول من سورة آل عمران حتى الآية ٨٠ ، قد أنزل في أمر
بعد هجران الذي زار الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة . وعلى

(١) دبلوماسية محمد / ٢٠٨

الرغم من أن ابن القيم لا يمدح تاريخاً لهذه المناسبة ، ويحجج غيره عنها قبل بدو في السيرة ، إلا أن رواية ابن سعد ، التي تورد تفصير التفاصيل تقريباً التي جاءت في نفس السيرة ، لا تدع مجالاً للشك في أن تاريخ الحادثة كان العام التاسع من الهجرة ، حين عقد نصارى نجران صلحاً مع النبي وقبلوا أن يدفعوا الجزية . وعندما تعرض الداجري لتفسير الآية المذكورة ، ذكر وصول وفد نجران كمناسبة محتملة لنزولها ، فوجود هذه الآية في وثيقة تواترت الروايات على كتابتها في العام السادس أو أول السابع ، جانب العلماء والباحثين بمشكلة حيرتهم ، وقد بحث في خيالهم كافة المسالك للبحث عن مخرج من هذا الاشكال التاريخي الذي يرقى الى درجة التناقض . فالقسط الثاني - لنزيل أي شبهة أو شبه محتمل . أكد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب الآية في السنة السادسة من الهجرة قبل نزولها المرتقب في العام التاسع . ثم ذكر كحل ثان - أنه يجوز أن تكون الآية المذكورة قبل أنزلت مرتين ، وأن كان هذا في رأيه احتمالاً بعيداً . وهكذا يرفعهم جهود العلماء لإقامة جميع صحيحة لقبول مادة هذه الوثيقة ، فبان الشك ما يزال عالماً بالظهور . (١)

ولما أُرِوا الرسول صلى الله عليه وسلم الكتابة المنجى القابض
الذى يؤمن بالصديق وصريم المذراء ، وهو سامع ثمانية دينية عين
آدم وقد البقية مما يقهره الاسلام كتب اليه قائلا :-

(من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة ، اناي أحمد
اليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى ابن
مريم البتول الضيقة المصينة ، حطته من رومه ونفخه ، كما خلق آدم
بيده . واني أدعوك الى الله وحده لا شريك له ، وأن تتبني وتؤمن
بالذي جاءني فاني رسول الله ، واني أدعوك وجنودك الى الله
عز وجل ، وقد بلغت ونسحت ، فاقبلوا نصحي . وقد بعثت اليكم
ابن عيسى جئتكم بجمعه نشر من المسلمين ، والسلام على من اتبع
الهدى .)^(١)

فدعوته لملك الحبشة كانت الى الالتقاء حول المبدأ المشترك وهو
التجرد من كل اضافات عقيدته وتفصيلي الله وحده بالمادة دون شريك
فرمائه الى كبرى عظمها بحزبه من التحليل في التبريد بالله وبدينه

(١) صحيح الأعمش ١ / ٢٧٢ -

ورسوله إلا أن وفيه الضاد، بما يريد أن يدل اليه ، ودقته البيانية
بجلته يسلك مسلكا آخر في مخاطبته لأهل الكتاب، فخطبهم ضمير
صاحب أهل الوثنية . فأهل الكتاب ليس ضربا عليهم الايمان برسول
والاعتقاد في اله واحد . ومن ثم دعوة أهل الكتاب الى الايمان بالله
ورسوله لا تحتاج الى براهين ومجيج الا أننا نلاحظ الدقة في التعبير
والتمديد والمراعاة في المألوف، هي نفس النسق البياني المميز
الذي اتفقت حوله كتاباته رسائله .

مثال آخر كتابه صلى الله عليه وسلم الى أهل بن حنجر
وأهل حرموت:-

(من عند رسول الله الى الاقيال النجاشية من أهل حرموت
باقامة الهدنة وايثاء المزة . على التينة الشاة ، والتينة لصاحبها
وفي السبب الخمير لا يخلط ولا يوراء ولا شناق ولا شنار ، ومن
أجبي فقد أرمي وأهل مسكر حرام) (١) .

(١) صبح الأعشى ١ / ٢٧٦ .

عنايب موجز مختصر جامع شامل ، انتهى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم من الاخطاء باللائم المثلثين العربى القرشى فجاءت ألفاظه وتراكيبه عربية غير التى خاطب بها غير العربى ، وذلك دليل على احاطته بفروق تلك اللغات واستيعابه لها ، يكلم كل فئة بما تفهم . وقد سبق لنا أن تحدثنا عن ذلك فى مبحث حديثنا عن غريب الحديث وشرحننا ألفاظ هذا الكتاب وكذلك أوردنا رواية أخرى يمكن الرجوع اليها (١) .

ورسائل الرسول صلى الله عليه وسلم وان اختلفت أساليبها إلا انها تشترط فى سعاتها هي اليجاز والمجوم على الآخرين من أول جملة وتوضيح المألوف بكل دقة وتعميد وسراحة .

المصادر:

٥- تصدق بيانى مشهور عند العربى الجاهلية . فقد كانوا يكتبون محارباتهم واتفاقياتهم . وللعقائد على المهم منها ، كانوا يودعونها جيوف الكعبة . فلما واجهت قريش بنى هاشم قاصدين

(١) انظر هذا الباب ص ٩٧

الضغط عليهم لتسليم محمد إليهم . اتفقوا على مقادعتهم ، ودنوا
هذا الاتفاق في سجنه وأودعوها الكعبة توثيقا لها وحفا عليها .

ولما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم اتعد هذه المعاهدات سبيلا
لتحقيق أغراضه وأدلى عليها كثيرا من التمنّضات والاشتراطات والتوجيهات
ما نظمها في سلك العمل الفنى حتى أصبح الناظر فيها ، يجد نفسه
أمام لون بيانى يكتنف فيه صلى الله عليه وسلم من كثير من الجوانب
السياسية والاجتماعية القائمة والمتوقعة فاستصابت بالدقة الثانوية
لون نصوما مكتوبة يبين فيها ما بين الدافين من اتفاقيات وشروط
دقيقة ومثال ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار
واليهود بالمدينة . وهو الكتاب الذى وادج فيه اليهود وعاهدتهم
وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرا عليهم واشترط لهم وهو:-

بسم الله الرحمن الرحيم ،

(١) هذا كتاب من محمد النبى بين المؤمنين والمسلمين من قريش وشرب

ومن تبعهم قلحهم بهم وعاهد منهم .

(٢) انهم لمة واحدة من دون الناس .

(٦) المهاجرون من قريش على ربهتهم يتماثلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمروة (١) والقسم بين المؤمنين .

(٧) ونوموا على ربهتهم يتماثلون محالهم الاولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمروة والقسم بين المؤمنين .

(٨) ونوموا على ربهتهم يتماثلون محالهم الاولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمروة والقسم بين المؤمنين .

(٩) ونوموا على ربهتهم يتماثلون محالهم الاولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمروة والقسم بين المؤمنين .

(١٠) ونوموا على ربهتهم يتماثلون محالهم الاولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمروة والقسم بين المؤمنين .

(١١) ونوموا على ربهتهم يتماثلون محالهم الاولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمروة والقسم بين المؤمنين .

(١٢) ونوموا على ربهتهم يتماثلون محالهم الاولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمروة والقسم بين المؤمنين .

(١٣) ونوموا على ربهتهم يتماثلون محالهم الاولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمروة والقسم بين المؤمنين .

(١) المروة في الأصل تعني الحرب الذي تعارفا الناس عليه

- (١) وتنص الأوسر على ، ويستقيم يتحالفون معاً عظيم الأولى ، وكل الساكنين عليه تأذى عانيه بالمدرو والقضاء بين المؤمنين .
- (٢) وأن المؤمنين لا يتركون شئ ما بينهم أن يمطوه بالمعرفة في خمس أو عقل .
- (٣) وأن لا يخال مؤمن مولى مؤمن : ونه .
- (٤) وأن المؤمنين المتين على عن بغى منهم أو ابتغى دسيسة (١) الطم أو واشما أو عد وأن أو سادا بين المؤمنين وأن أيديهم عليه بجميع وليس كان ولت أحد هم .
- (٥) ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن .
- (٦) وأن دسة الله واحدة يجوز عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين يحبهم مولى الى يحب دون النار .
- (٧) وأنه من تجنا من يهود فإن له النار والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم .
- (٨) وأن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن نور قتال في سبيل الله الا على سواء هذه بينهم .

- (١) وان كل غازية حُرَّتْ منا بِمَقَابِلِهَا بَعْضًا .
(٢) وان المؤمن يَجِيءُ بِخَبَرِهِمْ عَنْ بَصَرٍ بِمَا نَالُوا مَا هُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .
(٣) وأن المؤمن على أَمْسِنَ حَالٍ وَأَقْوَمِهِ .
-

- (٤) وانه لا يَجِيرُ مَشْرَاءَ مَالًا لِقَرِيْبٍ وَلَا نَفْسًا ، وَلَا يَحُولُ دُونَهُ عَلَى مُؤْمِنٍ .
(٥) وانه من اَمْتَدَّ مُؤْمِنًا قَتْلًا عَنْ بَيْتِنَا فَانْه قَتْلُهُ بِهِ إِلَّا أَنْ يَرْتَدَّ .
وَلَوْ الْمَقْتُولُ (بِالْمَقْل) وان المؤمن عليه كافة ولا يحمل لِمِ الْأَ
ثِيَامِ عَلَيْهِ .

- (٦) وانه لا يحمل لمؤمن أَقْرَبُ بِمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ، وَآمَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَنْصُرَ مَعْدَاً أَوْ يُؤْوِيَهُ ، وان من نصره أَوْ آوَاهُ ،
فَأَنْ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَخِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُؤْمَدُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ .
(٧) وانكم سبها اختلفتم فيه من قبل ، فإِنَّ مِرَّةً إِلَى اللَّهِ وَالْيَوْمَ مُحَمَّدٌ .
-

- (٨) وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا حُرَّامِينَ .
(٩) وان يهود بنى صَوْنٍ أُمَّةً مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين
دينهم ، مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثَمَ ، فإِنَّهُ لَا يَتَوَخَّ الْأَنْفُسَ
وَأَهْلَ بَيْتِهِ .

- (٢٨) وان لليهود بنى النجار مثل ما لليهود بنى عوز .
 (٢٩) وان لليهود بنى الحمار مثل ما لليهود بنى عوز .
 (٣٠) وان لليهود بنى جثم مثل ما لليهود بنى عوز .
 (٣١) وان لليهود بنى ساعدة مثل ما لليهود بنى عوز .
 (٣٢) وان لليهود بنى الأور مثل ما لليهود بنى عوز .
 (٣٣) وان لليهود بنى شعدة مثل ما لليهود بنى عوز .
 (٣٤) وان لليهود بنى شعدة مثل ما لليهود بنى عوز .
 (٣٥) وان لليهود بنى شعدة مثل ما لليهود بنى عوز .
 (٣٦) وان لليهود بنى شعدة مثل ما لليهود بنى عوز .
 (٣٧) وان لليهود بنى شعدة مثل ما لليهود بنى عوز .
 (٣٨) وان لليهود بنى شعدة مثل ما لليهود بنى عوز .
 (٣٩) وان لليهود بنى شعدة مثل ما لليهود بنى عوز .
 (٤٠) وان لليهود بنى شعدة مثل ما لليهود بنى عوز .

- (٤١) وان لليهود بنى شعدة مثل ما لليهود بنى عوز .
 (٤٢) وان لليهود بنى شعدة مثل ما لليهود بنى عوز .
 (٤٣) وان لليهود بنى شعدة مثل ما لليهود بنى عوز .
 (٤٤) وان لليهود بنى شعدة مثل ما لليهود بنى عوز .
 (٤٥) وان لليهود بنى شعدة مثل ما لليهود بنى عوز .
 (٤٦) وان لليهود بنى شعدة مثل ما لليهود بنى عوز .
 (٤٧) وان لليهود بنى شعدة مثل ما لليهود بنى عوز .
 (٤٨) وان لليهود بنى شعدة مثل ما لليهود بنى عوز .
 (٤٩) وان لليهود بنى شعدة مثل ما لليهود بنى عوز .
 (٥٠) وان لليهود بنى شعدة مثل ما لليهود بنى عوز .

على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النّصح والنصيحة والبر
دون الإثم .

—————

- (١) وإنّه لا يأثم أمرؤ بدينه ، وإن النمر للمظلوم .
- (٢) وإن اليهود ينفون مع المؤمنين ما داموا مسلمين .
- (٣) وإن يشرب حرام جوفها أهل هذه الصحيفة .
- (٤) وإن الجار كالنفس غير حار ولا آثم .
- (٥) وإنه لا تجار حرمة إلا باذن أهلها .
- (٦) وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده
- إن مرّة إلى الله وإلى محمد رسول الله ، وإن الله على أتقى ما في
- هذه الصحيفة وأمره .
- (٧) وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها .
- (٨) وإن بينهم النمر على من دهم يشرب
- (٩) وإذا دعوا (أو اليهود) إلى ملح يمالحونه ويلبسونه فأنهم يمالحونه
- ويلبسونه ، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فأنه لهم على المؤمنين ألا من
- حارب في الدين .

د) على كل أناس محبتهم من جانبهم الذي قبلهم .
هـ) وان يهود الأوس ومواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة
وان السّير دون الاثم لا يكسب كاسباً الا على نفسه وان الله على أصدق
ما في هذه الصحيفة وأبّره .

و) وانه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم ، أو آثم ، وانه من ضمن كمين
ومن قصد آمن بالمدينة ، الا من ظلم وأثم ، وان الله جبار لمن
يسّر واتقى ، ومحمد رسول الله (١) .

نجد هذه السلسلة من الوثائق في كتب السيرة والتاريخ كمقد
تتواصل بين المهاجرين والأنصار من جهة وبين اليهود من جهة
أخرى .

ويرى البروفسير/عون الشريف (٢) أن القراءة المتأنية للنص واجتضاع
نقراة المختلفة للتسميى الدقيق تبين أنه لا يشتمل على معاهدة واحدة
بل يعكس ذلك ، تبرز في ثناياه سلسلة من المعاهدات المنفصلة .

(١) جمهرة رسائل العرب / ٢٥ - دبلوماسية محمد / ٢٤١ - ٢٤٤ .

(٢) دبلوماسية محمد / ١١ .

ويسور البروفسير/ عون أدلة من النص ومن خارج النص :-

نأدلة النص ضما " تكرار فقرات بأكملها نص على التزامات وشروط واحده
كما هو الحال في الفقرة ٢٠ والفقرة ٤١ اللتين تنصّان على ردّ أي خلاف
ينجم بين المتعاهدين الى الله ورسوله وكما هو الحال في الفقرة ٢١ والفقرة
٤٢ ، اللتين تنصّان على أن النيهاتين ينفقون مع المؤمنين
صادقوا صارين . وشمل ذلك يقال على معنى المادة ٤٠ والمادة ٤٨
اللتين تنصّان على مناصرة الأطراف ليعتبرهم بعضا على من دهم يثري (١)

ويقول البروفسير/ عون " ومن الصعوبة بمكان أن نقبل بالتسليم المذى
يذهب الى أن تكرار مثل هذه الالتزامات والشروط المحددة قد قصد
منه وانجح النص تأكيد أهمية هذه الاحكام . فقد كانت العقود والمعاهدات
تتسم بالايجاز والتحديد ، والتحليل الأرجح لهذه الظاهرة التي يبرزها
لنا هذا النص ، هو أنه كانت هناك مجموعة من المعاهدات ، عقدت في
فترات مختلفة بين الأطراف المذكورة تشمل أحيانا فقرات متشابهة ، ثم
ضمت الى بعضها في فترة متأخرة وجمعت كوثيقة واحده تقوم الفقرات
المكررة فيها شاعدا على تعدد النصوص الأصلية (٢) .

(١) دبلوماسية محمد / ١٦

(٢) دبلوماسية محمد / ١٧

وهناك دليل آخر على طبيعة التعدد في هذا النص ، يتصل فـي تكرار من نوع آخر فعبارات مثل : - (الله أكبر هذا) و (السير دون الاسم) و (على أسمين صدر وأقوسه) تحقق عادة في نهاية المعاهدات لتؤكد التزام الأطراف المتعاقدة بنصوص الاتفاق ، وذكر الله والوفاء بما إلى ذلك من عبارات تستقيم مع هذه الروح . وورود هذه العبارات في مواضع متعددة من هذه الوثيقة ، مختلفة من الوثيقة ، له مدلول أكبر من مجرد التأكيد فـأهمورها في سمة أجزاء مختلفة من الوثيقة يدل على أن هناك أكثر من نص واحد في وثيقة الأمة . ولكنه من السير أن يحدد الباحث بدقة ، أين ينتهي النص الواحد ، وأين يبدأ الآخر لأننا إذا قلنا فكرة احتمال وثيقة الأمة على سلسلة من المعاهدات المنفصلة ، فإن احتمال الاحتفاظ بكل فقرة في مكانها الأصلي من النص المعنى يكون نسبيا جدا

ودليل آخر من جان النص هو ادخال المنصر التاريخي : فالاتفاق مع المهاجرين والانتصار تم في المرحلة الاولى ، ثم جاء الاتفاق مع اليهود في مرحلة متأخرة ولم تكن الاتفاقيات في كلتا المرحلتين قد حدثت فـي لحالة واحدة لكنه كانت هناك أطوار مختلفة في المرحلتين من المحتمل

أن تكون بحسب فقرات الوثيقة وموادها أضيفت فيها بحسب مقتضيات الظروف والأحوال . فلم تكن هناك في البداية أسس محددة يسترشدها ، وكلما جددت أحداث وفرضت المشاكل وجودها استلزم ذلك تحديد الالتزامات وفرض الشرور لمواجهتها ، فتكتب المواد وتضاف الفقرات التي تحمّل لها ذلك بالبرهنة التاريخية . (١)

ومن يقرأ هذا النص يجد نفسه أمام وثيقة سياسية شاملة تحدد المبادئ الأساسية التي تكفل للمسلمين المهاجرين أن يعيشوا بين أصل البلاد الأصليين على اختلاف المذاهب وتباين المشارب . وثيقة تحدد أسس المعاشة الحاضرة وتضع ألصق حساب لما قد يطرح من مشكلات وقضايا في المستقبل . وثيقة عميقة تعمم وتوضح دون أن تحتاج إلى مذكّرة تفسرها أو شرح يوضحها فالمبادئ التي قررها الرسول في هذه الوثيقة هي :-

(١) وحدة الأمة المسلمة ، وطلاقة المهاجرين والأنصار ، وواجب كل فرد من نفسه وغيره ونحو الدولة .

(٢) الحرية التامة وتضمن حرية الملكية وحرية العقيدة وحرية الرأي.

والتكبر .

(٣) حرمة الدم والحياة والتزام المتحاربين بالمحافظة على ذلك لقيام

الوحدة السياسية بين اليهود والمسلمين . وحرمة مدينة يثرب ،

ووصفهم بمحبا في وجهه من يعتدي على أي جزء منها . فهي وثيقة

تحمل المقررات السياسية التي تستدعيها نظم الحكم واستقرار

الحياة الجديدة . وفي ذات الوقت تبرز مزايا الدين الجديد بما يشد

الناس اليه ويحتذبهم نحوه . فنجده يجعل الايمان والاسلام ركيزة

الطرفين الأصليين في الاتفاق وألحق بهما غيرهم ممن يلتزم بمبادئهم

واللهائهم والمبادئ منهم ، وهذا قيد المسلمين والمؤمنين

برعاية المدين وقيد الطرف الثالث بقيود توثق ارتباطه بهذين

الطرفين ، دون أن يترك له فرصة للتفكك ، أو الخروج ، ورابط آخر

يربط الأطراف الثلاثة ببعضها ، ألا هو ادعائهم لزعامه محمد صلى

الله عليه وسلم ، واتقرار معنى من غير المسلمين بنبوته وهو قوله

(هذا كتاب محمد النبي) .

وحدد الترابية المتداق بين المتعاضدين جملتهم (أمة واحدة — من دون الناس) ، ثم فصل مظاهر هذه الوحدة وبين التزام كل جماعة وتعلمها الأعباء ، ذلك الالتزام وذلك يقرر مبدأ التكافل الاجتماعي في آرضي سورة ، ومبادئ هذا التكافل يورده في عبارات موجزة ، قسم ينسب في تصوير مظهره .

نمن مبادئ هذا التكافل ، التعاون من مباحة في دفع وتيسر وفداء لأسير ، كل حسب استطاعته بالمعروف والقسط (بين المؤمنين) وكذلك صاورة من أثقل بالآتين والعيال . وهارته (بين المؤمنين) تنفس على هذه الفترة كثيرا من الضلال ، ان أن من يقوم بذلك فمن مخلصه ، ليس أو فرد ، وإنما هو المؤمن ، لأن إيمانه يالمه على قيمة المال ورايقتة .

وفي الفترة التي تتحدث عن تقرير حرمة المال ، والطلب الخاص والعام نجد المؤمنين موصوفين بالتقوى (وأن المؤمنين المتقين على من يغشون منهم ...) وفي ذلك الوصف إحياء بأن الإيمان وحدة قد لا يكفى في توجيه الإنسان إلى أن يفت في وجه المعتدى المتجاوز حدة ، مما

كانت ملته به ، ان الانسان في ذلك قد يجد من دواعي الفكرة ما يجعله يذعن اليقين عن تجاوزات العالم . فالمؤمن الواثق ، لا يواصل في الحق ولو كان العالم ولده .

والحرية كذلك ليست مألوفة فسمية العقيدة مقيدة بالايان ، (وأن المؤمنين بعضهم موالين لبعض دون الناس ، وأن من تبعنا من يهود فله النصر والأسوة) نبدأ النضورية والمصيبة يقرر مبدأ المساواة رغم اختلاف الدين ، فلا يهودي النصر والمساواة ، لكن حتى هذا المبدأ لم يترك مطلقا . فقله (وأن من تبعنا من اليهود) يعيد ذلك الادلاق فلفه (من تبعنا) أي من سار سارنا ولم يخرج عنا ، فان موحد ، فلا نصر ولا مساواة .

ثم تقرر الوثيقة ومبدأ القيادة السياسية . القيادة التي تخضع للمبادئ لا للاشعار ، فالسياسة ثابتة لا تتغير ولا تغتلب بالاختلاف القائم عليها .

ومن أبرز ما يبرز توحيد عناصر الامة ، المشاركة بالمال عند الحاجة اليه على وجه الالتزام ، لا فرق في ذلك بين مسلم ويهودي (وأن اليهود

يتأخرون مع المؤمنين ما داموا صابرين .

والتأمل في عبارات هذه الوثيقة ، يلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرسل كتابه سياسيًا علميًا يقوم على العبارات والكلمات الجافة الجامدة ولم يجعله كتابًا فنيًا يقوم على العبارات الفضفاضة التي تعنى أكثر من مدلول ، بل جعله مزيجًا من هذا وذاك . فأخرج له لوحة فنيّة تقدم صورة الوحدة الجديدة للامة الجديدة متعددة الممالك ، بارزة الأبعاد من خلال احياء والال من نوع آخر ، تمنح العبارة سحر الفن وتضج المتلقى من اضطراب الفكر . قبل فقرة تجمع بين الكلمات والعبارات المحددة بمدلولاتها المادية والكلمات والعبارات ذات الظلال والاحياء بحيث لا يفتقر التأمل بالجمود المادئ للعبارة ، ولا يجهد بالكالال من ملاحقة المستوى المتعدد لها .

أضف الى هذا انه صلى الله عليه وسلم حرص على أن يرسل المتحاضرين بالقوة الاسمي (الله عز وجل) لينشئ التوازن القوى ، والترتيب الذي لا يغيب ولا يخفل ، والمركز الذي يلّم الشتات ويضمّ الممزق .

ويجمع المشرق ، فلم تخل جملة من ذكر الله تعالى أو ما يتصل
بالله من ايمان وتقوى .

بطل أنه صلى الله عليه وسلم أعلن ذلك فأقام المأجدة
من مبتدئها التي منتهىها على رقابة الله ومراقبته ، فقرر
مرة أن الله أبّر هذا ومرة ثانية (أن الله على أتقى ما في
هذه الصحيفة وأبّره) وفي خاتمة الكتاب ذكر أن الله على أصدق
ما في هذه الصحيفة وأبّره .

وبذلك جعل المأجدة مزيجا من حاجات المادة وحاجات
الروح فحاننا لتلاقي الأطراف جميعا عند حدودها ، مهما
كانت التضحيات والمضارم .

الخاتمة

حاولنا في هذا البحث تناول الأسلوب النبوي ودراسته دراسة
تأصيلية أدبية فنية ، رغبة في الوقوف على أوجه دعامته وأعم وأبهر

خصائصه .

والقداء من الأدباء أهتموا بهذا الجانب من حديث الرسول صلى
الله عليه وسلم ، إلا أنهم لم يفرقوا له فصلاً خاصة بل نجدهم متناثرين
كثيرهم ومهم لغاتهم ولذا أخذ الباحث والشريف الرضي كمثال للمتقدمين الذين تحدثوا
عن روعة الأسلوب النبوي لما يكشف كثيراً من خصائصه .

فالباحث نصح كتابه اليار والمبين يتعرض للأسلوب النبوي في أمكن
مفرقة ويتحدث عن سماته ويستشهد من بيان النبوة بالحديث والخطبة
ويكرر الاستشهاد في مواضع متعددة فتحدث عن خبيصة الإيجاز في كلام
المصطفى صلى الله عليه وسلم قائلًا .

(هو الكلام الذي قلّ حرفه وكثر عدد معانيه ينفذ الخطب الطوال بالكلام القصير
ووقف لفظه الشريف بأنه سهل قريب المأخذ بعيد عن التكلف والمدة فقال
(حل من المدة ونزه عن التكلف وطب التشديق وجانب أصحاب التقدير وهو
القريب والوحش ورغب من المجهين السوقي) (١)

كما أن الباحث لم يقتصر على عرض الأنماط البليغة من أدب رسول

الله على الله عليه وسلم بل تعرض الى أكثر ما يدمر بيانه من أقوال وتتبعها بالنقد مباشرة أو مفيداً (١)

أما الشريف الرضي ^{فتد} / خص المجازات النبوية بكتابة خاص فسد مسداً لم يسده أحد قبله أو بعده ، إلا أن المجازات ليست الأبواباً واحداً من أبواب البيان النبوي ، فقد تتبع الشريف ألوان المجازات على كلامه على الله عليه وسلم فجمع ثلثمائة وستين حديثاً نبوياً ليشرح ما فيها من ألوان المجاز . وقد سبق أن نحا هذا المنحنى في مؤلف عقيدته عن مجاز القرآن ، سماء تلخيص البيان عن مجازات القرآن مما ينبئ عن ولعه بتتبع هذا الدرب من الأسلوب .

ومع ميله للإيجاز في شروحه فقد دلّ الشريف الرضي على أسرار ذكيفة في دنيا البيان النبوي وهو يدلّ ذلك الإيجاز بقوله في مقدمة كتابه المجازات النبوية (وعلت بتفصيل الله على تتبع ما في كلامه على الله عليه وسلم وعلى الله من ذلك المجاز والإشارة منه إلى مواضع النكت ومواضع الغرض بالأعصيات الوميزة والإيحاءات الخفية على طريقي في الكتاب " مجازات

القرآن " لئلا يحاول الكتاب فيلغى على الناظر ويشتر على النفاذ -
فإن القلوب في هذا الزمان ضعيفة عن تحمل أسماء العلماء الثقيلة لأنه لم يبق
من الفضل إلا الذم ، ومن الفضلاء إلا الأسماء (١)

وطلبنا للإيجاز والاقتصاد نجده يستر الأحاديث مقتصرًا على مؤلفيه
الشاهد البلاغي ، وقد تنبه الأستاذ محمود مصطفى ناشر الكتاب إلى ذلك
عبر ألزم نفسه أن يذكر في هوامش الكتاب بعض ما يقع عليه من التسمي
التسامية كما جاءت في الصحاح مقدرا قيمتها في جلاء المعنى البلاغي
ومما فات الشريف الرضي ولم يسن به .

أما المحدثون فقد اهتم بعضهم بدراسة الأسلوب النبوي

، بيان خصائصه وحملوه موضع دراسة لنيل درجات عليية .

فالدكتور محمد رجب سيمى تقدم إلى كلية اللغة العربية بجامعة

الازهر ، برسالة لنيل درجة الدكتوراه بعنوان (البيان النبوي) ، يندل

فيها جهدا دليلاً ، حيث بدأ رسالته بذكر بيده ما حيكت حوله السيرة

النبوة من شبهات دفع إليها الجهل عند قوم والنرض عند آخرين . كما
تحدث عن الطابع الأدبي للبيان النبوي ليحصل من تحقيق هذا الطابع
دليلاً على صحة النص المحمدي . وأفسد فصلاً للحديث عن الدامل الرئيسي
في تكوين محمد صلى الله عليه وسلم جازماً بأن ما يذكر كثيراً يصدد . لك من
نشأته في قوش. ورعاية في بني سعد ، إنما كان أقل العوامل في بيانه
النبوي ، إنما الدامل الأول هو فطرته القوية التي طبعها الله عليها منذ
اختاره للدعوة ، الله أعلم حيث جعل رسالته : (١)

كما تحدث عن محمد الخطيب ، ومحمد الداعية ، فحدد لتصور
من الداعي فارقاً بينه وبين الخطيب . وقد أفاض في تشريح ما اعتمد عليه
الداعية الأعظم في الأسلوب الإرشادي من التكرار العنوي ومن لباقة العرض
للموضوع الواحد في صور مختلفة من استثارة الوجدان الإنساني بتقديم ما يفتقسه
ويقتسه ويرشيه .

أما محمد رائد الابتغال فقد تحدث عنه المؤلف في فصل خاص استعرض
فيه نماذج مختلفة للأدعية النبوية مفصلاً أهدافها وشارحاً خصائصها ،

مشيرا الى ضرورة الاعتناء بها لدى مؤرخى الادب العربى باعتبارها فننا
جديدا قد احتضام أساطير البلغاء من أمثال على بن أبى ريثم
وجعفر الصادق والحسن البصرى إلى أساطير الصوفية وائمة المخذ.

أما الدكتور بكرى شيخ أمين فقد ألف كتابا سماه " أدب الحديث
النبى " أن كتابه غلب عليه علم مصطلح الحديث أكثر من دراسة الأسلوب
الادبى النبوى . ان أن الكاتب بدأ حديثه عن المصطلحات الرئيسية
فى علم مصطلح الحديث ثم تحدث عن **تدوين الحديث** واشهر كتبه ، و **وضع**
الحديث وأسبابه . وفى فصل خاص تناول علوم الحديث . كعلم تاريخ الرواة و
الشرح والتعديل وطل الحديث . كما أترد المؤلف فصلا كاملا للحديث عن
سماع الحديث وتعلمه . وآخر تناول فيه أقسام الحديث ودرجاته من صحيح
وحسن و **ضعيف** .

فى رأينا أن هذه الفصول لا علاقة لها بأدب الحديث وعلى
تتعلق بعلم مصطلح الحديث ولم أن الكاتب تجاوزها والتزم بما اختاره من عبارات
لكتابته لكأن ذلك أنفع .

وفي الباب الثاني تناول المؤلف شخصية رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم
تحدث عن صفاته الحقيقية والعلنية وثقافته ، ثم تناول فضائله صلى الله
عليه وسلم الموروثة والفارسية والمنقسية ، ثم أتى ببعض الأحاديث التي قد ثبتت
بعضها بالأحاديث وتناقضها بالاحاديث وصحت بعضها على مرر الزمان ، مستشهدا
بها على فضائله وببوامع كلمه . (١)

وباء الباب الثالث من كتاب الدكتور بكرى بعنوان " تحليل أدبي من
الحديث " أشار فيه المؤلف ثمانية عشر من حديثا ، وضع لكل حديث
عنوانا ، ثم تحدث عن معنى الحديث وما فيه من صور بيانية بلاغية مثال ذلك
" عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورث
أمرأة ثياني عند قبر أبيها . فقال لها : اتقي الله واصبري . فقالت لسه
لم تحرفه - أي - علي ولم تصب بصبيتي . ثم عرفته فذهب اليه . فقالت
: قدرة : لم أمراء . فقال لما الرسول صلى الله عليه وسلم - (الصبر
عند الخدمة الأولى)

ومن البلاغة واللغة فيه يقول المؤلف :-

(الخدمة في اللغة : من الدابة والخدمة يرسم على آخر والخدمة
الأولى كناية عن أول خدمة الصبية . وفي الخدمة وعددا استعارة تصريحية
بشيء غيرها . حلول الصبية بخدمة مادية على رسم المصاب فأدركته . (٢)

١ - أشار أدب الحديث النبوي / ١٠٤ /

٢ - أشار أدب الحديث النبوي / ٢٠٧ /

~~وفي الصلوة وحدها استقرت تصريحي في هذا الصيغة~~
~~الاولى كناية عن اهل عجمة الصيغة/ بعدة مادية على اسم المصنف فانها~~ (١)

ثم يتكلم بعد ذلك عن المعنى ويتناول الحديث بالتحليل وسار على
نفس النهج في رسالته بقية الاحاديث ، فبدأ الباب الثالث من كتابه أشبه
بالكتب الجاهلية التي توجه للتعليم تلاميذ المدارس مبادئ البلاغة .

وحرصاً مني على إضافة شيء يسير لخدمة السادة النوية ، جاء
اختيارنا لهذا البحث ونحوه نعلم تعدد مناجاة وعبودية مرتقاء .
على دراسة كتب الحديث ، فواجهتني بعض الصعوبات ، منها تناثر الدراسات
الادبية عن الحديث في كتب القدمين وقتها عند المحدثين ، فشددت
الرجل الى امر تنقلاً بين مكباتها العامة منها والمختصة ، فاستغرق ذلك
مني جهداً ووقتاً كانت عمرته هذا البحث الضواضع .

بدأت الرسالة في أبواب ثلاثة ، خصصنا الاول منها للحديث عن هدية
ملى الله عليه وسلم في الكلام ، فمن خصائص الهامة اختياره لالفاظ اذ

أنه كان ينتار لآفته أحسن الالفاظ وأجملها وألطفها وأبدعها عن الفاظ
الجفاء والنلظة ، وهو القائل عليه أفضل الصلاة والسلام (المسلم من سلم
المسلمين لسانه ويده) (١)

ومن السامع النالبة على الاسلوب التى تميزه عن بيان غيره ممن
يلتفت السرب ، تسمو به الى قمة البيان السرى اعلانا بانه بيان انسان
احاطاه به ليكون بينا الخفاية ، وداعيا الى دينه ونذيرا وبشيرا
، ماديا الى سعة مستقيم ، الايحاز فى مواطن الايجاز والاطناب فى مواطن
الاطناب . وان كان شديد الميل فى ايحاز الحديث وخطم الكلام وزم الطنب
شديد الزحف عن الثثرة فى غير ما طاعل ، التفهيق فى غير ما حاجة والاسترسال
من غير سبب قصى داع للاسترسال ، بسط الكلام وهو القائل (ان أحكمكم
الى وأثركم منى مجلسا يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقا ، وان أبغضكم الى
وأبغضكم منى مجلسا يوم القيامة ، الشرارون المشدقون) (٢)

وعذا لا يبنى انه لم يطنب فى حديثه ، فقد يقتضى الامسار

لمناسبة غرضه أن يفيد الرسول صلى الله عليه وسلم فى القول فلا يتأخر

١= انظر هذا البحث ص ١١

٢= انظر هذا البحث ص ٢٦

لان الاطناب والبسط في مبدءه كالايجاز والخطم في موضعه واحق ما يوصف به
اسلوب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، والاتزان في اسلوبه يتساوى
فيه لفظه مع ما يقصده من المعنى فطال ذلك الا انه يبين عن فطرة خالصة
صوراته من شواهب المصطنعة تدرك الدليل اللغوي للكلمة وتحيط بها ~~بما هي عليه~~ ^{بما هي عليه}
واحتشاداً لا يتبع امامها ما يقصد ^{والله} كمال لبيح عنه ، وحدوده الناجية للحكام
الذي يتكلم فيه صلى الله عليه وسلم حين يتكلم .

لقد ^{كان} صلى الله عليه وسلم بصيراً بما يقصده متكاملاً من اللغة يقول ما
يقول دون ان يحير على وثيرة واحدة لا يتخلف ، ونسق واحد لا يتبدل
في جميع فنونه في مختلف أحواله ، مهما تباينت المواقف والدواعي ومهما كان
الفن الذي يتوصل به وعلى أي عمدة كان ، وهذا لا يستقيم لكان مخلوق
سواه ، اذا كان الكائن خاضعاً لحاجات وطوارئ تحد من استبداده فيتحول
من النشاط الى الكسل ومن الاقبال الى الادبار وامن الانحياز الى المسمى
وما كان صلى الله عليه وسلم بالذي يعربى من هذه الادوار البشرية لما تجده
في احاديثه المباشرة من دقة التمييز ووضوح المباشرة ^{الديباجة} وحسن ^{الديباجة} ~~الفتاوى~~ ^{الفتاوى} واحكام
النهي ، تجده في اسلوبه الخطابي والقصص وفي رسائله ، مآهده ، ما تجده
في البيان المعجز ، تجده في البيان المطول ، مهما بلى من الطول .

ولما كانت ^{من} سميات الرسل صلى الله عليه وسلم ، التربية ، التسليم
اتخذ اساليب عدة وسلك طرقا شتى اجاد استعمالها فكان اسلوب ~~الكلام~~ التحوار
والتشاور والمراجعة والسؤال والجواب ، الأخذ والرد ، وكان ممن
عديهم المادة الحديث واشقواؤه أحيانا ليفهم عنه وذلك لاختلاف القرائع
وتباين المدارك ، وما استعان به الرسول صلى الله عليه وسلم في تكميل
البيان وتوضيح الحديث الحركة والفعل أو الإشارة فبعضها من اساليب بيانه
دعون للفظه فكان يؤكد المعاني ويقويها بالحركة والفعل فيقول مثلا (المؤمن ^(١)
للمؤمن كالتيار يشد بشفه بهذا - ثم يشبك بين أصابعه) (١)

ولقد امتاز أسلوبه صلى الله عليه وسلم بالبساطة واليسر وعدم التكلف
في كل مجالاته إذ كان يعشق من ميعور لنوع كبر ينصب حياته له فطرته الفميزه ،
وإن كان في شجره لا ينفع لها يفضله له غيره من الحرص على التفوق واحراز
الميزة على منعه إذ إن الحرص على التفوق يدار عاوجه التي اقامته بانه
على اسباب المنة التكلف ، حيث يعتمد الر تذيب كلامه ، مراحته قبل ان
يتنوه به وتكرار النظر فيه دالبا لتجويده واحكامه فيحذف ويضيف ويستبدل
الكلمة بالآخره ويقدم ويؤخر وعان كان صلى الله عليه وسلم في بيانه ينظر

الى سبب شئ من هذا لانه من يكون يجاوز بكلامه مقدار الابلاغ في
العاش الذي يريد ، وان اخرج في ارض سورة واروع مظهر وهو لم ينزل
الى هذا العشر القائم على التنافس ، ومن ثم لم يكن مضطرا الى ذلك الذي
اضطر اليه الآخرون ، انما كانت ماله وعيا والهاماً ونفثا في السرم
وكانت حكمة فطرية ، اعدادا ربانيسا ، يعني انه الخدم للقران الكريم
ياخذ عنه ويسير في اطاره ولقد حرص القرآن الكريم على تقرير هذا ، فقال
في تزكية منطقه صلى الله عليه وسلم وتنزيهه عن الهوى (وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحى يوحى ، طمعه شديد القوى ذو مرة فاستوى ، وهو بلائق
الاعلى) (١)

وما ورد من الناطق غريبه في الفاظه صلى الله عليه وسلم لا يخرج
عن ضرب ثلاث . اولها الناطق غريبه كانت مانوسه في عره فلما خالسط
الضرب وغير بنسبهم ، تداخلت اللغات وتقدم عهدنا بها غرض ما كان مانوسا
وضرب ثان من الضرب ورد في حديثه صلى الله عليه وسلم ينظر الى استعماله
وجاء به ليسد مسددا لا تنفى به الكلمة المأهولة ، وهذا تكون الغريبة
على ندرتها القليلة مما يحجب .

واستعان على الله عليه وسلم بالاستعارات في كثير من أحاديثه
تقوية للمعاني وتأثيرا في السامع وتصويرا للمعاني الذهبية والنفسية والباطنية
لتقريب المعاني . وأول ما يسترعى الانتباه والنظر في خصائص الاستعارة
النبيهية ، أنها تستمد عناصرها من الطبيعة والبيئة وفي ذلك إثرا كبيرا لان الصحابة
رضوان الله عليهم يدركون هذه العناصر ، يشعرونها ويرونها قريبة منهم وبين
أيديهم ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (نسيم المدة اللقطة
الحنى مدة و الشاة الصفى شاة تغده ، بانه وترجع بأخر) (١)

والكتابة والتصريف في البيان النبوي يقامان بدورهما كاملا غير منقوص
في أداء المعاني وتصويرها أداة تصوير ، تهذيب الالفاظ وابدال ما يفحش ذكره
ويستحجر فمما تقبله الطبع وتلد له الاسطاع .

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام (٢) (عليكم بمنق وسنة المهديين

من بعدى عذوا عليها بالنواجذ فناء الاشهاد الى التمت بمنته صورا
تصويرا دقيقا في تركيب محازي : هو الممد بالنواجذ ، فجاءت الصورة الذهبية
شاذرة ماثلة لها في النفس نحيب وفي القلب أثر بالسنة .

أما أثر الحديث النبوي في فنون الأدب فكان مجال الحديث في الباب الثالث من الرسالة يتناول موقفه صلى الله عليه وسلم من الشر ، يبيح هذه القضية موضحاً ما أحبط بها من لفظ كثير ويكشف قدر الطاقة ما تخصصه من ~~مفاهيم~~ ^{عبر} يتراكم على الأجيال إذ ينقل اللاحق عن السابق دون تحصيل

إذ أحسن بعض الأدباء على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقيم للشر وزناً ولا يكمل انشاد بيت واحد بلفظ ، إلا أني تناولت هذه الآراء بالناقضة انتهى بي الرأي إلى ما نقلته عنهم. إذ إن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يتحلى من قول الشر نقد استثنائي غيرم وأحسن إليه ، كما كان الشر من أسلمته التي امتحان بها لنشر دعوته وكان طالما به ، فلو كان الشر مذموماً لما استثنى القرآن الشر المأمورين الصالحين ولما اتخذ صلى الله عليه وسلم شعراء يشبههم على الشر ويأمرهم بمطلة ويسمعه منهم ، فهو لا يتحرج منه ولا يذمه ولا يكفره ولا يشبهه صلى الله عليه وسلم (١)

وقد أتت أخرى شبيهة بتلك ، هي موقفه صلى الله عليه وسلم من السجع ، ذهب بعض آخر إلى أنه صلى الله عليه وسلم اعتنه عنه ونهى

ونفر عنه غيره وخالقهم من ذلك بما سقناهم من أدلة تكشف أنه ليس

يتخرج من قوله ولم يخرج عن السنن الكبرى من استحسان له بل ورد كثير

منه في حديثه صلى الله عليه وسلم وهو إن نهي أو نفر فقد نهي عن جمع

الكهان لما نهي عن تكلف وتشايق وإبطال حق وهو صلى الله عليه وسلم لم يتكلف

السجع ولم ينصرف ~~له~~ بل جاءت أسجاع على السجعة حلوة حلوة طنانة

رنانة لا غلبة ولا باردة .

والرسول صلى الله عليه وسلم استخدم القصة في الهداية والارشاد

بمداهم أدرك أمروا في النفوس فجعلها وسيلة من وسائل الدعوة الشريفة

والقصة النبيهية وإن كانت ذات غرض ديني إلا أنها اتست بيميز الخصائص

الفنية الأدبية من الاعتماد على الوحدة الفنية ، انتقاء اللفظ النحوي مسير

الاستعارة الآخذة والتشويق الحاذق دون اهتمام مزايد بالأشخاص والأحداث

وهذا الماخذ ~~الذي~~ والأحداث اتصال مقصود منه صلى الله عليه وسلم

أنه إن حكاية الأحداث ليست مقصودة في ذاتها بل يتقادم منها الجانب السدي

يكشف عن الضمير دون مسواه . (١)

أما أثر الحديث في الخطابة كمن من فنون الأدب ، فقد جاء
الرسول صلى الله عليه وسلم والخطابة الأهلية لا تتركز على أساس من وحدة
المعنوع ووحدة المناد فحدث فيها انقلابا كبيرا شمل الشكل والمضمون والأسلوب
والأغراض ووظفها تلك الوظيفة الدينية الجديدة (١)

أما رسالته ومساعداته فكانت من سماتها الدقة الموجزة ومراعاة
مقتضى الحال في التزام الواقع والهدى عن المجاز ما أمكن خوفا من اختلاف
الفهم عند التفسير والتأويل وفي ذات الوقت لم تكن جادة تقوم على المبارات
والكلمات الجامدة وز لم تكن غنية تقوم على المبارات المفضضة التي تعنى
أكثر من بدلول ، بل جعلها صلى الله عليه وسلم مزيجا من هذا وذاك .

ولقد تبين لنا بعد حالة النظر وتعدد الفكر ، أن الفنون البيانية
فيه ليست مقصورة لذاتها ، وإنما هي وسائل بيانية تفردها ظروف خاصة
في الموقف الذي يبين فيه صلى الله عليه وسلم ، إذ يلعب بحسب الظهور
ما يتطلب الموقف من الألوان البيانية فتبذل به ، ليعمل إلى الملتقى من أقرب
الطرق وأوضحها دون أن يدرك في دروب تشعبية وأودية متشعبة ومن ثم

لا نستطيع أن نحصى بياته صلى الله عليه وسلم بآياد من تلك الفنون :
فليدانه ايجمع فنون النثر على ستون واحد وما ذلك الا لانه صلى
الله عليه وسلم لم يستعبد لفن من فنون البيان بل لم يستعبد للبيان
ذاته ، وانما البيان عنده وسيلة مهيمنة من كل اعرافات فهو ينتقى
من فنونه ما يستدعيه المقام ويتطلبه الوقت .

كما تبين لنا أن أبرز مخطوط الاسلوب النبوي أنه اسلوب عربي
عالي التزم فيه بحاجته سلوات الله وسلامه عليه - ودود الاساليب العربية
في مختلف الاتجاهات .

فهو عربي اللفظ اعتمد بحاجته في مادته الاولى على قاموسه
الخاص من لغة قوية التي كان له فيها الباع الواسع والاطلاع العميق
ريث اشتمل قاموسه الخاص صلى الله عليه وسلم على المفردات العربية
في بيئته الصغيرة - قريش - التي كانت تحتها باعتراف من جميع القبائل
أنزور لهجات العرب مادة وأرقها اسلوبا وأغناها ثروة وأقدرها على
التعبير الجميل الراقى والاسلوب الحسن الانيق في أقانين القول المختلفة
حتى أنها اضططعت وحدها في الكتابة والتأليف . كما اشتمل قاموسه

على الله عليه وسلم على المفردات العربية في مختلف اللغات العربية
الآخرى ما كان من مخالفة أناس لم يكتب له عليه السلام أن يشافهمهم
أو يشافوه ، يخالهم بلوتهم ولا يمدو ألفاظهم وعباراتهم فيما
يريد أن يلقيه إليهم ومن الفائز خاصة بهم وبين يداخلهم ويقاربهم
ويقاربهم وتجاوز في غير أرواحهم ولا تأتلف مع أنواع اللغة القرشية .
كاللغات التي استعملها في كتابة إلى همزان وفي كتابة لوائيل بين
همز الذين هم على قدر كبير من البلاغة والفصاحة . (١)

وهنا تجرؤ المقدرة الكامنة في بيانه على الله عليه وسلم ، تلك
المقدرة التي لفتت أنظار أهله في دمشق وتوسل على نحو ما سمعناه
من ابن عمه علي بن أبي طالب الذي قال ما سمعت كلمة عربية من العرب
إلا وقد سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) وسمعت منه
يقول مات حزن أنفه وما سمعتها من عربي قبله وهو عربي التركيب اعتمد
ساحبه في صياغته على أدنى وأرقى ما عرفه قومه من رسائل الصياغة واللوان
التركيب دون أن ينزع في شيء من ذلك فنزعنا خارجا عن عربيته ،
ولا عجب في ذلك فقد جمع على الله عليه وسلم في نشأته بين أفصح
القبايل وأرفعها لغة وأخلصها بيانا وأعذبها منقلا ، وارتقا تعبيرا ،

حيث ولد في بني ماضم ، ونشأ في مرتبة بين بني سعد بن بكر ، وتزوج من بني أسد وهاجر إلى بني عمرو بن عوف وهاجر إلى بني الخزرج ، فتمسك به من دافع نسأته ما غرز فآرتة التعريفة وتمكن بتلمذته على القرآن الكريم من نقل هذه الخصيصة بشكها المكتسب منها والفار . ، ليتحقق له التقوى الذي أعلن عنه صلى الله عليه وسلم بقوله في سوانحة العرب سيما (أنا أفصح العرب بيد أنس من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر) (١) ولم يتحرك لسان واحد لينكر عليه هذا الإعلان السريع في أمر به يفاخرون وعليهم يقولون .

وهو عرب في قلوبهم وألسنتهم ، اعتد فيه صاحبه على فنون البيان العربية منتقيا لها في كل موقف . ما يناسبه ويشاكله دون مراعاة لأب عوامل الحرب من حصول لهذا الفن أو ذيفوع لذلك فالال ومقتضاها ما هو الذي يدعه إلى هذا الفن دون غيره حتى ولو لم يكن هو الفن الأشهر عند العرب ، ولا يتم نفسه على فن بيان

بمينه الآ وتستدعيه .

وختاماً هذا جهد المقلّ تقدمه ولا ندعى فيه الكمال ونرجو
فيه المشورة والإبرار ونسأله عز وجل يوفقنا للدراسة أوسع وأتمم للبيان
رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم .

" ربنا لا تؤاخذنا ان تسبنا أو اخطأنا واعف عنا ولا تغفر
لنا وارحمنا "

مدى الله العظيم

ثبت المصادر والمراجع

- (١) القرآن الكريم .
- (٢) أبو علي الفارسي - عبدالفتاح شليو - طبعة مؤسسة مصر
"بندون تاريخي"
- (٣) أدب المدينة النبوية - بشار شبيب أمين دار الشؤون
مصر ، ١٩٨٨ م
- (٤) أحكام القرآن - ابن العربي - تحقيق علي محمد
البرهان - ١٩٨٥ م
- (٥) أسرار الحياة - الزمخشري - دار صادر بيروت ، ١٩٨٨ م
- (٦) أثر السجدة في معرفة السجدة - ابن الأثير وعزالدين
أبو الحسن علي بن أبي النعمان محمد بن محمد
أحمد بن محمد النعمان بن عبد الواحد الشيباني العمري
باب الأثير ، طبعة العراق "بندون تاريخي"
- (٧) أسرار السجدة - عبدالقادر البردائي ، طبعة الاستقامة
القاهرة ، ١٩٨٤ م
- (٨) أسرار البيان - علي محمد حسن الدمار ، دار
الترجمة الدولية للطباعة ، مصر ، ١٩٨٨ م
- (٩) أمثال القرآن - الباقلي ، أبها محمد بن الناصر
مكتبة السيد أحمد عيسى دار المعارف
مصر ، ١٩٨٨ م

(١٠) إلهام القرآن - الرانيسو وهانفو - طابز ، مصر
١٩٨٨م .

(١١) أنباء الرّواة على أنباء النبوة : الخاوي ، مطب. الدين
أبو الحسن علي بن يوسف ، تحقيق : د. محمد أبو
الفتح إبراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية
أربعة أولي ، القاهرة ، ١٩٨٨م .

(١٢) الأدب الطبري : البشاري ، أبو عبد الله محمد بن أحمد
المثبته الاسمية - مطب. دار الفكر ، ١٩٨٨م .

(١٣) الأدب العربي وتاريخه : محمود هانفو ، مطب. دار الفكر ، ١٩٨٨م .

(١٤) الأدب في مؤلف الحضارة الإسلامية : هانفو ، الطبعة
أربعة ثانية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٤م .

(١٥) الإسلام في أمم الأديان : ابن خلدون الاندلسي ، تحقيق
أحمد محمد شحات ، أربعة أولي ، مطبعة
الجامعة ، مصر ، ١٩٨٨م .

(١٦) الاستشهاد في النحو العربي : رسالة طبع
أحمد هانفو ، مطب. دار الفكر ، ١٩٨٨م .

(١٧) الأساطير في تمييز النحاة : ابن حجر العسقلاني ،
أربعة أولي ، مطبعة الجامعة ، مصر ، ١٩٨٨م .

(١٨) الألفاظ : أبو الفرج الأصفهاني دار الثقافة
بيروت ١٩٥٥ م .

(١٩) الأنتراخ : السيواني - لجنة ميدر آباد ، الهند
" بدون تاريخ " .

(٢٠) الأمالسي : القالي ، أبو علي اسماعيل بن القاسم
لجنة بولاق - مصر ١٣٢٤ هـ .

(٢١) الأبرار والأعجاز : الشمالي ، أبو منصور - دار طب
بيروت ، " بدون تاريخ " .

(٢٢) الباعث المشيد : ابن كثير - بيروت ١٩٥١ م .

(٢٣) البيان والتميم ، الدامغ ، أبو عثمان عمرو بن بكر
تأليف عبد السلام حارون ، لجنة أولسني
القاهرة ١٩٤٨ م .

(٢٤) البيان في أسماء أساليب القرآن : عبدالفتاح لاشين
لجنة أولى دار المعارف - مصر ١٩٧٧ م .

(٢٥) البيان النبوي : محمد راجع بيومي القاهرة ١٩٨٠ م .

(٢٦) القرآن الداعي بلا رسول في آيات الرسول : الشيبيني
بيروت على ناصط - مصر ١٩٩٥ م .

(٢٧) التَّسْوِيرُ الْفَنِّي فِي الْقُرْآنِ : سيد قطب ، سلسلة
تأليف ، دار المعارف ، "بدون تاريخ" .

(٢٨) الدِّمَاغِي : ابن حنبل ، أبو الفتح عثمان ، تحقيق
علي بن محمد الشَّارح ، دار الهدى للطباعة
والنشر لبنان بيروت "بدون تاريخ" .

(٢٩) الرَّسُولُ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : سعيد حوى ، طبعة
أولى دار الكتب العربية ، بيروت ١٩٧٤ م .

(٣٠) السيرة النبوية : الحلبي ، علي بن برهان الدين
، طبعة مصافي محمد ، القاهرة "بدون تاريخ" .

(٣١) المصطفى ترك حقول المصافى ، القاضي عياض ، أبو
الفضل ، عياض مصافى موسى بن عياض اليحيى
تحقيق ، علي محمد البجاوي ، القاهرة ١٩٧٧ م .

(٣٢) السَّامِعِيُّ : أبو بلال السَّامِيُّ ، تحقيق علي محمد
البجاوي ومحمد الفضل إبراهيم ، طبعة أولى
القاهرة ١٩٥٢ م .

(٣٣) الأسرار : الملو ، طبعة المقتات ، مصر ١٩١٤ م .

(٣٤) المحقق الفريد : ابن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق
أحمد أمين ، أحمد الزين وإبراهيم الأبياري
طبعة ثانية ، القاهرة ١٩٥٢ م .

(٣٥) المحقق في صناعة النسخ ونقده : ابن رشيق القيرواني
طبعة أولى ، مطبعة أمين خندية ، مصر ١٩٢٥ م .

(٣٦) الزمخشري : الهروي ، تحقيق محمود الأنطاسي -
القاهرة " بدون تاريخ " .

(٣٧) الفائق في غريب الحديث والأثر : الزمخشري ، طبعة
أولى ، القاهرة ١٩٤٥ م .

(٣٨) الفراء وثبته في اللغة والنحو : أحمد مكي الانباري
طبعة المجمع الأعلى لرعاية الفنون والآداب
والعلم الاجتماعية ، مصر ١٩٦٩ م .

(٣٩) الفن وثبته في النثر العربي : شوقي ضيف دار
المعارف ، مصر ١٩٤٦ م .

(٤٠) النظم في اللغة والأدب : المبرّد ، أبو الحسن محمد
ابن يزيد ، مطبعة الامتانة ، القاهرة ١٩٥١ م .

(٤١) الشباب : سيويو ، طبعة بولاق مصر ١٢١٦ هـ .

(٤٢) المصنف : الزمخشري ، طبعة مصارف محمد ، طبعة
أولى - القاهرة ١٣٥٤ م .

(٤٣) المصنف المصنف : ابن الأثير ، خفاء الدين ، تحقيق
أحمد المصطفى وبدوى ، طبعة - طبعة نهضة
مصر ١٩٥٥ م .

(٤٤) المصنفات النحوية : الشريف الراسي ، تحقيق
الزيني ، مؤسسة الدلي ، القاهرة ١٩٦٧ م .

(٤٥) المصنف : ابن رضى ، أبو الفتح عثمان ، تحقيق على
الدكتور ناصف ، المجلد الأعلى للشعرون
الإسلامية مصر ، "بدون تاريخ " .

(٤٦) المصنف : السيوطي : تحقيق محمد أحمد
المولى وآخرون ، طبعة رابعة مصر ١٩٥٨ م .

(٤٧) المصنف : أحمد بن حنبل ، شرح ووضع فيارسيه
أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ١٩٤١ م .

(٤٨) المؤلفات : المصنف النحوي : شرح أحمد محمد
شاكر ويدا السلام تارون ، طبعة ثالثة دار
المعارف بمصر ١٩٤٠ م .

(٤٩) المصباح المفهرم لأشواق القرآن الكريم : محمد فؤاد
عبد الباقي ، مطابع الشعب ، القاهرة ١٣٧٨ هـ .

(٥٠) المقيدة : ابن خلدون ، طبعة مصطفى محمود ،
القاهرة ، "مكتون تاريخ " .

(٥١) العريار في أوزان الأسماء : أبو بكر محمد بن عبد
المطلب بن السراي الشنتريني الأندلسي
تتبع الدكتور محمد رضوان الداية ، طبعة
ثانية ، دمشق ١٩٧١ م .

(٥٢) المختار من كتابات الأدباء وأشعار البلغاء : المحرطاني
الفاخر أبو العلاء أحمد بن محمد ، طبعة أولى
، طبعة السعادة ، مصر ١٩٥٨ م .

(٥٣) المسرور : الإمام مالك بن أنس ، دار الآفاق الجديدة
ببيروت ١٩٨٣ م .

(٥٤) النسيب الوافي : عطار حسن ، دار المعارف ، مصر
"مكتون تاريخ " .

(٥٥) النهاية في غريب الحديث والأثر : ابن الأثير ،
مطبع الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد
السبزو ، المطبعة الخيرية ، مصر ١٣١٨ هـ .

(٥٦) بآية الرحمة في طبقات اللغويين والنحاة : السبيل

مطبعة السعادة ، مصر ١٣٢٦ م .

(٥٧) تاريخ النقد الأدبي عند العرب : طه أحمد إبراهيم

دار الكتب ، بيروت ١٩٣٧ م .

(٥٨) تأملات في البيان النبوي : إبراهيم عيسى ، طبعة

أولى ، مطبعة السعادة ، مصر ١٩٨٠ م .

(٥٩) تطور النحاة النحويين : أنيس المقدسي - دار العلم

بيروت ١٩٦٥ م .

(٦٠) تفسير الجري : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري

طبعة ثانية مؤسسة الدلي ، مصر ١٩٥٤ م .

(٦١) سورة زمر العرب : أحمد زكي مكي ، طبعة

أولى ، مصر ١٩٧٢ م .

(٦٢) سورة زمر العرب : أحمد زكي مكي ، طبعة

أولى ، مطبعة الدلي ، مصر ١٩٧٢ م .

(٦٣) سورة أمّار العرب في الآية والاسلام :-

أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرطبي

تأليف علي محمد الجاسور ، طبعة أولى القاهرة ١٩٧٢ م .

(٦٤) بصيرة الاشبال : أبو حلال العسكري - تحقيق محمد
أبو الفضل إبراهيم ، ميداني يد في الامن
المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر
والتوزيع ، ابيطة أولى القاهرة ١٩٦٤ م .

(٦٥) سوانة الأدب : الميداني ، تحقيق عبد السلام حارون
القاهرة ١٩٦٧ م .

(٦٦) داهية المصارف الاسلامية : وزارة المصارف العمومية
سنة ١٩٣٣ م .

(٦٧) دبلوماتية محمد : عون الشريف قاسم ، قسم التأليف
والنشر ، ابيطة المراسم " بدون تاريخ " .

(٦٨) دراسات في العربية وتاريخها - محمد الحضر حسين
" ابيطة ثانية ، دمشق ١٩٦٠ م .

(٦٩) دلائل المراسم - المراسم ، عبد القادر ، معي أسله
سنة ١٩٦٥ م . محمد محمود العزق ، مطبعة
الموسوعات ، مصر " بدون تاريخ " .

(٧٠) ديوان لبيد بن ربيعة الحارثي : دار صادر
بيروت ١٩٦٦ م .

(٧١) ديوان سلمان بن ثابت : تحقيق سيد نفيسي
القاهرة ١٩٧٤ م .

(٧٢) ديوان قيس بن الخاقم : تحقيق ناصر الدين الاسدي
طبعة أولى ، القاهرة ١٩٦٢ م .

(٧٣) ديوان أبي تمام : شرح الخطيب الشيرازي ، تحقيق
محمد عبيد عزام ، دار المعارف مصر
" بسندون تاريخ " .

(٧٤) ديوان الخليل بن النعمان ، مصر ١٩٥٥ م .

(٧٥) زاد المسلم فيما أثنى عليه البخاري ومسلم : الامام
الشيخاني ، دار أحياء التراث العربى ، بيروت .

(٧٦) زاد المسلك في معرفة غير العباد : ابن قسيم
الريوزية ، طبعة ثالثة ، مصر ١٩٧٢ م .

(٧٧) شبيهه والقرارات : أحمد بن الانباري ، دار
المعارف ، مصر ١٩٧٢ م .

(٧٨) حلية النبي : ابن حبان ، أبو محمد عبدالمطلب
مراجعة : محمد بن الدين عبدالمعتمد
القاهرة ١٩٣٧ م .

(٧٩) شيخ القرضاوي : ملحة صافي الباب الدلي
أمة أولى ، القارة ١٩٧٧ ، ١ .

(٨٠) شيخ أبي داود : سلطان بن الأشعث بن اسحاق
الأزدي السعدي - ملّح عليه الاستاذ
الشيخ أحمد سعد علي ، أمة أولى ملحة
صافي الباب الدلي مصر ١٩٥٢ .

(٨١) شيخ ابن ماجة : أبو عبد الله محمد بن يزيد
القرظي ، تقي محمد فؤاد عبدالباق مصر
١٩٥٢ .

(٨٢) شيخ ابن عثيل علي بن ماجة : محمد صلي الدين
عبدالله ، أمة الثانية عشرة ، ملحة
المناعة ، القارة ١٩٦١ .

(٨٣) شيخ القصة الإسلامية : عبدالله بن أحمد الدامد
الربيع ١٩٧٦ .

(٨٤) شيخ الأمازيغ : القرضاوي ، أمة بولان مصر ١٩٧٣ .

(٨٥) شيخ البطار : أبو عبد الله ، تقي بن اسماعيل بن
أبراهيم بن العنبر بن بردية البطار الجعفي ،
أمة صافي الباب الدلي ، مصر ١٩٤٥ .

(٨٦) مهدير مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن
مسلم القشيري ، المطبعة النورية " بدون تاريخ " .

(٨٧) ليقات النعميين واللغويين : الزبيدي ، أبو بكر
محمد بن الحسن ، تحقيق محمد أبو الفضل
مصر ١٩٥٥ م .

(٨٨) عقيدة محمد : العقاد ، عباس محمود ، مطبعة
دار الهلال ، مصر " بدون تاريخ " .

(٨٩) علوم الحديث : محيى المصالح ، بيروت ١٩٥٩ م .

(٩٠) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري : بشار الدين
أبو محمد محمود بن أحمد العيني ، إدارة
الطباعة النورية ، مصر " بدون تاريخ " .

(٩١) غريب الحديث : ابن عتيبة ، تحقيق عبدالله الحيموري
بيروت أولى ، بغداد ١٩٧٧ م .

(٩٢) غريب الحديث : ابن سلام ، القاسم ، تحقيق
محمد عبدالحميد ، دار بشار آباد الهند
١٩٧٧ م .

(٢٣) في أصول النّاسو : سعيد الافندي ، الجامعة

السورية ١٩٥١ م .

(٢٤) كشف الناسون عن أسرار الكتب والنسب : علي

اليفعة ، الطبعة الأولى ، طبعة العام ، مطبع

١٣١٠ هـ .

(٢٥) لسان الميزان : ابن حجر المصنعي ، شهاب الدين

أبو الفضل أحمد بن علي ، طبعة مطبع آباء

الهند " بندوق تاريخ " .

(٢٦) لسان العرب : ابن منظور : دار صادر بيروت

١٩٥٥ م .

(٢٧) مع الأبطال : الميداني ، أبو الفضل أحمد بن

محمد النيسابوري ، طبعة المطبعة بيروت ١٣٦١ هـ .

(٢٨) موجة التراث السياسية : محمد حميد الله

القاهرة ١٩٤١ م .

(٢٩) مجلة المورد : المجلد التاسع ، العدد الرابع

دار الحرية ، بغداد ١٩٨٠ م .

(١٠٠) مناسبات منطوية : البحر يوسف نور الدائم .

(١٠١) مرآة النحويين أبو الريب الكوفي ،
"بدون تاريخ" .

(١٠٢) مسند الشافعي : محمد بن ادريس الشافعي
"أبو عبدالله" طبعة بولاق المطبعة الأميرية
سنة ١٢٢٤ هـ .

(١٠٣) مناهج الريب : ابن هشام ، أبو محمد عبدالله
مناهل الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله
ابن هشام الأنباري ، تحقيق محمد علي الدين
عبدالمعتمد ، دار الكتاب العربي بيروت بدون تاريخ .

(١٠٤) مائتين الرسول : علي بن حسين علي الأسدي
دار الكتب ، بيروت "بدون تاريخ" .

(١٠٥) من رسالة القرآن : أحمد أبو عبد الله بن محمد بن محمد .

(١٠٦) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : ابن خلكان ،
أبو العباس شمس الدين ، أحمد بن محمد
ابن أبي بكر ، تحقيق محمد علي الدين
عبدالمعتمد ، طبعة أولى ، مكتبة النهضة
المصرية ، القاهرة ١٩٤٨ م .

(١٠٧) منارة البحار الى أحاديث النصارى : السيد /

عبد الرحيم عنبر المصطفى الكهنه ساوى

الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٤٠ هـ .